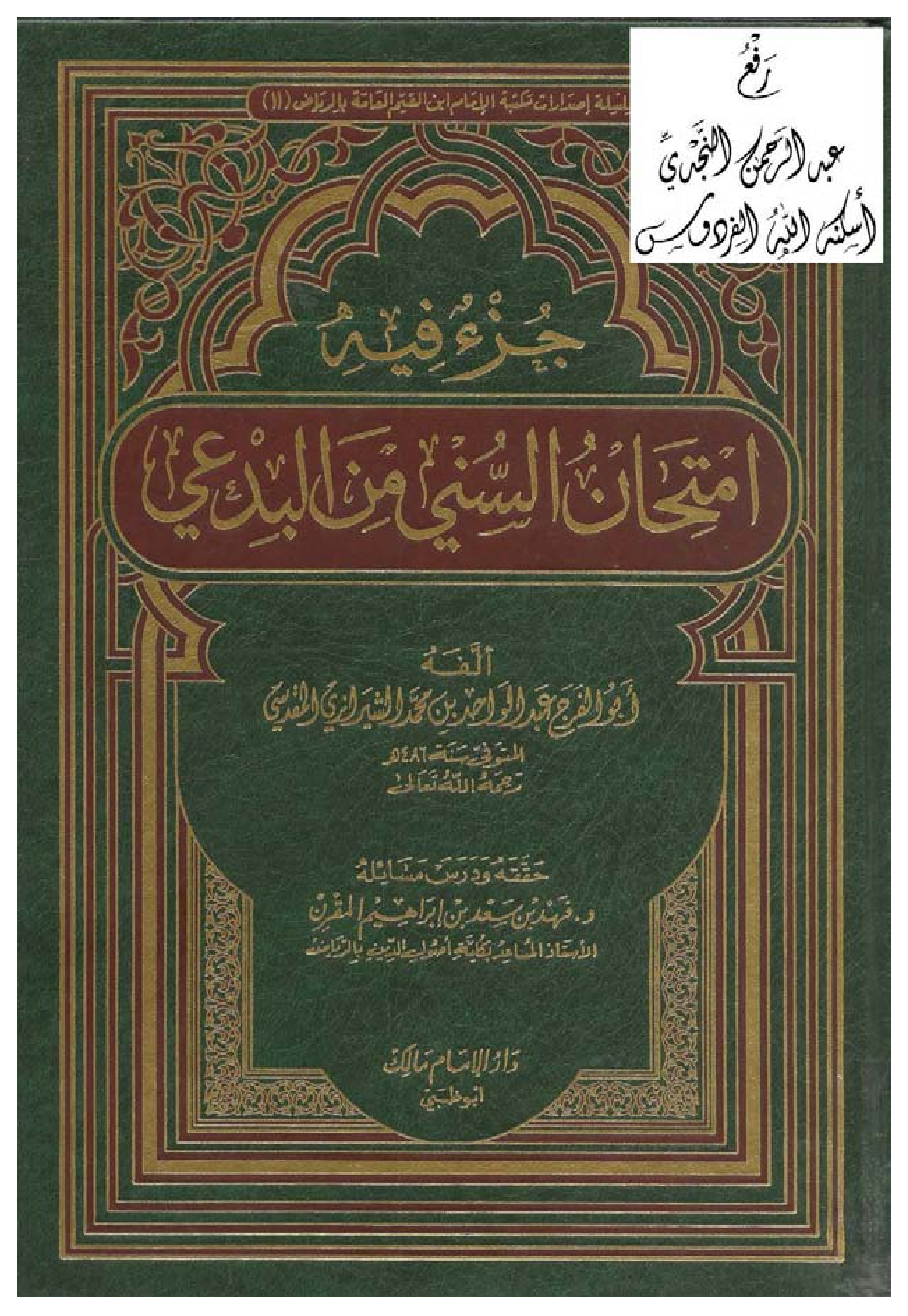

رُفِعَ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
سلسلة إصدارات مكتبة الإمام ابن القيم العامة بالرياض (١)
جُزءٌ فيهِ
امْتِحَانُ السُّنِّي مِنَ البِدْعِي
ألَّفَهُ
أبو الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي المقدسي
المتوفى سنة ٤٨٦هـ
رحمه الله تعالى
حققه ودرس مسائله
د. فهد بن سعد بن إبراهيم المقرن
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالرياض
دار الإمام مالك
أبو ظبي

الفصل الأول

ترجمة المؤلف

المبحث الأول: عصر المؤلف.

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة العلمية.

المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية.

المبحث الثاني: حياة المؤلف.

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده.

المطلب الثاني: رحلاته، وجهوده في نشر مذهب الإمام أحمد.

المطلب الثالث: عقيدته، وعبادته، وزهده.

المطلب الرابع: شيوخه.

المطلب الخامس: فقه المؤلف، واختياراته الفقهية.

المطلب السادس: ذريته، وتلاميذه، وسنة وفاته.

الفصـــل الأول

ترجمـــة المـــؤلف

المبحث الأول: عصر المؤلف.

المطلب الأول: الحالة السياسية:

عاش المؤلف في القرن الخامس الهجري، وقد تميز هذا العصر بعدم الاستقرار السياسي، فقد أدرك آخر عصر الخليفة العباسي القادر بالله ت ٤٢٢هـ وعهد الخليفة القائم بأمر الله ت ٤٦٧هـ، والمقتدي بأمر الله ت ٤٨٧هـ، وقد تمزقت دولة الخلافة العباسية إلى دويلات متناحرة.

الأمويون يحكمون الأندلس، والدولة الغزنوية تحكم خراسان والهند، وبنوبويه الرافضة يحكمون بلاد فارس، وامتد حكمهم إلى جنوب العراق حتى انتهى سلطانهم في عام ٤٤٧هـ وتلا ذلك نفوذ دولة السلاجقة، فقد عاصر المولف طغرل بك السلجوقي ت٤٥٥هـ وألب أرسلان ت ٤٦٥هـ وملك شاة ت ٤٨٥هـ. ومصر يحكمها الفاطميون العبيديون.

وقد كان سلطان الخليفة العباسي ضعيفاً، وقد عانى من نفوذ السلطان البويهي من عام ٣٣٤هـ حتى عام ٤٧٧هـ وكان باستطاعة البويهيين القضاء على الخلافة العباسية إلا أنهم آثروا بقاءها ليستمدوا

من بقائها شرعيتهم إلا أن الخليفة القائم بأمر الله لما أحس بالخطر راسل السلطان السلجوقي يستنهضه على السير إلى العراق الذي أجاب دعوة الخليفة فدخل بغداد وأنهى بذلك ولاية بني بويه.

ثم بعد ذلك استمر نفوذ السلاجقة على الخليفة العباسي إلا أن الخليفة فضل القضاء على دولة الرافضة البويهيين واستبدلهم بالسلاجقة السنيين[١].

هكذا كانت الحالة السياسية في عصر المؤلف، عصر دويلات متناحرة على السلطة، عصر السطو على سلطان الخليفة العباسي وتجريده من مسؤلياته، مع الحفاظ على بقائه على عرش الخلافة اسماً والدعاء له بذلك على المنابر.

يقول ابن كثير وفي هذا السنة: «ووهى أمر الخلافة جداً، واستقل نواب الأطراف بالتصرف فيها ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها، ومع هذا فليس له فيها نفوذ ولا كلمة تطاع»[٢].

---

(١) انظر البداية والنهاية (١٢/ ٣١ـ ٤٠) الكامل (٧/ ٢٤٧ـ ٢٠٠) لابن الأثير.
(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٨٤).

المطلب الثاني
الحالة العلمية

شهد عصر المؤلف ازدهاراً علمياً واضحاً يتمثل في وجود كثير من العلماء المتبحرين في مختلف العلوم.

ففي علم الحديث عاش في هذا العصر:

الحافظ أبوبكر البرقاني ٤٢٥هـ، والحافظ أبونعيم الأصبهاني ٤٢٨هـ.

والحافظ أبوذر الهروي ٤٣٣هـ، والحافظ أبوعثمان الصابوني ٤٤٩هـ.

والحافظ أبو نصر السجزي ٤٤٤هـ، والحافظ محمد بن علي الصوري ٤٤١هـ.

والحافظ أبو محمد بن حزم الأندلسي ٤٥٦هـ.

والحافظ أبو بكر البيهقي ٤٥٨هـ والحافظ الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ.

الحافظ أبو نصر بن ماكولا ٤٧٥هـ، وفي الفقه: الإمام أبو علي العكبري ٤٢٨هـ.

والقاضي أبويعلى ٤٥٨هـ وشيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي ٤٧١هـ وأبوالوفاء بن عقيل ٥١٣هـ من الحنابلة.

وأبوالفتح الرازي ٤٤٧هـ وأبوالطيب الطبري ٤٥٠هـ.

والبيهقي ٤٥٨هـ الجويني ٤٧٨هـ، وأبوإسحاق الشيرازي ٤٧٦هـ من الشافعية.

وأبوالحسين القدوري ٤٢٨ هـ وأبو عبدالله الصميري ٤٣٦هـ، وأبوعبدالله الدامغاني ٤٧٨هـ من الحنفية.

وعبدالوهاب بن علي بن نصر ٤٢٢هـ وأبوبكر بن العربي، وأبوالوليد الباجي ٤٧٤هـ من علماء المالكية.

أما في علم التفسير: فقد برز الثعالبي ٤٢٧هـ وأبوالحسن الحوفي ٤٢٩هـ والواحدي ٤٦٨هـ.

وفي علم الكلام: أبوالحسين البصري المعتزلي ٤٣٦هـ من المعتزلة.

وأبوجعفر السمناني الأشعري ٤٤٤هـ والجويني ٤٧٨هـ وأبوالقاسم القشيري ٤٦٥هـ من الأشاعرة.

ومن مظاهر الازدهار العلمي في هذا العصر: انتشار المدارس؛ ففي نيسابور كانت المدرسة البيهقية والسعدية، وفي بغداد النظامية، وفي الشام المدرسة التاجية. ففي هذا الجو العلمي نشأ المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ.

المطلب الثالث
الحالـة الاجتماعيـة

نتيجة لسوء الحالة السياسية سادت الحروب والاضطرابات، فالأمن يكاد ينعدم نتيجة للحروب المستمرة، وكذلك نتيجة لما يقوم به العيارون واللصوص خلال الاضطراب السياسي من نهب وسلب.

يذكر ابن كثير أحداث سنة ٤٢٤هـ فيقول: «فيها تفاقم الحال بأمر العيارين وكثر العيارون واستطالوا على الناس ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان لفساد البلاد»[١].

وفي أحداث سنة ٤٢٨هـ يقول: «وفيها ثارِ العيارون... وانتشرت الشرور في البلاد جداً»[٢].

كما حدثت فتن وصراعات بين أهل السنة والروافض في عام ٤٢٢هـ و٤٤١هـ ٤٤٣هـ.

وكان الرافضة يدعمهم بنو بويه، والخليفة العباسي يساعد أهل السنة ويؤازرهم.

يقول ابن كثير: في سنة ٤٤٣هـ في صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسنة فقتل من الفريقين خلق كثير، وذلك أن الروافض

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٣٥).
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٤٠).

نصبوا أبراجاً وكتبوا عليها بالذهب: محمد وعلي خير البشر، فمن رضي فقد شكر ومن أبى فقد كفر، فأنكرت السنة إقران علي ـ رضي الله عنه ـ مع محمد ـ ﷺ ـ في هذا فنشبت الحرب بينهم واستمرت الفتنة إلى ربيع الأول»[١].

كما وقعت فتن بين الأشاعرة والحنابلة، يقول ابن كثير في أحداث سنة ٤٤٧هـ:

«وفيها وقعت الفتنة بين أهل السنة والرافضة على العادة فاقتتلوا قتالاً مستمراً، ولا تمكنت الدولة أن تحجز بين الفريقين، وفيها وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة، فقوي جانب الحنابلة قوة عظيمة بحيث كان ليس لأحد من الأشاعرة أن يشهد الجمعة ولا الجماعات»[٢].

بالإضافة إلى تلك الأحداث فإن الكندري وزير طغرل بك، السلجوقي خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان، فأذن في ذلك فأمر بلعنهم، وأضاف إليهم الأشعرية[٣].

وكان المجتمع ينقسم إلى طبقتين إحادهما تعيش في ترف وبذخ، وهي طبقة الخلفاء، والأمراء، والوزراء، والأخرى تعيش في بؤس وفقر.

وانتشر في هذا العصر تجارة الرقيق، وامتلأت القصور به، وكثر

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٦٢).
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٦٦).
(٣) انظر الكامل (٨/ ٩٧) لابن الأثير.

نسل الجواري.

كما كان ذلك العصر يتميز بقوميات مختلفة من ترك، وفرس، وروم وزنج، فظهرت بينهم نعرات قومية.

ففي خضم هذا العصر عاش المؤلف وما من شك أن الإنسان يتأثر وينصبغ بأحداث عصره وزمانه.

* * *

المبحث الثاني
حيـاة المؤلـف

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده:

هو عبدالواحد بن محمد بن علي بن أحمد الشيرازي ثم المقدسي ثم الدمشقي الفقيه الزاهد السعدي العُبَادي الخزرجي.

قال ابن رجب في الطبقات(١) عن نسبه: قرأت بخط بعض طلبة الحديث في زماننا، قال: أخرج إليّ شيخنا يوسف(٢) بن يحيى بن عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب بن الشيخ أبي الفرج نسب جده، وهو أبو الفرج عبدالواحد بن محمد بن علي بن أحمد بنِ إبراهيم بن يعيش بن عبدالعزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة، قال ابن رجب: كذا رأيته، ويوسف هذا أدركته، وسمعت منه جزاءً عن أبيه عن الخشوعي.

ولكن قرأت بخط جده ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم(٣) قال: كتبت إلى الشريف النسَّابة ابن الجواني كتاباً إلى مصر أسأله: هل نحن من ولد قيس بن سعد أو من أخيه فجاءني خطه في جزء يقول: قيس بن سعد انقرض عقبه، إنما أنتم من ولد أخيه عبدالعزيز بن سعد بن عبادة، ورفع نسب سعد بن عبادة إلى آدم ـ عليه السلام ـ.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٦٨).

(٢) انظر ترجمته ص٣٧.

(٣) انظر ترجمته ص٣٦.

وهذا يدل على أن الناصح لم يكن يعرف نسبهم إلى سعد، ولا ذكر أن النسابة كتبت له ذلك، وإنما كتب له نسب سعد إلى آدم، وأيضاً فقد قال له: أنتم من ولد عبدالعزيز بن سعد بن عبادة وفي هذا النسب المذكور: عبدالعزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة، وهذا مخالف لما قال ابن الجواني.

لكن ذكر «الناصح» أنا أباه وجماعة من العلماء اجتمعوا ليلة عند السلطان صلاح الدين في خيمة مع الشريف الجواني هذا، فقال السلطان: هذا الفقيه يشير إلى والد «الناصح» ـ ليس في آبائه وأجداده صاحب صنعة إلا أمير أو عالم إلى سعد بن عبادة، وهذا يدل على أنه كان يعرف نسبهم إلى سعد بن عبادة، والله أعلم.

قال ابن مفلح عن نسبه واختلف النسَّابون في نسبته، والأشهر أنه من ولد سعد بن عبادة[١].

ويتحصل مما سبق أن نسب المؤلف ثابت إلى سعد ابن عبادة وذلك بإقرار جميع من ترجم له، وعدم إنكار نسبه إلى سعد بن عبادة.

مولده:

ولد ـ رحمه الله ـ بحران[٢]، ولم تذكر كتب التراجم التي بين يديّ سنة ولادته، ولكن ذكر أبوالحسين محمد بن أبي يعلى في طبقات

---

(١) المقصد الأرشد (٢/ ١٧٩).
(٢) الوافي بالوفيات (١٩٠/ ٢٧٤) للصفدي، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٢).

الحنابلة أنه صحب والده من سنة نيف وأربعين[١].

وذكر الذهبي في السير أنه بدأ السماع بدمشق بعد الثلاثين وأربعمائة[٢].

* * *

(١) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢/٢٤٨).
(٢) السيرة (١٩/٥٢).

المطلب الثاني
رحلاته وجهوده في نشر مذهب الإمام أحمد

كانت بداية رحلاته ـ رحمه الله ـ إلى بغداد حيث لازم إمام الحنابلة في وقته القاضي أبا يعلى، وتردد إلى مجلسه سنين عديدة وعلق عنه أشياء في الأصول والفروع ونسخ واستنسخ من مصنفاته[١].

وسافر إلى الرحبة[٢] وبيت المقدس، ونشر مذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ فيما حول بيت المقدس[٣] قال ابن رجب: «لما قدم الشيخ أبوالفرج بيت المقدس تسامع به الناس، فزاروه من أقطار تلك البلاد»[٤].

ثم استقر به المقام في دمشق فنشر مذهب الإمام أحمد في دمشق، وتخرج به الأصحاب، واشتهر أمره فيها، وحصل له القبول التام[٥].

أما عن جهوده في نشر مذهب الإمام أحمد فذكر أنه هو الذي نشر مذهب الإمام أحمد في بيت المقدس ودمشق[٦].

---

(١) طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن ابن يعلى (٢/ ٢٤٨).
(٢) الرحبة تقع بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات أحدثها مالك بن طوق التغلبي في خلافة المأمون معجم البلدان (٣/ ٣٤).
(٣) المقصد الأرشد (٢/ ١٨).
(٤) ذيل الطبقات لابن رجب (١/ ٧١).
(٥) ذيل الطبقات لابن رجب (١/ ٧٠).
(٦) انظر ذيل الطبقات (١/ ٧٠) المقصد الأرشد (٢/ ١٨) الأنس الجليل (١/ ٢٩٧) العبر (٢/ ٣٥٢).

قال العليمي «كان أبو الفرج ناصراً لمذهبنا متجرداً لنشره»[١].

وكان الشيخ موفق الدين المقدسي يقول: «كلنا في بركات الشيخ أبي الفرج»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عنه في معرض كلامه عن عدي بن مسافر «وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم، كالشيخ الإمام الصالح «أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي ثم الدمشقي وكشيخ الإسلام الهكاري ونحوهما.

وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الأصول الكبار عن أصول أهل السنة والجماعة بل كان لهم من الترغيب في أصول أهل السنة والدعاء إليها والحرص على نشرها ومنابذة من خالفها مع الدين والفضل والصلاح ما رفع الله به أقدارهم وأعلى منازلهم، وغالب ما يقولونه في أصولها الكبار جيد، مع أنه لابد وأن يوجد في كلامهم وكلام نظرائهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضعيفة»[٣]

❊ ❊ ❊

(١) المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد (٣/ ١٠).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٠) حيث دعى لجدهم بحفظ القرآن.
انظر: ص٢٦ ـ ٢٧.

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٧٧).

المطلب الثالث
عقيدته وعبادته وزهده

كان ـ رحمه الله ـ على معتقد أهل السنة والجماعة.

قال عنه القاضي أبو الحسين ابن أبي يعلى: «كان أبو الفرج ناصراً لاعتقادنا، متجرداً في نشره، مبطلاً لتأويل أخبار الصفات»(١).

جرى له مع الأشاعرة مناظرات ووقعات ظهر فيها عليهم بالحجة في مجالس السلاطين ببلاد الشام(٢).

ومن هذه المناظرات أنه عقد له الملك تاج الدولة تتش بن السلطان أبي شجاع آلب أرسلان(٣) في مسألة القرآن مناظرة مع الأشاعرة فقال تتش: هذا مثل من يقول، هذا قباء حقيقة ليس هو بحرير ولا قطن ولا كتان ولا صوف(٤).

والذي يظهر أنه يشير أنهم يفصلون في النفي خلاف أهل السنة. ويثبتون إثباتاً مجملاً(٥).

---

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٩).

(٢) السير (١٩/ ٥٢) طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٨) التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأول (١٨٨) لصديق بن حسن خان.

(٣) هو الملك تاج الدولة ابن السلطان أبي شجاع ألب أرسلان تملك بضع عشرة سنة وقتل سنة ٤٨٨هـ بالرَّي انظر: وفيات الأعيان (١/ ٢٩٥ـ ٢٩٧).

(٤) السير (١٩/ ٨٤).

(٥) انظر لمزيد بيان في هذه المسألة مجموع الفتاوى (١١/ ٤٨٠)، (٦/ ٦٦).

وقد صنف في الدفاع عن معتقد أهل السنة والجماعة عدة كتب منها:

١ ـ التبصرة في أصول الدين[١].

٢ ـ مسائل الامتحان، وهو كتابنا هذا[٢].

٣ ـ البرهان في أصول الدين[٣].

٤ ـ فصول في الإيمان وإبطال تأويل أخبار الصفات ومسائل القرآن[٤].

وقد كان ـ رحمه الله ـ صاحب عبادة ودين وزهد، قال عنه أبويعلى ابن القلانسي: «كان وافر العلم، متين الدين، حسن الوعظ، محمود السمت»[٥].

قال عنه ابن رجب: «كان إماماً عارفاً بالفقه والأصول، شديداً في السنة، زاهداً عارفاً، عابداً متألهاً»[٦].

وكان مستجاب الدعوة، ومن ذلك ما ذكر الناصح عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب بن الشيخ أبي الفرج قال حدثني موفق الدين المقدسي، قال: لما قدم الشيخ أبوالفرج إلى بلادهم من أرض بيت

---

(١) ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧)، والأنس الجليل (١/ ٢٩٧)، طبقات المفسرين (١/ ٣٦١) والمنهج الأحمد (١/ ٦٢) وحققه الشيخ: إبراهيم الدوسري.

(٢) ذيل الطبقات (١/ ٧٠) الأنس الجليل (١/ ٢٩٧) والمنهج الأحمد (٣/ ١١) وطبقات المفسرين (١/ ٣٦١) وفتاوى ابن تيمية (٤/ ١٤٥) والدر المنضد (١/ ٢١٦).

(٣) معجم المؤلفين (٦/ ٢١٢).

(٤) ذكره المولف في أول كتاب التبصرة ص١.

(٥) تاريخ دمشق (٢٠٦) لابن القلانسي.

(٦) ذيل الطبقات (١/ ٦٩).

المقدس تسامع الناس به، فزاره من أقطار تلك البلاد، فقال جدِّي قدامة لأخيه: تعال نمش إلى زيارة هذا الشيخ؛ لعله يدعو لنا. قال: فزاروه، فتقدم إليه قدامة قال له: ياسيدي، ادع لي أن يرزقني الله حفظ القرآن.

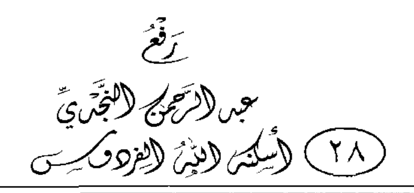
قال: فدعا له بذلك، وأخوه لم يسأله شيئاً فبقي على حاله، وحفظ قدامة القرآن[١].

وقد كان ـ رحمه الله ـ واعظاً، فكانت له مجالس وعظ تذيب القلوب وتهز النفوس[٢].

* * *

---

(١) ذيل الطبقات (١/ ٧١).
(٢) انظر: ذيل الطبقات (١/ ٧١).



المطلب الرابع
شيوخه

تلْمذ الشيخ أبو الفرج على عدد من العلماء من أبرزهم:

١ ـ القاضي أبويعلى:

هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء القاضي الكبير أبويعلى إمام الحنابلة عالم زمانه، فريد عصره، ونسيج وحده، وقريع دهره.

ولد لتسع، أو ثمان وعشرين ليلة خلت من المحرم سنة ثمانين وثلاث مئة.

وعنه انتشر مذهب الإمام أحمد، وأصحاب الإمام أحمد له يتبعون.

بدأ السماع سنة خمس وثمانين، سمع من أبي الحسن السكري[١] عن أحمد بن عبدالجبار الصوفي، عن يحيى بن معين.

ألفَّ كتباً كثيرة تصل إلى ستة وخمسين مؤلفاً[٢]، المطبوع منها: المعتمد[٣]، والأحكام السلطانية[٤]، وكتاب الروايتين

---

(١) أبو الحسن بن عمر بن محمد الحميرى البغداوي الحربى السكرى، عمّر دهراً وانفرد بأشياء توفي ٣٨٦هـ سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٣٨).

(٢) انظرها معدودة في المنهج الأحمد (٢/ ٣٦٥ـ ٣٦٦).

(٣) طبع في بيروت ١٣٩٤هـ بتحقيق وديع حدار.

(٤) طبع في مصر بتحقيق محمد حامد الفقي ١٣٥٦هـ.

والوجهين[١]. وإبطال التأويلات لأخبار الصفات[٢]، والعدة في أصول الفقه[٣].

توفي في ليلة الاثنين بعد العشاء التاسع عشر من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وأربع مئة[٤].

٢ ـ شيخ الإسلام أبوعثمان الصابوني:

شيخ الإسلام إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل النيسابوري الصابوني، أبوعثمان الشافعي، الواعظ، المفسر، سمع بنيسابور، وهراة، وسرخس، والحجاز، والشام، والقدس، روى عن زاهر السرخسي وطبقته وغيرهم.

قال الذهبي: «كان شيخ خراسان في زمانه».

قال البيهقي: «شيخ الإسلام صدقاً، إمام المسلمين حقاً، أبوعثمان الصابوني، من تصانيفه الفصول والأصول»[٥].

٣ ـ أبو الحسن السمسار:

هو علي بن الحسين ابن السمسار الدمشقي حدث عن الدار قطني

---

(١) طبع بتحقيق د. عبدالكريم اللاحم.
(٢) طبع بتحقيق محمد الحمود.
(٣) طبع بتحقيق د. أحمد سير مباركي.
(٤) انظر: طبقات الحنابلة (٢/١٩٣) سير أعلام النبلاء (١٨/٨٩) المنهج الأحمد (٢/٣٥٤) المقصد الأرشد (٢/٣٩٥).
(٥) انظر: السير (١/١٥٨) شذرات الذهب (٣/٢٨٢) طبقات الشافعية (٣/١١٧).

وأبي علي الفزاري وغيرهم.

قال الكتاني: فيه تشيع وتساهل، قال الذهبي: ولعل تشيعه تقية لا سجية؛ فإنه من بيت الحديث، ولكن غلب الشام في زمانه بالرفض، بل ومصر والغرب، بل والعراق وبعض العجم، واشتد البلاء دهراً، وشمخت الغلاة بأنفها وتواخى الرفض والاعتزال حينئذ والناس على دين الملك[(١)]، توفي ٤٣٣هـ.

٤ ـ أبو القاسم علي بن محمد بن علي الزَّيدي:

الإمام العالم المقرىء المعمر الحراني الحنبلي.

قال أبو عمر الداني كان ثقة ضابطاً مشهوراً أقرأ بحران دهراً طويلاً.

قال الذهبي: بلغني أنه نُفِّذ رسولاً إلى ملك الروم، فلما جلس غنت النصارى وحركوا الأرغل، فثبت الزيدي عند سماعه، وتعجبوا من ثباته كثيراً فلما قام، وجدوا تحت كعبه الدم مما ثبت نفسه ولم يتحرك، توفي سنة ٤٣٣هـ وقد قارب المائة[(٢)].

عبدالعزيز النصيبي[(٣)].

---

(١) انظر السير (١٧/ ٥٠٧) والميزان (٣/ ١٥٨) والعبر (٣/ ١٧٩) ولسان الميزان (٤/ ٢٦٤) وشذرات الذهب (٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر السير (١٧/ ٥٠٥) والميزان (٣/ ١٥٥) ولسان الميزان (٤/ ٢٥٩) ومعرفة القراء (١/ ٣١٥) والمغني في الضعفاء (٢/ ٤٥٤) وشذرات الذهب (٣/ ٢٥١).

(٣) لم أقف على ترجمة له.

المطلب الخامس
فقه المؤلف واختياراته الفقهية

كان الإمام أبوالفرج ـ رحمه الله ـ على جانب كبير من العلم وسعة الاطلاع والنظر.

قال عنه الذهبي الإمام القدوة شيخ الإسلام الفقيه الحنبلي الواعظ من كبار أئمة الإسلام[١].

قال أبويعلى القلانسي «كان وافر العلم»[٢].

قال عنه أبواليمن الحنبلي: «شيخ الإسلام الإمام العالم الحبر أبو الفرج شيخ الشام في وقته»[٣].

ومما سبق ذكره يتضح لنا أن الشيخ أبا الفرج كان على جانب كبير من العلم والفقه استحق به أن يوصف بأنه شيخ الإسلام وشيخ الشام في زمانه، ومما يدل على ما كان يتمتع به ـ رحمه الله ـ من علم وسعة نظر واجتهاد: كتبه التي ألفها فله الإيضاح في الفروع[٤] وله المنهج في

---

(١) السير (١٩/ ٥١، ٥٢).

(٢) تاريخ دمشق (٢٠٦).

(٣) الأنس الجليل (١/ ٢٩٧).

(٤) ذكره في إيضاح المكنون (١/ ١٥٥) وطبقات المفسرين (١/ ٣٦١) والانس الجليل (١/ ٢٩٧) ومعجم المؤلفين (٦/ ٢١٢) وذيل الطبقات (١/ ٧١) والإنصاف (٣/ ٩٤) والمنهج الأحمد (٣/ ١٠).

الفروع[١].

وله مختصر في الحدود في أصول الفقه[٢].

كل هذه الكتب تدل على ما كان عليه ـ رحمه الله ـ من علم وافر جمّ أمكنه من تأليف هذه الكتب.

وله كتاب الجواهر في تفسير القرآن[٣] قال ابن رجب: قال قرأت بخط الناصح عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب، قال سمعت والدي يقول: هو ثلاثون مجلداً كانت بنت الشيخ تحفظه.

وكان له ـ رحمه الله ـ اختيارات فقهيه انفرد بها عن سائر الفقهاء تدل هذه الاختيارات على ما كان يتمتع به ـ رحمه الله ـ من اجتهاد ونظر في المسائل الفقهية ومن تلك الاختيارات:

١ ـ أن الوضوء في أواني النحاس مكروه[٤].

٢ ـ أن التسمية على الوضوء يصح الإتيان بها بعد غسل بعض الأعضاء

---

(١) ذكره في إيضاح المكنون (٢/ ٤٢٥) والإنصاف (١/ ١٤)، (٦/ ٣٦٨) (٣/ ٢٢، ٣٧)، والمغني (١/ ٦٠)، وذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧١)، معجم المؤلفين (٦/ ٢١٢)، والمنهج الأحمد (٣/ ١٠)، الأنس الجليل (١/ ٢٩٧)، والأعلام (٤/ ١٧٧)، وطبقات المفسرين (١/ ٣٦١).

(٢) ذكره في ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧١)، والمنهج الأحمد (٣/ ١) والأنس الجليل (١/ ٢٩٧) وطبقات المفسرين (١/ ٣٦١)، الدر النضيد (١/ ٢١٦).

(٣) ذكره في إيضاح المكنون (٢/ ٢٨٧) وذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧١)، وطبقات المفسرين (١/ ٣٦١).

(٤) المنهج الأحمد (٣/ ١١) وذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٢، ٧٣) والتاج المكلل (١٨٠).

ولا يشترط تقدمها على غسلها[١].

٣ ـ أن مس الأمرد لشهوة ينقض الوضوء[٢].

٤ ـ أن المسافر إذا مسح في السفر أكثر من يوم وليلة ثم أقام أو قدم أتم مسح مسافر[٣].

٥ ـ أن الجنب يكره له أن يأخذ من شعره وأظفاره[٤].

٦ ـ إذا أوقف الموقف أرضاً على الفقراء والمساكين لم يجب في الخارج منها العشر وإن كان على غيرهم وجب فيها العشر[٥].

٧ ـ أن الصداق يجب بالعقد ويستقر جميعه بالدخول، ولو أسقطت حقها من الصداق قبل الدخول لم يسقط؛ لأنه إسقاط حق قبل استقراره فلم يسقط كالشفيع إذا أسقط حقه قبل الشراء[٦].

٨ ـ إذا قال السيد لعبده إن أديت إليَّ ألفاً فأنت حُرٌّ ثم أبرأه السيد من الألف عتق فجعل التعليق كالمعاوضة[٧].

٩ ـ إذا باع البائع أرض زرع قائم قد بدأ صلاحه لم يتبع[٨].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٢، ٧٣) والتاج المكلل (١٨٠).
(٢) المنهج الأحمد (٣/ ١١) وذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٢، ٧٣)، والتاج المكلل (١٨٠).
(٣) المنهج الأحمد (٣/ ١١)، ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٣).
(٤) المنهج الأحمد (٣/ ١١)، ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٣)، والتاج المكلل (١٨٠).
(٥) المنهج الأحمد (٣/ ١٢)، ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٣).
(٦) المنهج الأحمد (٣/ ١٢)، ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٣).
(٧) المنهج الأحمد (٣/ ١٢)، ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٣).
(٨) المنهج الأحمد (٣/ ١٢)، ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٣).

١٠ ـ إذا اشترى شيئاً، فبان معيباً، وأنمى عنده نماءً متصلاً، ثم ردَّه، أخذ قيمة الزيّادة من البائع، وقد وافقه على ذلك ابن عقيل[١].

فحاصل ما تقدم من اختياراته يظهر لنا أنه مجتهد ولا يقلد.

* * *

(١) المنهج الأحمد (٣/ ١٢)، ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٧٣).

الفصل الثالث
حكم امتحان الناس في عقائدهم
الامتحان في اللغة

قال ابن فارس: مَحَنَ: المحن الإختبار يقال مَحَنه وامتحنه[١].

قال الفيروزآبادي: محَنه كمنعه: ضربه واختبره كامتحنه، والاسم المِحْنة[٢].

قال الزمخشري: محن وقع في محنة ومحن، ومحن فلان امتحن ورجل ممحون وممتحن[٣].

قال الرازي: المحنة واحدة المحن التي يمتحن بها الإنسان من بليّةٍ، ومحنة من باب قطع، وامتحنه اختبره والرسم المحنة[٤].

قال الفيومي: مَحَنته محناً من باب نفع اختبرته وامتحنته كذلك. والاسم المحنة والجمع مِحَن مثل سِدْرة وسِدَر[٥].

وفي المعجم الوسيط: مُحَن فلاناً محْنًا خبره وجرَّبه، ومُحِنَ فلان: وقع في محنة فهو ممحون، وأمتحن فلاناً اختبره[٦].

---

(١) مجمل اللغة (٤/ ٨٢٥) مؤسسة الرسالة تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان.
(٢) ترتيب القاموس المحيط (٤/ ٢١١) الطاهر أحمد الزواي الدار العربية للكتاب.
(٣) أساس البلاغة (٥٨٤) دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ.
(٤) مختار الصحاح (١٩١).
(٥) المصباح المنير (٢١٦).
(٦) المعجم الوسيط (٨٥٦).

الامتحان في الكتاب والسنة

١ ـ الامتحان في القرآن:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ . . .﴾[١].

وقد تعددت الأقوال في كيفية امتحان الرسول ـ ﷺ ـ للنساء المهاجرات.

١ ـ فالقول الأول: ما ورد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه سئل كيف امتحانُ رسول الله ـ ﷺ ـ النساء؟

فقال: كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله، وهذا روي عن مجاهد وقتادة وعكرمة وبكير الأشج[٢].

٢ ـ القول الثاني: ما ورد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال ما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يمتحن المؤمنات إلا بالآية قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ . . .﴾[٣].

---

(١) سورة الممتحنة، آية: ١٠.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٦/٦٨) ط البابي الحلبي ط١٣٧٣هـ.

(٣) أخرجه البخاري الطلاق (٥٢٨٨) وفي كتاب التفسير (٤٨٩١)، ومسلم في كتاب =

٣ ـ القول الثالث: أن الامتحان هو الإقرار بالشهادة وهذا ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله[١].

٢ ـ **الامتحان في السنة:**

١ ـ عن معاوية بن الحكم السُّلمي قال: كانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليَّ قلت: يارسول الله أفلا أعتقها؟ قال: أئتني بها فأتيته بها فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال من أنا؟ قالت أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة[٢].

٢ ـ عن سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **«إن هذا الحي من الأنصار محنة حبهم إيمان وبغضهم نفاق»**[٣].

= الإمارة (١٨٦٦)، الترمذي (٣٣٠٦)، وابن ماجه (٢٨٧٥)، وأحمد (٢٤٦٤٩) (٢٤٧٧٢). سورة الممتحنة، آية: ١٢.

(١) أخرجه ابن جرير (٢٦/ ٦٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد (٥٣٧) وأبوداود في كتاب الصلاة (٩٣٠) في كتاب الإيمان والنذور (٣٢٨٢)، ومالك في الموطأ (١٥١١)، وأحمد (٢٧٧١٨) (٢٧٧٢٠) من حديث معاوية وأخرجه أحمد (٧٨٤٦)، وأبوداود (٣٢٨٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٩٥٦) (٢٣٣٣٥) من حديث سعد وفيه رجل مبهم ويشهد له ما في مسلم في كتاب الإيمان (٨٤) عن أنس مرفوعاً «آية المنافق بعض الأنصار وآية المؤمن حب الأنصار».

ما ورد عن بعض السلف في الامتحان

أ ـ قال الذهبي قال مهدي بن هلال: أتيت سليمان التيمي فوجدت عنده حماد بن زيد وزيد بن زريع، وبشر بن المفضل وأصحابنا البصريين، فكان لا يحدث أحداً حتى يمتحنه. فيقول له: الزنا بقدر؟ فإن قال: نعم، استحلفه أن هذا دينك الذي تدين الله به، فإن حلف حدثه خمسة أحاديث[١].

* سليمان بن طرخان التيمي ت ١٤٣هـ.

قال العجلي «تابعي ثقة»، قال شعبة: «ما رأيت أصدق من سليمان التيمي».

قال يحيى بن سعيد: «كان التيمي عندنا من أهل الحديث»[٢].

ب ـ قال الحاكم سمعت أبا سعيد بن أبي بكر يقول: لما وقع من أمر الكلابية ما وقع بنيسابور كان أبو العباس السراج يمتحن أولاد الناس، فلا يحدث أولاد الكلابية، فأقامني في المجلس مرة، فقال: قل أنا أبرأ إلى الله تعالى من الكلابية فقلت: إن قلت هذا لا يطعمني أبي الخبز، فضحك وقال: دعوا هذا[٣].

* محمد بن إسحاق السراج شيخ الإسلام محدث خراسان

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٠) تذكر الحفاظ (١/ ١٥٠).
(٢) تهذيب الكمال (٢٨٢٤) تهذيب التهذيب (١٤٧١٢).
(٣) انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٩٥).

صاحب المسند الكبير قال ابن أبي حاتم: صدوق ثقة، سمع من إسحاق بن راهوية وقتيبة بن سعيد وغيرهم، حدث عنه البخاري ومسلم توفي سنة ٣١٣هـ[١].

جـ ـ قال الذهبي قال القاسم بن أبي صالح: «جاء أيام الحج أبوبكر محمد بن الفضل القسطاني وحريش بن أحمد إلى إبراهيم بن الحسين الهمذاني فسألا عن حديث الإفك رواية الفروي عن مالك؟.

فحانت منه التفاته فقال الزعفراني: يا أبا إسحاق! تحدث الزنادقة؟ قال: ومن الزنديق؟ قال: هذا، إن أبا حاتم الرازي لا يحدث حتى يمتحن، فقال: أبو حاتم عندنا أمير المؤمنين في الحديث، والامتحان دين الخوارج، من حضر مجلسي، فكان من أهل السنة، سمع ما تقر به عينه ومن كان من أهل البدعة يسمع ما يسْخن الله به عينه، فقاما ولم يسمعا منه[٢].

* إبراهيم بن الحسين الهمذاني الكسائي: أبوإسحاق الإمام الحافظ الثقة يعرف بابن دِيْزِيل، سمع كثيراً سمع بالحرمين ومصر والشام والعراق قال الحاكم ثقة مأمون. ت ٢٨١هـ[٣].

د ـ قال ابن سيرين لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (١٤/٣٨٨)، وتاريخ بغداد (١/٢٤٨)، الجرح والتعديل (٧/١٩٦)، والتذكرة (٢/ ٧٣١).

(٢) السير (١٣/١٨٩).

(٣) السير (١٣/١٨٩) تذكر الحفاظ (٢/٦٠٨)، البداية والنهاية (١١/ ٧١).

قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع، فلا يؤخذ حديثهم[١].

هـ ـ قال ابن سيرين: إن هذا العلم دين فلينظر الرجل عمَّن يأخذ دينه[٢].

ابن سيرين الإمام أبوبكر الأنصاري محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك، كان يحدث بالحديث على حروفه كان فقيهاً عالماً كثير الحديث متفق على إمامته[٣]. ت١١٠هـ.

و ـ قال أحمد بن يونس رأيت زهير بن معاوية جاء إلى زائدة بن قدامة فكلمه في رجل يحدثه فقال: أمن أهل السنة هو؟

قال: ما أعرفه ببدعة، فقال: من أهل السنة هو؟ فقال: زهير: متى كان الناس هكذا فقال زائدة: متى كان يشمتون أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ[٤].

* زائدة بن قدامة الثقفي أبو الصلت الكوفي.

قال الطيالسي: كان زائدة لا يحدث قدرياً ولا صاحب بدعة يعرفه، وقال العجلي: كان ثقة لا يحدث أحداً حتى يسأل عنه، فإن كان صاحب سنة حدثه، وإلا لم يحدثه.

---

(١) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٤).
(٢) أخرجه الدارمي (٤١٩) (٤٢٤) (٤٢٩) بسند صحيح.
(٣) تهذيب التهذيب (٩/ ٢١٤) رقم (٣٣٦).
(٤) السير (٧/ ٣٧٧) تهذيب الكمال (٢١٦٧)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٠٧).

قال أبو حاتم كان ثقة صاحب سنة ت ٢١٢هـ[١].

ز ـ قال أبوالحسن علي بن محمد المطيري: سمعت أبا الحسن الطرخاباذي الهمذاني يقول: أحمد بن حنبل محنة به يعرف المسلم من الزنديق[٢].

ح ـ وقال: ابن أعين:

أضحى ابنُ حنبلَ محنةً مأمونة وبحب أحمدَ يعرف المتنسك[٣]

* هو محمد بن أبي عتاب البغدادي الأعين وثقة ابن حبان، قال عبدالله: ترحم عليه أبي وقال: إني لأغبطه مات وما يعرف إلا الحديث[٤].

ط ـ قال ابن أبي حاتم: أخبرنا أحمد بن سنان الواسطي أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن هشيم، أخبرنا مغيرة عن إبراهيم قال: كانوا إذا أرادوا أن يأخذوا عن الرجل نظروا إلى صلاته وإلى هيئته وإلى سنته[٥].

ي ـ قال إسماعيل الترمذي[٦] في قصيدة له في حياة الإمام أحمد

---

(١) تهذيب الكمال (٢١٦٧)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٣٠٧)، السير (٧/ ٣٧٧).
(٢) تهذيب الكمال (١٠٦).
(٣) مناقب الإمام أحمد (٥٩٧) لابن الجوزي ط/ الخانجي.
(٤) انظر السير (١٢/ ١٢٠)، الجرح والتعديل (٧/ ٢٢٩)، وطبقات الحنابلة (١/ ٣٣١)، وتاريخ بغداد (٢/ ١٨٢)، وتذكر الحفاظ (٢/ ٥٥٢)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٣٤).
(٥) الجرح والتعديل (٢/ ٢٩).
(٦) لم أجد له الترجمة.

وأنشده إياها:

لعمـرك مـا يهـوى لأحمـد نكبـة ... من الناس إلا ناقص العقل المغور
هـو المحنـة اليـوم الـذي يبتلـى بـه ... فيعتبـر السنـي فينـا ويسبـر[١]

ك ـ قال أبو مزاحم الخاقاني:

لقد صار في الأفاق أحمد محنة ... وأمر الورى فيها فليس بمشكل
ترى ذا الهوى جهلاً لأحمد مبغضاً ... ويعرف ذو التقوى بحبِ ابنِ حنبل[٢]

* أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان كان أبوه وزير جعفر المتوكل على الله، قال الخطيب: كان ثقة ديناً من أهل السنة ت ٣٢٥هـ[٣].

ل ـ قال الإمام البربهاري: والمحنة في الإسلام بدعة، وأما اليوم فيمتحن بالسنة لقوله: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم[٤] ولا تقبلوا الحديث إلا ممن تقبلون شهادته، فانظر إن كان صاحب سنة له معرفة، صدوق، كتبت عنه وإلا تركته[٥].

* البربهاري هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، شيخ الحنابلة في عصره قال أبو الحسين بن أبي يعلى: أحد الأئمة

---

(١) ثلاثيات مسند الإمام أحمد (١/ ٢١) السفاريني.
(٢) ثلاثيات مسند الإمام أحمد (١/ ٢٢).
(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٥٩).
(٤) هذا من قول ابن سيرين أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٤).
(٥) شرح السنة (٥٥) ط دار ابن القيم ت د. سعيد القحطاني ط ١٤٠٨هـ.

العارفين والحفاظ للأصول المتقين والثقات المؤمنين. ت٣٢٩هـ[١].

م ـ لمَّا ورد البخاري نيسابور اجتمع الناس عليه، فحسده بعض مشايخ نيسابور فقال لأصحابه: إن البخاري يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق، فامتحنوه في المجلس فلما حضر الناس مجلس البخاري، قام إليه رجل فقال: يا أبا عبدالله ما تقول في اللفظ مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه فقال الرجل: يا أبا عبدالله فأعاد عليه القول فأعرض عنه، ثم قال في الثالثة فالتفت إليه البخاري وقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة، فشغب الرجل، وشغب الناس وتفرقوا عنه[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وروى أيضاً ابن أبي حاتم: أن هشام بن عبيد الله الرازي ـ صاحب محمد بن الحسن ـ قاضي الرَّي حبس رجلاً في التجهم فتاب، فجيء به إلى هشام ليطلقه فقال: الحمد لله على التوبة؛ فامتحنه هشام: فقال: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟

فقال: أشهد أن الله على عرشه: ولا أدري ما بائن من خلقه.

فقال: ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب[٣].

وهشام بن عبيد الله الرازي، الفقيه، أحد أئمة السنة توفي سنة ٢٢١هـ.

---

(١) انظر طبقات الحنابلة (٢/١٨).

(٢) السير (١٢/٤٥٣ـ ٤٥٤).

(٣) الفتاوى (٥/٤٩).

حكم امتحان الناس في عقائدهم

مما تقدم ذكره يظهر لي أن الامتحان في الأصل مشروع والدليل على مشروعيته:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ . . . ﴾[1].

فالله أمر المؤمنين بالتحقق من صدق هجرتهن، وأنهن إنما أخرجهن حب الله ورسوله، ولم يكتف بظاهر الإيمان فهذا أمر بالتحقق مما هو غير معلن وظاهر، فامتحان المسلم للتحقق من سلامة اعتقاده من هذا الباب.

ثانياً: ما ورد عنه ـ ﷺ ـ من سؤال الجارية عن العلو وهذه مسألة من مسائل الاعتقاد وفعله ـ ﷺ ـ للتحقق من إيمانها، فسؤال المسلم عن مسألة من مسائل الاعتقاد من هذا الباب.

ثالثاً: ما ورد عن الإمام سليمان التيمي والإمام أبي حاتم الرازي والإمام أبي العباس السرَّاج ـ رحمهم الله ـ من امتحان المبتدعة.

وكذلك إنكار الزعفراني على إبراهيم الهمذاني ابن ديزيل عدم الامتحان مما يدل على أنه أمر ظاهر عندهم.

رابعاً: قول ابن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون

---

(١) سورة الممتحنة، آية: ١٠.

دينكم»، وقوله: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم؛ فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم».

وقول إبراهيم: «كانوا إذا أرادوا أن يأخذوا عن الرجل نظروا إلى صلاته وإلى هيئته وإلى سنته».

وكذلك كون الإمام زائدة بن قدامة لا يحدث إلا سنياً ويستفهم عمن أراد أن يأخذ عنه الحديث، وإنكاره على من قال ما أعرفه ببدعة مما يدل على أنه لا يكتفى بالظاهر.

خامساً: قول البربهاري أما اليوم فيمتحن بالسنة.

سادساً: اشتهار أن الإمام أحمد محنه: أي يمتحن به، فيعرف السني من المبتدع، وهذا ظاهر فيما قاله إسماعيل الترمذي وابن أعين وأبوالحسن الطرخا باذي.

ـ أما ما ورد عنه المنع من الامتحان فهو الحافظ أبوإسحاق الهمذاني (ابن ديزيل) فهذا قد يكون رأياً له قاله اجتهاداً.

أما البخاري: فالجواب عن ذلك:

١ ـ إما أن البخاري يقصد الامتحان بهذه المسألة الحاضرة فيكون عنده الامتحان بمسألة اللفظ بدعة (فأل) هنا عهديه عهد حضوري، ولا يمكن أن تكون (أل) هنا جنسية لأن البخاري لا يمنع من جنس الإمتحان، وجعل الامتحان بمسألة اللفظ بدعة لأن الكلام في مسألة

اللفظ لم يرد عن السلف، ولهذا منع الإمام أحمد النفي والإثبات في مسألة اللفظ، فقال من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع».

فاللفظ كلمة مجملة يدخل فيها الملفوظ الذي هو كلام الله غير مخلوق، ويدخل فيها التلفظ الذي هو من فعل العبد ومقدوره فمنع الإمام من النفي والإثبات، أو أن امتحان من اشتهر بالسنة والإمامة في الدين من أمثال البخاري بدعة.

مسألة من الذي يُمتحن؟

المبتدع إما أن يكون داعية إلى بدعته أو غيرُ داعية، وغيرُ الداعية إما أن يكون معلناً ببدعته أو غير معلن ببدعته.

أما المبتدع الداعية فلا حاجة لامتحانه.

أما غير الداعية المعلن ببدعته فكذلك، فهو معلن ببدعته ويبقى الكلام في المبتدع غير المعلن ببدعته.

فإنه لا يمتحن إلا إذا احتيج إلى ذلك كنصبه قاضياً للمسلمين أو معلماً في الدين لأبناء المسلمين أو إماماً للصلاة فإنه يمتحن.

ولهذا قال الإمام أحمد لما سئل عن أصحاب الحديث يأتون إلى الشيخ لعله يكون مرجئاً أو شيعياً أو فيه شيء من خلاف السنة؟ أينبغي أن أسكت عنه فلا أحذر عنه؟

قال: إن كان يدعو إلى بدعة وهو إمام فيها يدعو إليها نعم تحذر

عنه[١].

ففرق الإمام أحمد بين الداعية وغير الداعية.

أما منع أهل البدع من المناصب الدينية فهذا هو المتقرر عند السلف.

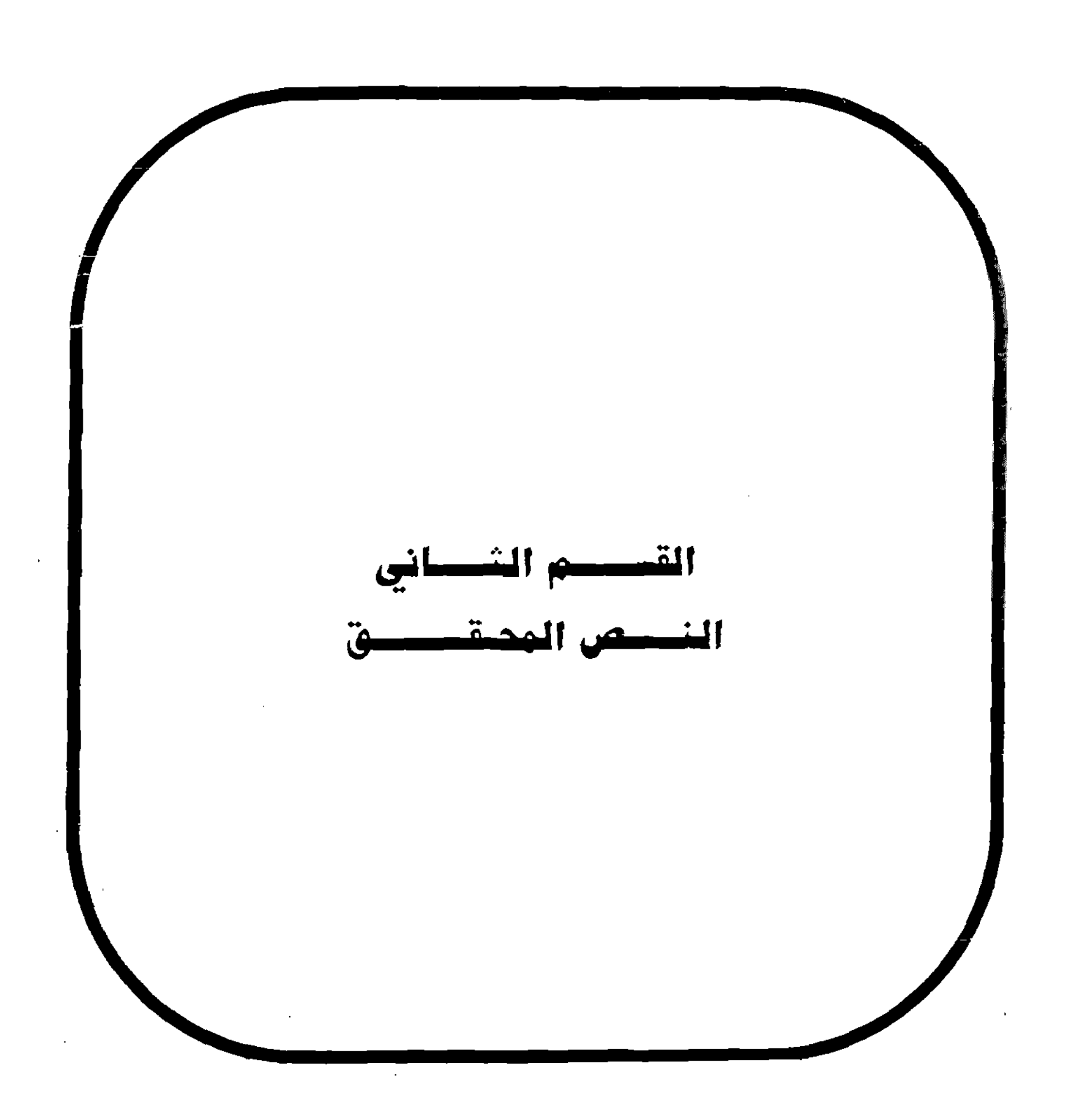
قال الإمام أحمد في رسالته إلى المتوكل: وفي الجملة إن أهل البدع والأهواء لا ينبغي أن يستعان بهم في شيء من أمور المسلمين، فإن ذلك أعظم الضرر على الدين، مع ما عليه رأي أمير المؤمنين ـ أطال الله بقائه ـ من التمسك بالسنة والمخالفة لأهل البدع[٢].

أما أن غير المعلن ببدعته لا يمتحن إلا إذا احتيج إلى ذلك، فلأن امتحانه قد يكون فيه إشهار ببدعته والمطلوب إخفاء البدع لا إظهارها.

* * *

---

(١) مسائل عبدالله بن الإمام أحمد (٤٣٦).
(٢) مناقب الإمام أحمد (٢٠٨) لابن الجوزي).



القســم الثــاني
النــص المحقــق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ رب أعن[(١)]

قال الشيخ شيخ الإسلام علي بن أحمد بن يوسف القرشي، قدّس الله روحه:[(٢)] قال: قال أبو الفرج عبدالواحد بن محمد الشيرازي ـ رحمة الله عليه ـ سألتَني ـ وفّقكَ الله لشكره ـ[(٣)] أن أُملِيَ عليك مسائل تمتحن بها السنيّ من البدعيِّ، فأجبتك إلى ذلك معتمداً على الله الثواب، وإياه أسأل التوفيق للصواب.

مسألة[(٤)]:

فأول من ذلك: **يُسأل** عن أول نعمة أنعم الله على العباد[(٥)]، ماهو؟[(٦)]، فإن قال: إدراك اللذات، ونيل الشهوات، فهو أشعري[(٧)][(٨)].

---

(١) في م «رب أعن بعونك».

(٢) «قال الشيخ شيخ الإسلام علي بن أحمد بن يوسف القرشي، قدّس الله روحه» ليس في م.

(٣) في م« وفقك الله تعالى».

(٤) «مسألة» ليست في م.

(٥) في م«العبد».

(٦) «ماهو» ليست في م. ولعل الأصح (ماهي).

(٧) في الهامش «منسوب إلى أبي الحسن الأشعري».

(٨) الأشاعرة: طائفة من طوائف المبتدعة الضالة سميت بذلك نسبة إلي أبي الحسن الأشعري لهذه الطائفة بدع كثيرة منها الإلحاد في الصفات حيث إنهم لا يثبتون من الصفات سوي سبع. وهم جهمية في مسائل الإيمان والقدر.
انظر: الملل والنحل (١/ ٩٤ـ ١٠٣) الشهرستاني الخطط (٢/ ٣٥٨) المقريزي، خبيئة الأكوان (ص٥٠ـ ٣٥) لصديق خان.

وإن قال: أول نعمة أنعم الله على العباد، الهداية والإسلام والسنة، فهو سنيّ[(١)].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[(٢)(٣)].

وقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ﴾[(٤)(٥)].

* * *

---

(١) في م «وإن قال: أول نعمة أنعم الله تعالى على العبد؛ أن هداه الإيمان، فهو سني».

(٢) سورة المائدة، آية: ١١.
وقد كتب في أصل المخطوطة: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ﴾، وميثاقه «وميثاقه ليس في آية (١١) المذكورة سابقاً، بل في الآية التي قبلها وهي: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ المائدة: ٧.

(٣) في الهامش كتب «ميثاقه» أي عهده، وهي ليست من تلك الآية كما ذكرتُ.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٤٣.

(٥) من قولنا: دليلنا: «إلى قوله: لولا أن هدانا الله» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

هذه المسألة اختلف فيها على أقوال:

فقال الأشاعرة: «أول نعم الله ـ تعالى ـ على خلقه الحي إدراك اللذات وسلامة الحواس، وقيل: ما ينتفعون به من الشهوات التي تميل إليها طباعهم، وتصلح عليها أجسامهم»[١].

وقد وافقهم على قولهم القاضي أبو يعلى من الحنابلة، فقال: «أول نعم الله على المؤمنين من النعم الدنيوية هي الحياة التي يتوصل بها إلى إدراك اللذات التي لا يتعقبها ضرر لأجلها»[٢].

وقالت المعتزلة أول نعمة أنعم الله ـ تعالى ـ بها على الحي خلقه إياه حياً؛ لينفعه بذلك[٣].

وقد وافق المعتزلة على قولهم بعض الأشاعرة، كما ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج الشيرازي في كتابه «التبصرة في أصول الدين»[٤].

وقال السفاريني: «أول نعم الله ـ تعالى ـ الدينية على المؤمن أن قدره على إرادة النظر والاستدلال لمعرفته»[٥].

---

(١) الإنصاف للباقلاني ص(١٧).
(٢) المعتمد (٢٧).
(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٨٣.
(٤) انظر: التبصرة ص (٢) تحقيق الدوسري.
(٥) لوامع الأنوار (١/ ١١٤).

وقال الشيخ عثمان النجدي في تعليقته في أصول الدين: «أول نعم الله الدينية وأعظمها أن أقدره على معرفته، وأول نعم الله الدنيوية الحياة العرية عن ضرر»[١].

وقد ذكر الشيخ أبو الفرج الأدلة على أن أول النعم على العباد هي الهداية والإسلام، فقال:

«دليلنا قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[٢].

وكذلك قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[٣].

فوجه الدلالة أن الله ـ تعالى ـ بدأ بذكر الإيمان فدل على أنها أول نعمة أنعم الله على العباد، ولأن القرآن نزل باللغة العربية، والعرب من شأنها أن تبدأ بالأهم فالمهم[٤].

دليل ثاني: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله ـ تعالى ـ خلق الخلق في ظلمة فألقى عليهم شيئاً من نوره فمن أصابه ذلك النور، اهتدى، ومن لم يصبه ذلك النور كان ضالاً مضلاً**»[٥].

---

(١) نجاة الخلف في اعتقاد السلف (٧٢) دار الصحوة ١٤٠٠هـ.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٧.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٢٢.

(٤) التبصرة ص ٤.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق الأمة، (٢٦٤٢) وآخره (ومن أخطأه ضل)، وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الإيمان (١/ ٣٠ـ ٣١)، =

ومنه قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[١]، قال المفسرون: عبدالله بن عباس وغيره يعني يختص بدين الإسلام من يشاء[٢].

فجعل ذلك خصوصية، فدل على أنه أول نعمة.

والدلالة على فساد مذهبهم هو أن الحياة لو كانت بمجردها نعمة لكانت حياة أهل النار في النار نعمة عليهم، فلما لم يثبت أنها نعمة عليهم فدلّ على أن الحياة بمجردها ليست نعمة.

والدلالة على فساد مذهب الأشعرية، هو أنا نجد النعم في نيل الشهوات واللذات مستدرجة في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

جاء في التفسير أنهم كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[٥].

قال أبو الفرج الشيرازي: «وإذا بطل هذان القسمان ثَبَتَ ما قلناه»[٦].

= وأحمد في المسند (٢/٦٦، ٢٧٧) كلهم من طريق عبدالله بن عمرو بن العاص، وقال الترمذي فيه: «هذا حديث حسن»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح، قد تداوله الأئمة وقد احتجنا بجميع رواته ثم لم يخرجاه، ولا أعلم له علة» ووافقه الذهبي في التلخيص.

(١) سور البقرة، آية: ١٠٥.

(٢) انظر: الدر المنثور (١/١٠٤).

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٨٢.

(٤) قال القرطبي في تفسيره (٧/٣٢٩) عن الضحاك، قال: (كلما جدّدوا معصية جددنا لهم نعمة).

(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

(٦) انظر: التبصرة (٣، ٤، ٥).

مسألة[١]: يُسأل: عن معرفة الله ـ تعالى ـ[٢] هل يعرف[٣] بالشرع أم[٤] بالعقل؟ فإن قال: بالشرع[٥]، فهو سني.

وإن قال: بالعقل، فهو معتزلي[٦][٧].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ الآية[٨]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾[٩] الآية[١٠]، وقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾[١١]، وقوله: ﴿ وَلَا تَقْفُ

---

(١) «مسألة» ليست في م.
(٢) في م «الباري».
(٣) في م «وجبت».
(٤) الصواب لغة «أو».
(٥) في م «وجبت بالشرع».
(٦) المعتزلة نشأت هذ الفرقة لما أظهر واصل بن عطاء بدعته وزعم أن الفاسق في منزلة بين منزلتين، وهما: الكفر والإيمان فطرده الحسن البصري من مجلسه فاعتزله عند سارية من ساوري المسجد، وانظم إليه قرينه عمرو بن عبيد، واسم الاعتزال يجمع عدة فرق في بدع شتى منها نفي الصفات عن الله تعالى، ونفي الرؤية، والقول بخلق القرآن، والقول بأن العباد يخلقون أفعالهم.
انظر: الفرق بين الفِرق (٩٣ـ ٩٨)، والفِصَل (٤/ ١٩٢).
(٧) في الحاشية «سميت معتزلة لاعتزالهم الحق، وقيل: لاعتزالهم أقاويل المسلمين».
(٨) سورة المائدة، آية: ٦٧.
(٩) في الحاشية: (المدثر) بقطيفة المتقنع فيها (فأنذر) كفار مكة وبعدها حرف (م) ولم أفهم المقصود منه.
(١٠) سورة المدثر، الآيتان: ١، ٢.
(١١) سورة الإسراء، آية: ١٥.

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا(١)﴾(٢)،
وقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ﴾(٣) الآية(٤).

* * *

---

(١) فوق كلمة «ولا تقف» كُتب: «أي لا تتبع»، وفوق كلمة «عنه» كتب «صح» إشارة إلى أنها سقطت أثناء النسخ، ثم أضافها الناسخ بعد المقابلة.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٣) سورة الشورى، آية: ٥٢.

(٤) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: ولا الإيمان» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

قال الشيخ أبو الفرج الشيرازي:

في كتابه التبصرة في بيان هذه المسألة: معرفة الله وجبت بالشرع دون العقل(١).

وقد علّق شيخ الإسلام ابن تيمية على قوله هذا، فقال: «حصول المعرفة بالشرع على وجوه: إحداها: أن الشرع ينبه على الطرق العقلية التي بها يعرف الصانع فتكون عقلية شرعية.

الثاني: أن المعرفة المنفصلة بأسماء الله وصفاته التي بها حصل الإيمان، تحصل بالشرع، كقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ﴾(٣)، وأمثال ذلك من النصوص التي تبيّن أن الله هدى العباد بكتابه المنزل على نبيه، وأما كون مجرد الوجوب بالشرع فلا يدل على إمكان الحصول بمجرد الشرع»(٤).

وما ذكره المؤلف عن المعتزلة أنهم يقولون: وجبت بالعقل دون

---

(١) انظر التبصرة (١٠)، ولوامع الأنوار (١/ ١١٣) وقد حكى أن ذلك قول أهل السنة، وشرح أصول الاعتقاد (٢/ ١٩٣).
(٢) سورة الشورى، آية: ٥٢.
(٣) سورة سبأ، آية: ٥٠.
(٤) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ١٩).

الشرع صواب.

قال القاضي عبدالجبار: «ومعرفته لا تنال إلا بحجة العقل»[١].

وقد أطال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتاب التبصرة في ذكر الأدلة على وجوب المعرفة بالشرع وممّا استدلّ به:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[٢].

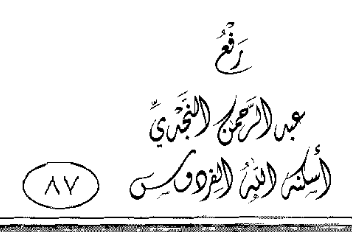
نفى إصابة العذاب مع عدم بعثة الرسول ـ عليه السلام ـ، وأثبت وقوعه مع بعثته، فلو كانت المعرفة وجبت بالعقل لكان قد قال: وما كنا معذبين حتى نرزقهم عقولاً فلما لم يقل ذلك دلّ على عدم حصوله بالعقل[٣].

وممّا استدل به قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾﴾[٤].

قال شيخ الإسلام في التعليق على هذا الاستدلال: «وهذه الآية وأمثالها تدل على أن السمع والأبصار والأفئدة لا تنفع صاحبها مع جحده بآيات الله، فتبيّن أن العقل الذي هو مناط التكليف، لا يحصل بمجرده الإيمان النافع، والمعرفة المنجية من عذاب الله، وهذا العقل

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة (٨٨).
(٢) سورة الإسراء، آية: ١٥.
(٣) انظر التبصرة (١٢).
(٤) سورة الأحقاف، آية: ٢٦.



شرط في العلم والتكليف لا موجب له»[١].

ومما استدلّ به: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**تعلمّوا العلم ففي تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لايعلم صدقه، به يعرف الله ويعبد، وبه يمجد الله ويوحد، وهو إمام العمل ومتابعة، يرفع الله به ـ تعالى ـ أقواماً فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتدى بهم ويُنتهى إلى رأيهم**»[٢].

قال أبوالفرج: «فوجه الدليل من قوله ـ عليه السلام ـ «به يعرف الله ـ تعالى ـ ويعبد»، أنه أثبت المعرفة بالعلم، فوجب أن يثبت به تصديقاً

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٢٠).

(٢) أخرجه ابن عبدالبر عن معاذ مرفوعاً في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٥)، وقال: وهو حديث حسن جداً ولكن ليس له إسناد قوي، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٥٧): رفعه غريب جداً وقال ابن عراف في تنزيه الشريعة (١/ ٢٨٢) معلقاً على كلام ابن عبدالبر فقال: قال العراقي في تخريج الإحياء قوله: حسن أراد حسن معناه لا الحسن المصطلح عليه عند المحدثين بدليل قوله: (ليس له إسناد قوي، فإن موسى بن عطاء نسب إلى الكذب والوضع، وعبدالرحيم متروك، ووالده مختلف فيه، والحسن لم يدرك معاذاً.
وجاء أيضاً من حديث عبدالله بن أوفى أخرجه المظفر الخزنوي في (فضائل القرآن)، وقال: (تعلموا القرآن) بدل العلم وهو منكر جداً.
وأخرجه أبونعيم في الحلية (١/ ٢٣٩) موقوفاً على معاذ من طريق أبي عصمة عن رجل سماه عن رجاء بن حيوة عن معاذ قال ابن عراف (١/ ٢٨٢)، أبوعصمة أحد الكذابين ورجاء لم يسمع من معاذ.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٢١).
«وهذا الكلام معروف عن معاذ رووه عنه بالأسانيد المعروفة وهو كلام حسن، ولكن روايته مرفوعاً فيها نظر».

له في قوله»[١].

قال شيخ الإسلام: معلقاً على استدلال المؤلف: «وهذا صحيح لاينازع فيه من يتصور ما يقول»[٢].

ومما استدل به: «هو أن المعرفة لو كانت حاصلة بالعقل لكان كل عاقل عارفاً بوحدانيته، فلمّا وجدنا جماعة من العقلاء كفاراً غير عارفين له به، دلّ على أن المعرفة لم تحصل بالعقول، ألا ترى أنّ ما يدرك بالنظر لا يختلف أرباب النظر فيه»[٣].

قال شيخ الإسلام: معلقاً على كلام المؤلف: «وهو كما قالوا، فإن الطرق القياسية العقلية النظرية، وإن كان منها ما يفضي إلى العلم، فهي لا تفصل النزاع بين أهل الأرض تارة لدقتها وغموضها، وتارة لأن النفوس قد تنازع في المقدمات الضرورية، ولهذا لم يأمر الله عند التنازع إلا بالرد إلى الكتب المنزلة، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[٤] فجعل الحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه: الكتاب المنزل من السماء»[٥].

---

(١) انظر: التبصرة (١٤).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٢١).
(٣) انظر: التبصرة (١٤).
(٤) سورة البقرة، آية: ٢١٣.
(٥) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ١٧ـ ١٨).

يُسأل: عن الخير والشر، هل هما من قضاء الله وقدره، أم من العبد ومن اللعين إبليس[(١)].

فإن قال: هما من الله[(٢)] فهو سني.

وإن قال: الخير من الله[(٣)] والشر من الناس[(٤)]، ومن إبليس[(٥)]، فهو معتزلي وقدري[(٦)(٧)].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ[(٨)]﴾[(٩)].

* * *

---

(١) في م «هل هما من الله أم من العبد».

(٢) في م «من الله تعالى».

(٣) في م «من الله تعالى».

(٤) في م «من العبد».

(٥) «ومن إبليس» ليست في م.

(٦) في الهامش «القدري الذي يقول المعاصي والشر ليس بقدر الله».

(٧) القدرية: لقب يطلق على من ينكر القدر وقد اشتهر ذلك في المعتزلة لأنهم زعموا أن الناس يخلقون أفعالهم استقلالاً، والرب ليس له فيها تقدير، وأصل الكلام في القدر ظهر في آخر عهد الصحابة.

انظر: الفرق بين الفرق (٢٥) البغدادي، البرهان (٢٦) السكسكي.

(٨) سورة النساء، آية: ٧٨.

(٩) من قوله: «دليلنا إلى قوله: من عند الله» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة(١):

أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله ـ تعالى ـ خالق أفعال العباد من خير وشر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾(٢)، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾(٣)، وأن الله ـ تعالى ـ يريد الكفر من الكافر، ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كوناً ولا يرضاه ديناً وشرعاً.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾(٥)، وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾(٦)، وقال: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾(٧)، وقال: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(٨).

---

(١) انظر شرح الطحاوية (٢٧٦ـ ٢٨٠).
(٢) سورة القمر، آية: ٤٩.
(٣) سورة الفرقان، آية: ٢.
(٤) سورة السجدة، آية: ١٣.
(٥) سورة يونس، آية: ٩٩.
(٦) سورة الإنسان، آية: ٣٠.
(٧) سورة الأنعام، آية: ٣٩.
(٨) سورة الأنعام، آية: ١٢٥.

وقال ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع، يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره»[١]، وفي حديث جبريل ـ الطويل ـ «قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[٢].

وقال ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره»[٣].

وقال ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعرشه على الماء»[٤].

قول المؤلف: إن المعتزلة يقولون: بأنّ الخير من الله والشر من الناس، ومن إبليس، في نسبة هذا القول لهم نظر، فإنهم يقولون العبد يخلق فعل نفسه من خير وشر ولا يفرقون».

قال القاضي عبدالجبار: وهو يتكلم عن خلق الأفعال.. «والغرض به الكلام في أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثون لها»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (كتاب القدر (٢١٤٥)، وأحمد (٧٦٠) وابن أبي شيبة في الإيمان (ح٣). بسند صحيح.
(٢) أخرج مسلم (كتاب الإيمان باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان ح(٨).
(٣) أخرجه أحمد (٦٦٦٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٣٣، ١٣٤) والآجري في الشريعة (١٨٨). بسند حسن.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ح (٢٦٥٣).
(٥) شرح الأصول الخمسة (٣٢٣).

وقال في المغني: «اتفق أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم من جهتهم، وأن الله ـ عز وجل ـ أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث لها سواهم»(١).

وحكى الشهرستاني: أنّ واصل بن عطاء يقول: «العبد هو الفاعل للخير والشر والإيمان والكفر والطاعة والمعصية، وهو المجازى على فعله والرب ـ تعالى ـ أقدره على ذلك كله»(٢).

وقال أبو المظفر الإسفراييني: في تفصيل مقالات المعتزلة والقدرية «ومما اتفقوا عليه: قولهم: إن أفعال العباد مخلوقة لهم، وأن كلّ واحد منهم من جملتهم الحيوانات خلق أفعاله»(٣).

وقال ابن حزم: «اتفق أهل العدل على أن العباد خالقون أفعالهم، وأن الله أقدرهم على ذلك»(٤).

وقال الأشعري: «أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لم يخلق الكفر والمعاصي، ولا شيئاً من أفعال غيره»(٥).

قال شيخ الإسلام: «ومن توهم عنهم أو من نقل عنهم أن الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهل بمذهبهم، فإن هذا لم يقله أحد

---

(١) المغني (٨/ ٣).
(٢) الملل والنحل (١/ ٤٧).
(٣) التبصير في الدين (٦١).
(٤) الفصل (٣/ ٤١).
(٥) المقالات (١/ ٢٧٣).

من علماء القدرية ولا يمكن أن يقوله، فإن أصل قولهم: أنّ فعل العبد للطاعة كفعله للمعصية، كلاهما فعله بقدرة تحصل من غير أن يخصه الله بإرادة خلقها فيه، ولا قوة جعلها فيه تختص بأحدهما»[١].

إلاّ أن القول بأن الخير من الله والشر من النفس قد نُسب لإحدى فرق القدرية، فقد قال الملطي: «وأما القدرية فهم سبع فرق وهم أصناف، فصنف منهم يزعمون أن الحسنات من الله والخير من الله، والشر والسيئات من أنفسهم لكي لا ينسبوا إلى الله شيئاً من السيئات والمعاصي، ويتكلمون بأشياء لا أستجيز ذكرها تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً»[٢].

ويبدو أن القول بأنّ الخير من الله والشر من النفس ومن إبليس؛ قول القدرية الأولى، فقد روى اللالكائي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلاً قدم عليه يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه، وهو يومئذٍ أعمى، فقالوا له: ما تصنع به؟ فقال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضَّ أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته بيدي لأدقنها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كأني بنساء بني فهم يطفن بالخزرج تصطك ألياتهن مشركات، وهذا أول شرك في الإسلام**»، والذي نفسي بيده لينتهي بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يقدر الخير كما أخرجوه من أن يقدر الشر»[٣].

---

(١) الفتاوى (٨/ ١١٦).
(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (١٥٧) ط الكوثري.
(٣) شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٦٢٥).

وعن رافع بن خديج رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «يكون قوم من أمتي يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعرون كما كفرت اليهود والنصارى، قال: قلت: جعلت فداك يارسول الله وكيف ذاك، قال: يقرون ببعض القدر ويكفرون ببعضه، قال: قلت: ثم ما يقولون؟ قال: يقولون: الخير من الله والشر من إبليس ثم يقرأون على ذلك كتاب الله ويكفرون بالقرآن»(١).

وروى الخلاّل في كتاب السنة: أن رجلاً قال لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: إن عندنا أقواماً يقولون: إن الله خلق الخير ولم يخلق الشر، ويقولون: القرآن مخلوق، فقال: هذا كفر، هؤلاء قدرية جهمية، الخير والشر مقدر على العباد، قيل له: الله خالق الخير والشر؟، قال: نعم، الله قدّره(٢).

استدل المؤلف ـ رحمه الله ـ على مذهب أهل السنة بقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ﴾(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/٦٢٥) وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢٠٢): «رواه الطبراني بأسانيد في أحسنها ابن لهيعة وهو لين الحديث». وأخرجه الآجري في الشريعة (١٩٢) وفيه ابن لهيعة إلا أن الرواي عنه هو عبدالله بن يزيد المقري، وقد قال ابن حجر في التهذيب (٥/٣٧٨)، رواية العبادلة عن ابن لهيعة مقبولة وذكر منهم عبدالله بن يزيد».

(٢) السنة (٣/٥٤٣).

(٣) سورة النساء، آية: ٧٨.

ووجه استدلاله بها: أن الله جعل الحسنات من عنده كما جعل السيئات من عنده، والقدرية لا يقولون بذلك في الأعمال بل في الجزاء.

وقد فرّق الله بين الحسنة التي هي النعم وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله وهذه من نفس الإنسان: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾[١]، لأن الحسنة مضافة إلى الله إذ هو أحسن بها من كل وجه، فما من وجه من أوجهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة، فهو إنما يخلقها لحكمة وهي باعتباره مالك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وخير[٢].

وقد بسط المؤلف ـ رحمه الله ـ هذه المسألة في كتاب التبصرة، وحشد الأدلة التي تدل على مذهب السلف.

ومما استدل به في الرد على من يقول: الخير من الله والشر من العبد ومن إبليس: «هو أنا نقول: إنه لا يجوز أن يكون في داره ما لا يريد كما لا يجوز أن يكون في داره مالا يعلم»[٣].

«وأنه لا يجوز أن يكون من فعل خلقه ما لا يريد كما لا يجوز أن يكون من فعل نفسه ما لا يريد»[٤].

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٩.
(٢) انظر: التبصرة (٢٨ـ ٢٩).
(٣) التبصرة (٢٨).
(٤) المصدر نفسه (٢٩).

ومما استدل به: «أنهم جعلوا إرادة إبليس وإرادة أنفسهم أقوى من إرادة الله ـ تعالى ـ وأغلب، فقالوا: أراد إبليس المعاصي فوجدت، وأراد الله أن لا يكون ذلك فكان، فجعلوا إبليس وأنفسهم أقوى من الله وأغلب وقد اعترف عبّاد الأصنام على أن الخير والشر من الله تعالى.

فقال عنترة:

يــا عبــد أيــن مــن المنيــة مهــربــي إن كان ربي في السماء قضاها[1][2]

ومما استدل به «أنه لو كانت المعصية بغير إرادته للحقه الضعف والعجز والوهن والقصور عن بلوغ مراده، والله ـ سبحانه وتعالى ـ عزّ عن ذلك علواً كبيراً»[3].

والذي حمل المعتزلة والقدرية والرافضة على قولهم شبهة أن الله لو كان خالقاً لأفعال العباد لكان ظالماً، لأن في أفعالهم الظلم والله ـ تعالى ـ منزه عن ذلك[4].

والجواب عن هذه الشبهة أن يقال:

لا نزاع بين المسلمين أن الله عادل ليس ظالماً، لكن ليس كل ما كان ظلماً من العبد يكون ظلماً من الرب، ولا ما كان قبحاً من العبد

---

(١) المصدر نفسه (٢٩).
(٢) انظر: ديوان عنترة (١١٥) ط. أمين الحولي.
(٣) التبصرة (٢٩).
(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة (٣٤٥).

يكون قبيحاً من الرب، فإن الله ـ تعالى ـ ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله[١].

ويقال: إن قياسكم أفعال الله على أفعال العباد خطأ ظاهر، لأن السيد إذ أمر عبده بأمره فهو لحاجته إلى ذلك، فإذا أثابه على ذلك كان من باب المعاوضة وليس له حكمة يطلبها إلا حصول ذلك المأمور به، فإذا قدَّر أنه لم يعوِّض المأمور كان ظالماً، والله غني عن العباد إنما أمرهم بما ينفعهم، ونهاهم عما يضرهم فهو محسن إلى عباده بالأمر لهم، محسن لهم بإعانتهم على الطاعة، فإن أعانهم على فعل المأمور كان قد أتّم النعمة على المأمور، وإن لم يعنه وخذله حتى فعل الذنب كان له في ذلك حكمة أخرى، وإن كانت مستلزمة تألم هذا، فإنما تألم بأفعاله الاختيارية التي من شأنها أن تورثه نعيماً أو ألماً، وإن كان ذلك الإيراث بقضاء الله وقدره، فلا منافاة بين هذا وهذا، فجعله مختاراً من كمال قدرته وحكمته، وترتيب آثاره الاختيارية عليه من تمام حكمته وقدرته.

لكن يبقى الكلام في نفس الحكمة الكلية في هذه الحوادث، فهذه ليس على الناس معرفتها، ويكفيهم التسليم لمّا قد علموا أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

ومن المعلوم ما لو علمه كثير من الناس لضرهم علمه، وليس

---

(١) انظر: التبصرة (٣٢).

اطِّلاع كثير من الناس بل أكثرهم على حكم الله في كل شيء نافعاً لهم بل قد يكون ضاراً، قال تعالى: ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[1][2].

* * *

(١) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٢) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٣/٣٧ـ ٣٨ـ ٣٩).

يُسأل عن الإيمان، ما هو[١]؟

فإن قال: الإيمان[٢] قول، وعمل، ونية، وموافقة السنة[٣]، فهو سنّي.

وإن قال: اعتقاد بالقلب، فهو أشعري.

وإن قال: قول بلا عمل، فهو مرجىء[٤][٥].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾[٦][٧].

* * *

---

(١) «ما هو» ليست في م.

(٢) «الإيمان» ليست في م.

(٣) «وموافقة السنة» ليست في م.

(٤) في الهامش: «وإنما سموا مرجئة لأنها زعمت أن الواحد من المكلفين إذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وفعل بعد ذلك سائر المعاصي، لم يدخل النار».

(٥) سُمي المرجئة بذلك لقولهم بالإرجاء، وأصل الإرجاء التأخير وذلك أنهم قالوا: إن الإيمان هو بالقلب وإن تأخر الإقرر باللسان والعمل بالجوارح أو فقد، وقالوا بناءً على هذا لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وأجمعوا على أنه لا يدخل النار إلا الكفار.
انظر: البرهان (١٧) والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٩)، ومقالات الإسلاميين (١/ ٢١٣).

(٦) من قوله: «دليلنا إلى قوله... ثم اهتدى» ليست في م.

(٧) سورة طه، آية: ٨٢.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف: هو قول أهل السنة والجماعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «ومن هذا الباب: أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح»[(١)].

قال ابن رجب «والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان»[(٢)].

وأقوال السلف جميعها على أن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال سهل بن المتوكل الشيباني: أدركت ألف أستاذ أو أكثر، كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[(٣)].

وقال يعقوب بن سفيان: أدركت أهل السنة والجماعة على ذلك.

قال الآجري: «اعلموا ـ رحمنا الله وإياكم ـ أنَّ الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب،

---

(١) كتاب الإيمان (١٦٢) ط المكتب الإسلامي.
(٢) جامع العلوم والحكم (٢٣).
(٣) شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٩٥٧).

وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح»[١].

قال ابن عبدالبر: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمـل، ولا عمـل إلا بنيـة، والإيمـان يـزيـد بـالطـاعـة وينقـص بالمعصية»[٢].

وقال الشافعي: «كان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزىء واحد من الثلاث إلا بالآخر»[٣].

ما ذكره المؤلف من أن مذهب الأشاعرة أنهم يقولون: الإيمان هو اعتقاد القلب صواب، فقد قال الباقلاني: «واعلم أن حقيقة الإيمان هو التصديق والدليل عليه قوله تعالى إخباراً عن إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[٤]، أي بمصدِّق لنا، وأيضاً أن الرسول ـ عليه السلام ـ لما أخبر عن كلام البقرة والذئب فقال: أنا أؤمن به وأبوبكر وعمر يريد أصدق، وأيضاً قول أهل اللغة: فلان يؤمن بالبعث والجنة والنار أي يصدق به وفلان لا يؤمن بعذاب الآخرة أي لا يصدق به»[٥].

قال أبوالحسن الأشعري: «إن قال قائل: ما الإيمان عندكم بالله

---

(١) الشريعة (١١٩) ط السنة المحمدية.
(٢) التمهيد (٩/٢٣٩).
(٣) الإيمان (١٩٧) لابن تيمية وقد عزاه إلى كتاب الأم ولم أجده في المطبوع.
(٤) سورة يوسف، آية: ١٧.
(٥) الإنصاف (٥٥).

ـ تعالى ـ، قيل له: هو التصديق بالله وعلى ذلك إجماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[(١)]، أي بمصدق لنا، وقالوا جميعاً: فلان يؤمن بعذاب القبر والشفاعة يريدون يصدق بذلك؛ فوجب أن يكون الإيمان هو ما كان عند أهل اللغة إيماناً وهو التصديق»[(٢)].

وقال المكلاتي: «والمختار عندنا أن الإيمان: هو التصديق»[(٣)].

وقال الجويني: «والمرضي عندنا أن حقيقة الإيمان: التصديق بالله فالمؤمن بالله من صدقة»[(٤)].

قول المؤلف: «وإن قال قول بلا عمل فهو مرجىء».

قال الأشعري في المقالات: «والفرقة الثانية عشرة من المرجئة الكُرامية أصحاب محمد بن كرام، يزعمون: أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب»[(٥)].

قال شيخ الإسلام: وهو يذكر أقوال المرجئة في مسمى الإيمان «... وصنف يقولون هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لأحد قبل

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٧.
(٢) اللُمع (٧٥) الأشعري.
(٣) لباب العقول في الرد على الفلاسفة (٣٨٧) د. فوقية حسين وانظر: غاية المرام (٣٠٩) الآمدي.
(٤) الإرشاد (٣٩٧).
(٥) المقالات (٢/ ٢٢٣).

الكرامية»[١].

ولا ريب أن الحق في هذه المسألة هو قول أهل السنة والجماعة، وهو إجماع السلف، والأدلة عليه متظاهرة، فمنها ما استدل به المولف وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[٢].

ووجه الدلالة: أن الله شرط المغفرة بالإيمان بالقلب، والعمل بالجوارح، ثم الاستقامة على ذلك، وعدم الشك فيه كما قال سفيان الثوري: «كنا نسمع قوله عز وجل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ أي من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ أي بعد الشرك ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ صلّى وصام ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ مات على ذلك»[٣].

ومن أدلة أهل السنة على قولهم قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[٤].

والمراد يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، فسمى الصلاة إيماناً[٥].

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ

---

(١) الفتاوى (٧/ ١٩٥).
(٢) سورة طه، آية: ٨٢.
(٣) تفسير القرطبي (١١/ ٢٣١) طبعة الرياض الحديثة.
(٤) سورة البقرة، آية: ١٤٣.
(٥) تفسير ابن كثير (١/ ٢٧٨) وانظر: الدر المنثور (١/ ١٤٦).

وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[1].

فأثبت الله في هذه الآية أن الإيمان يزيد، وأن الأعمال داخلة في مسماه.

ومن الأدلة قوله ﷺ: «**من أعطى لله، ومنع لله، وأوحب لله، وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه**»[2].

فدل على أن الإيمان ينقص ويكمل، والأعمال منه.

ومن الأدلة: أنا أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ استباح قتل مانعي الزكاة، وأجمعت الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك، فلو كان الإيمان قولاً بلا عمل ـ كما قالت المرجئة ـ، أو اعتقاداً كما قالت الأشعرية ـ لما جاز قتلهم وقتالهم[3].

* * *

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ ـ ٤.

(٢) أخرجه الترمذي (في كتاب صفة القيامة) ح (٢٥٢٢) من حديث معاذ الجهني وقال: حديث حسن والإمام أحمد في المسند من حديث معاذ الجهني ح (١٥١٩، ١٥٢١١).

(٣) انظر: التبصرة (٤١) لأبي الفرج الشيرازي.

يُسأل: عن الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله أو صمت أو صليت إن شاء الله.

فإن قال به: فهو سني.

وإن أنكر الاستثناء[١]، فهو أشعري[٢].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[٤]، ولم يكن ذلك الاستثناء شكاً في الوعد، وإنما كان تحقيقاً له[٥].

* * *

---

(١) في م «وإن أنكره».
(٢) في م زيادة «أو مرجىء».
(٣) سورة الحجرات، آية: ١٤.
(٤) سورة الفتح، آية: ٢٧.
(٥) من قوله: «دليلنا...» إلى قوله: «تحقيقاً له» ليست في م.

....

دراسة المسألة:

مذهب أهل السنة والجماعة: هو ما قرره المؤلف من أنَّ الاستثناء في الإيمان جائز ومشروع.

قال يحيى بن سعيد القطان: «ما أدركت أحداً من أصحابنا، ولا بغلنا إلا على الاستثناء»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما مذهب سلف أصحاب الحديث كابن مسعود وأصحابه، والثوري، وابن عيينة، وأكثر علماء الكوفة، ويحيى بن سعيد القطان، فيما يرويه عن علماء أهل البصرة، وأحمد بن حنبل، وغيره من أئمة السنة، فكانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواتر عنهم...»[٢].

والذي حمل السلف على الاستثناء في الإيمان، ليس الشك في الإيمان وحاشاهم من ذلك، وإنما حملهم على ذلك مآخذ:

المأخذ الأول: يفسره قول الإمام أحمد: «أذهب إلى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الإيمان؛ لأن الإيمان قول وعمل، والعمل الفعل فقد جئنا بالقول ونخشى أن نكون قد فرطنا في العمل، فيعجبني أن نستثني في الإيمان، بقول: أنا مؤمن إن شاء الله»[٣].

---

(١) السنة (٣/ ٥٩٥) للخلال.

(٢) الفتاوى (٧/ ٤٣٨).

(٣) السنة (٣/ ٦٠٠) للخلال.

المأخذ الثاني: أنهم لا يعلمون هل تقبلت أعمالهم أم لم تقبل؟

قال ابن بطة: «فهذه سبيل المؤمنين وطريق العقلاء من العلماء لزوم الاستثناء والخوف والرجاء، لا يدرون كيف أحوالهم عند الله، ولا كيف أعمالهم مقبولة هي أم مردودة، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾[(١)]﴾»[(٢)].

المأخذ الثالث: بعدهم عن تزكية أنفسهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا قال الرجل: أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين القائمين بفعل جميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه وشهادته لنفسه بما لا يعلم، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي له أن يشهد لنفسه بالجنة إن ماتُ على هذا الحال، ولا أحد يشهد لنفسه بالجنة فشهادته لنفسه بالإيمان كشهادته لنفسه بالجنة إذا مات على هذه الحال، وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون»[(٣)].

المأخذ الرابع: أن الاستثناء يجوز في الأمور المتيقنة التي لا شك فيها، وقد جاءت السنة بمثل هذا لما فيه من الحكمة[(٤)].

عن محمد بن الحسن بن هارون قال: سألت أبا عبدالله عن

---

(١) سورة المائدة، اية: ٢٧.
(٢) الإبانة (٢/ ٨٧٢).
(٣) الفتاوى (٧/ ٤٤٦).
(٤) الفتاوى (٧/ ٤٥٠).

الاستثناء في الإيمان؟

فقال: نعم الاستثناء على غير معنى شك مخافةً واحتياطاً للعمل، وقد استثنى ابن مسعود وغيره، وهو مذهب الثوري، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1] وقال النبي ﷺ: «**إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله**»[2]، وقال في البقيع: «**عليه تبعث إن شاء الله**»[3][4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحاً كلام الإمام أحمد هذا: «فقد بيَّن أحمد أن يستثني مخافة واحتياطاً للعلم، فإنه يخاف أن لا يكون قد كمل المأمور به، فيحتاط بالاستثناء، وقال على غير معنى شك يعني من غير شك مما يعلمه الإنسان من نفسه، وإلا فهو يشك في تكميل العمل الذي خاف أن لا يكون كمّله، فيخاف من نقصه ولا يشك في أصله»[5].

قال أبو الفرج الشيرازي: «فإن قيل فقد تحقق بإتيان الإيمان فكيف يجوز أن يستثنى؟

فالجواب: هو أنا قد بينَّا أن الاستثناء لا ينفي التحقيق، وإنما هو

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب صحة صوم من طلع عليه الفجر (١١١٠) وأحمد (٢٣٨٦٤) (٢٥٥٥٢) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٦٨)، وأحمد (٨٥٥١)، جزء من حديث في ذكر فتنة القبور.

(٤) السنة (٣/ ٥٩٣) الخلال.

(٥) الفتاوى (٧/ ٤٥٠).

ترجي وتذلل إلى الله تعالى، والاستثناء لم يقع بشك في الفعل، وإنما وقع خوفاً من الخاتمة، وخوفاً من عدم القبول، فإذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله فيكون معناه، إن قبل الله ـ تعالى ـ إيماني وأمانتي عليه وكذلك قوله: «صليت إن شاء الله ـ تعالى ـ» معناه إن قبل الله صلاتي، وقوله: أصلّي إن شاء الله ـ تعالى ـ أي إن يسر الله ـ تعالى ـ ذلك، وقد قال الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ: الاستثناء ليس بشك، وليس بداخل في الشك، وإنما توقع وترج، فإن قيل كما جاز أن يقول: أنا حي حقاً، جاز أن يقول أنا مؤمن حقاً[١].

والجواب: أنا نقول ليس للحياة وغيرها عاقبة مغيبة عنه، فيستثني لأجلها، وليس كذلك في الإيمان، فإن له عاقبة مغيبة عنه وقبول أفعاله وموته على ذلك فلذلك جاز الاستثناء»[٢].

نسب المؤلف القول بإنكار الاستثناء في الإيمان للأشاعرة، والمشهور عنهم أنهم يقولون بوجوب الاستثناء[٣].

والذين ينكرون الاستثناء في الإيمان هم المرجئة والجهمية والماتريدية[٤].

---

(١) انظر: الشريعة (١٣٨) للآجري.
(٢) التبصرة (٦٥).
(٣) انظر: الإنصاف (٦٠) والروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية (٨) ونسبه لهم ابن أبي شريف القدسي في المسامرة (٢٨٣).
(٤) انظر: التوحيد (٣٨٨) الماتردي، وفيه «قال الماتريدي: الأصل عندنا قطع القول بالإيمان وبالتسمي به بالإطلاق وترك الاستثناء فيه».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الاستثناء في الإيمان بقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، فالناس فيه على ثلاثة أقوال: منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجوز الأمرين باعتبارين، وهذا أصح الأقول، فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم، ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك ما في قلبه»[١].

وقد استدل ـ رحمه الله ـ على الاستثناء في الإيمان بدليلين:

أما الأول: فقوله تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾[٢].

قال ابن كثير: «هؤلاء الأعراب المذكورون في هذه الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه، فأدبوا على ذلك»[٣].

فدل على أن مقام الإيمان درجة ليس كل مسلم يبلغها، ولا يعلم ذلك فله أن يستثنى في إيمانه كما هو متقرر عند السلف.

أما الثاني: فقوله تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[٤].

---

(١) الإيمان (٤١٠).
(٢) سورة الحجرات، آية: ١٤.
(٣) تفسير ابن كثير (٧/٣٦٨).
(٤) سورة الفتح، آية: ٢٧.

ووجه الدلالة: أن الله استثنى في الأمور المتيقنة المتحققة لا محالة، فالاستثناء فيما دونها أولى، ولهذا قال الإمام أحمد لما قيل له: يُستثنى في الإيمان؟ قال: نعم، أقول أنا مؤمن إن شاء الله، استثني على اليقين لا على الشك، ثم قال: قال الله: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[1]، فقد أخبر الله ـ تعالى ـ أنهم داخلون المسجد الحرام[2].

* * *

(١) سورة الفتح، آية: ٢٧.
(٢) الفتاوى (٧/ ٤٥٢).

يُسأل: عن الإيمان، فإن قال: الإيمان[١] يزيد وينقص، فهو سني.

وإن قال: هو قائم لا يزيد ولا ينقص، فهو مرجيء كافر مبتدع[٢][٣].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ﴾[٤].

وقوله: على أنه ينقص: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾[٥]، الآية وقوله: ﴿إِنَّمَا

---

(١) «الإيمان» ليست من م.

(٢) في م «وإن أنكره فهو مبتدع».

(٣) رحم الله المؤلف فإطلاقه حكم الكفر على المرجئة فيه نظر، فإنه حكم شرعي لا يطلق لفظه إلا بدليل واضح وبعد إقامة الحجة، وهم لا ينكرون آيات زيادة الإيمان وإنما يتأولونها تأويلاً يخالف ما عليه سلف الأمة.

قال شارح الطحاوية (٣٥٦) في شرح كلام الطحاوي: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب عمله» وقال: «... وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال ـ يعني الكفر بالكبائر ـ لكن في الاعتقادات البدعية وإن كان صاحبه متأولاً، فيقولون: يكفر كل من قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطىء وغيره، أو يقولون: يكفر كل مبتدع، وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات أمور عظيمة، فالنصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء ـ يعني المرجئة ـ لا تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك... حتى قال: والمقصود هنا أن البدع هي من هذا الجنس، فإن الرجل يكون مؤمناً باطناً وظاهراً لكن تأول تأويلاً، أخطأ فيه إما مجتهداً وإما مفرطاً مذنباً فلا يقال: إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي...». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الرسائل والمسائل ـ الكيلانية (١٣): «وأما المرجئة فلا تحتلف نصوص أحمد أنه لا يكفرهم فإن بدعهم من جنس اختلاف الفقهاء في الفروع».

(٤) سورة الفتح، آية: ٤.

(٥) سورة النور، الآيتان: ٤، ٥.

ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[١] الآية[٢].

* * *

(١) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٢) من قوله: «دليلنا. . .» إلى قوله: «. . وجلت قلوبهم. . . الآية» ليس في م.

دراسة المسألة:

مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعة: هو ما قرره المؤلف من أن الإيمان يزيد وينقص والأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ متظاهرة في الدلالة على ذلك.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[١]، وقال: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[٢]، وقال: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾[٣].

وأما الأدلة من السنة فقد ساق البخاري في ـ باب زيادة الإيمان ونقصانه ـ حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برّة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**»[٤].

ومن الأدلة: حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢.
(٢) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٤، ١٢٥.
(٣) سورة مريم، آية: ٧٦.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه ح(٤٤).

رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»[(١)].

قال عمير بن حبيب الخطمي ـ رضي الله عنه ـ: «الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عزَّ وجل وحمدناه وخشيناه فذلك زيادته، فإذا غفلنا وضيّعنا فذاك نقصانه»[(٢)].

«وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ ربما يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: قم بنا نزدد إيماناً»[(٣)].

قال سفيان بن عيينة: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة: يا أبا محمد تقول ينقص؟ فقال: اسكت ياصبي! بل ينقص، حتى لا يبقى منه شيء»[(٤)].

قال ابن منده ـ رحمه الله ـ: «والعباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال والمراقبة لله في السر والعلانية، وترك اعتقاد المعاصي، فمنها قيل: الإيمان يزيد وينقص»[(٥)].

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «فالأمر الذي عليه السنَّة عندنا ما نصّ عليه علماؤنا ممّا اقتصصناه في كتابنا: هذا أنّ الإيمان بالنية والقول والعمل جميعاً، وأنه درجات بعضها فوق بعض، إلا أن أولها

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب زيادة الإيمان ونقصانه (٥/ ٦٠) ح(٤٦٨٢) بسند حسن.
(٢) الإيمان (٧) لابن أبي شيبة والشريعة (١١١، ١١٢) للآجري.
(٣) الإيمان (٣٦) لابن أبي شيبة والشريعة (١١٢) للآجري.
(٤) الشريعة (١١٧) للآجري والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٧١).
(٥) الإيمان (١/ ٣٠٠).

وأعلاها الشهادة باللسان كما قال ﷺ في الحديث الذي جعله فيه بضعةً وسبعين جزءاً، فإذا نطق بها القائل، أقرَّ بما جاء من عند الله، لزمه اسم الإيمان بالدخول فيه بالاستكمال عند الله لا على تزكية النفوس، وكلّما ازداد لله طاعة وتقوى ازداد به إيماناً»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقرآن نطق بالزيادة في غير موضع ودلت النصوص على نقصه كقوله: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، لكن لم يعرف اللفظ إلا في قوله في النساء «ناقصات عقل ودين»، وجعل من نقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي، وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص»[٢].

وقد خالف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة المرجئة والجهمية فقالوا: «لا يزيد ولا ينقص».

قال الأشعري: «وزعمت الجهمية... أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه»[٣].

قال أبو الحسن الملطي في باب ذكر المرجئة: «وقد ذكرت المرجئة في كتابنا هذا أولاً وآخراً، إذ قولها خارج من التعارف والعقل، ألا ترى أنّ منهم من يقول: من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وحرّم ما حرّم الله، وأحل ما أحلّ الله، دخل الجنة، إذا

---

(١) الإيمان (٦٦).
(٢) الفتاوى (١٣/ ٥١).
(٣) المقالات (١/ ٢١٤) م النهضة.

مات وإن زنى وإن سرق، وقتل، وشرب الخمر، وقذف المحصنات وترك الصلاة، والزكاة، والصيام، إذا كان مقراً بها يسوف التوبة لم يضره وقوعه على الكبائر، وتركه الفرائض وركوبه الفواحش، وإن فعل ذلك استحلالاً كان كافراً بالله مشركاً، وخرج من إيمانه وصار من أهل النار، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وإيمان الملائكة والأنبياء والأمم وعلماء الناس وجُهَّالهم واحد لا يزيد منه شيء على شيء أصلاً»[1].

قال سليم بن منصور:

أيها القائل إني مؤمن إنما الإيمان قولٌ وعملُ
إنما الإرجاء دين محدث سنةُ جهمَ بنِ صفوانَ فخَلْ[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجهم وأتباعه إنما قالوا بهذا القول؛ لأن الإيمان عندهم مجرد التصديق، فمن صدّق بقلبه فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان، وإن تكلم بالكفر وسب الله ورسوله ﷺ وسخر بالدين، وأحل المحرمات، وفعل غير ذلك من الأمور التي هي كفر بواح.

والتصديق عندهم يتساوى فيه العباد، ولا يقبل الزيادة والنقصان، فهو إما أن يعدم وإما أن يوجد، ولا يقبل التبعيض، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، ولا يتفاضل الناس فيه، فإيمان الملائكة والأنبياء والصديقين، وإيمان فساق الأمة وأهل الخنا والفجور سواء»[3].

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء (٤٧ ـ ٤٨).
(٢) شرح أصول الاعتقاد (٣/ ١٨٥٣) اللالكائي وانظر: الإيمان لأبي يعلى (٢٧٥).
(٣) الفتاوى (٧/ ٨٥٢).

قال سفيان الثوري: «اتقوا هذه الأهواء، قيل له بيِّن لنا رحمك الله فقال: أما المرجئة فيقولون: الإيمان كلام بلا عمل، من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فهو مؤمن مستكمل الإيمان، إيمانه على إيمان جبريل والملائكة، وإن قتل كذا وكذا مؤمناً، وإن ترك الغسل من الجنابة، وإن ترك الصلاة»[(١)].

قال ابن بطه العكبري: «احذروا رحمكم الله من يقول: أنا مؤمن عند الله، وأنا مؤمن كامل الإيمان، ومن يقول إيماني كإيمان جبريل وميكائيل، فإن هؤلاء مرجئة أهل ضلال وزيغ وعدول عن الملة»[(٢)].

قيل لعبد الله بن أبي ملكية: يا أبا محمد إن ناساً يجالسونك يزعمون أن إيمانهم كإيمان جبريل، فغضب ابن أبي مليكة، فقال: والله ما رضي الله لجبريل حتى فضله بالثناء على محمد ﷺ فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾[(٣)]، يعني محمداً ﷺ، أفأجعل إيمان جبريل وميكائيل كإيمان فهدان[(٤)]، لا والله ولا كرامة»[(٥)].

قال الآجري معلقاً على هذا الأثر بعد روايته: «ومن قال هذا فقد أعظم الفرية على الله، وأتى بضد الحق وبما ينكره جميع العلماء لأن

---

(١) شرح أصول الاعتقاد (٣/ ١٨٣٤) اللالكائي.
(٢) الإبانة (٢/ ٨٩٩) ت الاثيوبي.
(٣) سورة التكوير، الآيات: ١٩ـ ٢٢.
(٤) فهدان: رجل مشهور بفسقه.
(٥) أبوعبيد في الإيمان (٧٠) والآجري في الشريعة (١٤٧).

قائل هذه المقالة يزعم أنَّ من قال: لا إله إلا الله لم تضره الكبائر أن يعملها، ولا الفواحش أن يرتكبها، وأن عنده أن البارّ التقي الذي لا يباشر من ذلك شيئاً والفاجر يكونان سواء، وهذا منكر قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، وقال عزَّ وجل ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

فقل لقائل هذه المقالة المنكرة: يا ضال يا مضل إنَّ الله عزَّ وجل لم يسوّ بين الطائفتين من المؤمنين في أعمال الصالحات حتى فضّل بعضهم على بعض درجات، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾[3]، فوعدهم الله كلهم بالحسنى بعد أن فضل بعضهم على بعض وقال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ ﴾[4]، ثم قال: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾[5] وكيف يجوز لهذا الملحد في الدين أن يسوي بين إيمانه وإيمان جبريل وميكائيل، ويزعم أنه مؤمن حقاً»[6].

---

(١) سورة الجاثية، آية: ٢١.

(٢) سورة ص، آية: ٢٨.

(٣) سورة الحديد، آية: ١٠.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٥) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٦) الشريعة (١٤٧ـ ١٤٨) الآجري.

يُسأل: عن العبد، هل يكفر بالمعصية، أم[1] لا؟

فإن قال: لا يكفر بالمعصية، فهو سنّي[2]. وإن قال: يكفر، فهو معتزلي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[4].

إلى قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[5].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[6].

وقوله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، ما لم يكن في دينهم**

---

(١) الصواب: لغة أن يقال: «أو» فإنه لا يعطف بأم إلا بعد همزة التسوية قال ابن مالك: «وأم بها أعطف إثر همز التسوية أو همزة عن لفظ «أيّ مغنية» كقولك: سواء عليّ أقمت أم قعدت، والتي تقع بعد همزة مغنية عن أيّ نحو: أزيد عندك أم عمرو أي: أيهما عندك».
انظر: شرح ابن عقيل (٣/ ٢٢٩).

(٢) في م «فإن قال: لا يكفر بالمعصية بل ينقص إيمانه فهو سني».

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨، ٧٠.

(٤) في الحاشية: «فغوى» أي: فضلّ وتولّى عن طاعته، مقاتل» وكأنه يشير إلى أن التفسير من كلام مقاتل.

(٥) سورة طه، الآيتان: ١٢١ـ ١٢٢.

(٦) سورة النساء، آية: ٤٨، ١١٦.

بدعة[(١)(٢)].

* * *

(١) هذا الحديث بزيادة «ما لم يكن في دينهم بدعة» (لم أجده بهذا اللفظ) ولفظ «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».
أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة من حديث أنس ح (٢٤٣٥) وقال حسن غريب من هذا الوجه، وله شاهد من حديث جابر (٢٤٣٦) قال الترمذي: حسن غريب وابن ماجه في كتاب الزهد باب الشفاعة ح (٤٣١٠).
والآجري في الشريعة (٣٣٨) وابن خزيمة في التوحيد (٢٧١) وابن أبي عاصم في السنة ح (٨٣٢). واسناد الحديث صحيح. وروى ابن وضاح ص٣٦ في كتابه البدع من طريق أبي عبدالسلام عن بكر المزني مرفوعاً: «حلت شفاعتي لأمتي إلا صاحب بدعة» وبكر تابعي لم يدرك النبي ﷺ وسنده ضعيف، فأبو عبدالسلام صالح بن رستم الهاشمي مجهول كما في التقريب (٢٨٦٠).

(٢) من قوله: «دليلنا...» إلى قوله: «... (ما لم يكن في دينهم بدعة)» ليس في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف: هو معتقد أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾[١]، وقال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾[٢]، ولا يسلبون الفاسق المليَّ الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[٣]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[٤]، وقوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا**

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٨.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٢.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢.

يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»[١]. ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الإسلام المطلق ولا يسلب الإسم المطلق»[٢].

قال الإمام أبو إسماعيل الصابوني: «ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة: صغائر وكبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله ـ عز وجل ـ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة، سالماً غانماً، غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتبسه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار»[٣].

قال الإمام أبو القاسم الاصبهاني: «فصل في بيان أن المسلمين لا يضرهم الذنوب إذا ماتوا عن توبة عنها من غير إصرار، وإن ماتوا من غير توبة فأمرهم إلى الله عزّ وجل إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، وقال محمد بن سيرين: لا نعلم أحداً من أصحاب محمد ﷺ ولا غيرهم من التابعين تركوا الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثماً»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم باب النهي بغير إذن صاحبه (٢٤٧٥).
(٢) الواسطية بشرح ابن فوزان (١٧٨).
(٣) عقيدة أصحاب الحديث (٢٧٦). د. ناصر الجديع.
(٤) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٧٤).

وقد خالف أهل السنة والجماعة في هذا الأصل الخوارج والمعتزلة والمرجئة فقالت الخوارج: «مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا وفي الآخرة مخلد في النار».

قال الإسفراييني: «والخوارج يزعمون أن كل من أذنب ذنباً من أمة محمد ـ ﷺ ـ فهو كافر ويكون في النار مخلداً»[١].

وقالت المعتزلة: «مرتكب الكبيرة في الدنيا في منزلة بين منزلتين».

قال ابن المرتضي: «وأما ما أجمعت عليه المعتزلة، فقد أجمعت على المنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق لا يسمى مؤمناً ولا كافراً»[٢].

قال القاضي عبدالجبار: «إن صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين فلا يكون اسمه اسم كافر ولا اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً، وكذلك صاحب الكبيرة له حكم بين الحكمين فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث»[٣].

وقالوا: إن خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون خالداً مخلداً في النار مع جملة الكفار[٤].

---

(١) التبصير في الدين (٤٦) وانظر: التنبيه (٥١) الملطي، والمقالات (١٦٨) الأشعري.
(٢) المنية والأمل (٦).
(٣) شرح الأصول الخمسة (٦٩٧).
(٤) انظر: التبصير في الدين (٦٢) الاسفراييني.

وقالت المرجئة: «من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وحرّم ما حرّم الله وأحل ما أحل الله، دخل الجنة إذا مات وإن زنى، وإن سرق، وقتل، وشرب الخمر، وقذف المحصنات، وترك الصلاة والزكاة والصيام، إذا كان مقراً بها يسوف التوبة لم يضره وقوعه على الكبائر، وتركه الفرائض وركوبه الفواحش»[١].

والذي تدل عليه الأدلة من الكتاب والسنة أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[٢]، ولم يقل سبحانه: إنهم مع فسقهم كفار، ولم يقل: إنهم مؤمنون كاملوا الإيمان.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾[٣].

فأثبت سبحانه أن غير الشرك مغفور، فلو كانت الكبائر كفراً لم تكن مغفورة؛ لأنها كفر.

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ﴾[٤] فسماهما الله مؤمنين مع الاقتتال.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٥] فسماه أخاً

---

(١) التنبيه والرد (٤٧) الملطي.
(٢) سورة النور، آية: ٤.
(٣) سورة النساء، آية: ٤٨.
(٤) سورة الحجرات، آية: ٩.
(٥) سورة البقرة، آية: ١٧٨.

مع وجودالقتل، ففيه دليل على أن العاصي لا يخرج من الإيمان بمجرد الذنوب والمعاصي.

وقد جاء في الحديث: «**أن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»[١] وأن: «**الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[٢].

فعلم أن الإيمان يقبل التبعيض والتجزئة، وأن قليله يخرج به صاحبه من النار إن دخلها، ولو كان العاصي كافراً: ينقل عن الملة بالكلية لكان مرتداً، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام، ونصوص الكتاب والسنة تدل على أن الزاني والسارق وشارب الخمر والقاذف لايقتل بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه ح (٤٤) ومسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة ح (٣٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب أمور الإيمان ح (٩) ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان ح (٥٨).

(٣) انظر: التنبيهات السنية (٥٣) لابن رشيد والإيمان (٣٢٦) لأبي يعلى والتنبيه والرد (٥٣)، الملطي.

يُسأل: عن القرآن، هل تكلم الله[(١)] به[(٢)] بحرف وصوت، أم[(٣)] كلامه معنى قائم في نفسه أو بذاته، فإن قال: تكلم به بحرف وصوت، فهو سني.

وإن قال: كلامه قائم بذاته، فهو أشعري.

وإن قال: أحدث كلاماً، فهو معتزلي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿طسٓ﴾[(٥)]، ﴿طسٓمٓ﴾[(٦)]، ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[(٧)]، وحواميم السبع كلهم[(٨)] و﴿يسٓ﴾[(٩)] و﴿طه﴾[(١٠)]، و﴿كٓهيعٓصٓ﴾[(١١)]، وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[(١٢)]، ودلائلنا أكثر من أن تُحصى[(١٣)].

---

(١) في م «الباري» بدل لفظ الجلالة.
(٢) «به» ليست في م.
(٣) الصواب (أو).
(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١، ٢.
(٥) سورة النمل، آية: ١.
(٦) سورة الشعراء والقصص، آية: ١.
(٧) سورة الجاثية، الآيتان: ١، ٢.
(٨) فصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف، آية: ١.
(٩) سورة يس، آية: ١.
(١٠) سورة طه، آية: ١.
(١١) سورة مريم، آية: ١.
(١٢) سورة التوبة، آية: ٦.
(١٣) من قوله: «دليلنا...» إلى قوله: «أكثر من أن تحصى» ليس في م.

. . . .

دراسة المسألة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لما سئل: عن القرآن هل هو حرف وصوت أو لا حرف ولا صوت؟

قال: «إن إطلاق الجواب في هذه المسألة نفياً أو إثباتاً خطأ، وهي من البدع المولدة الحادثة بعد المائة الثالثة، لما قال قوم من متكلمة الصفاتية: إن كلام الله الذي أنزل على أنبيائه كالتوراة والإنجيل، والقرآن، والذي لم ينزله، والكلمات التي كون بها تلك الكائنات، والكلمات المشتملة على أمره ونهيه وخبره، ليست إلا مجرد معنى واحد، هو صفة واحدة قامت بالله، إن عُبر عنها بالعبرانية كانت التوراة، وإن عُبر عنها بالعربية كانت القرآن، وأن الأمر والنهي والخبر صفات لها، لا أقسام لها، وأن حروف القرآن مخلوقة خلقها الله ولم يتكلم بها وليست من كلامه، إذ كلامه لا يكون بحرف وصوت.

عارضهم آخرون من المثبتة فقالوا: بل القرآن هو الحروف والأصوات، وتوهم قوم أنهم يعنون بالحروف المداد وبالأصوات أصوت العباد، وهذا لم يقله عالم.

والصواب الذي عليه سلف الأمة ـ كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح في كتابه «خلق أفعال العباد» وغيره، وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم ـ: اتباع النصوص الثابتة، وإجماع سلف الأمة، وهو أن القرآن جمعيه كلام الله، حروفه معانيه، ليس شيء من ذلك كلاماً

لغيره، لكن أنزله على رسوله، وليس القرآن اسماً لمجرد المعنى، ولا لمجرد الحرف، بل لمجموعهما، وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط، ولا المعاني فقط، كما أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح، ولا مجرد الجسد: بل مجموعهما، وأن الله ـ تعالى ـ يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد لا صوت القارئ ولا غيره وأن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق، ولا معانيه تشبه معانيه، ولا حروفه تشبه حروفه، ولا صوت الرب يشبه صوت العبد، فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في اسمائه وآياته، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته»[١].

وقد استدل المؤلف على أن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت بالحروف المقطعة في أوائل السور ﴿الٓمٓ﴾[٢]، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[٣]، ﴿طه﴾[٤]، و﴿حمٓ﴾[٥].

وكل من يبصر هذه الحروف لا يخطر بباله غير أنها حروف، وليس لها تسمية إلا هذه.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٤٣ـ ٢٤٤).
(٢) آية (١) في كل من سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة.
(٣) سورة مريم، آية: ١.
(٤) سورة طه، آية: ١.
(٥) آية (١) من كل من سورة غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

قال أبو نصر السِّجزي: «فالله سبحانه قد بيّن في كتابه ما كلامه؟ وبيّن ذلك رسوله ﷺ، واعترف به الصدر الأول والسلف الصالح رحمهم الله، وآمنوا به فقال الله سبحانه: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[2]، وما سمع مستجير قط إلا كلاماً ذا حروف وأصوات، ولا قرأ قارىء البتة إلا ذلك فلمّا سمى سبحانه هذا القرآن العربي الفصل كلامه، علم أن كلامه حروف، كيف وقد أكد ذلك بذكر الحروف المقطعة في أوائل السور منه مثل: ﴿الٓمٓ ۝﴾[3]، و﴿الٓر﴾[4]، و﴿كٓهيعٓصٓ ۝﴾[5]، و﴿طه ۝﴾[6]، و﴿حمٓ ۝﴾[7]، و﴿يسٓ ۝﴾[8]، و﴿صٓ﴾[9]، و﴿قٓ﴾[10]، و﴿نٓ﴾[11].

فمن زعم أنها ليست من القرآن فهو كافر، ومن زعم أنها من القرآن والقرآن ليس بكلام الله فهو كافر، ومن زعم أنها عبارة عن

---

(١) سورة التوبة، آية: ٦.
(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.
(٣) سورة البقرة، آية: ١.
(٤) آية: (١) من كل من سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.
(٥) سورة يس، آية: ١.
(٦) سورة ص، آية: ١.
(٧) سورة ق، آية: ١.
(٨) سورة يس، آية: ١.
(٩) سورة ص، آية: ١.
(١٠) سورة ق، آية: ١.
(١١) جزء من آية: (١) سورة القلم.

الكلام الذي لا حروف فيه، قيل له: هذا جهل وغباء، لأن الكلام الذي تزعمه ليس يعرفه سواك، ولا يدري ما هو غيرك، وأنت إنما تتخبط فيه»[١].

ومن الأدلة التي تدل على أن كلام الله ـ تعالى ـ بحرف وصوت.

١ ـ تكليمه تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ فإنه قال له: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾[٢]، قال الخلال: أنبأنا أبو بكر المروذي صاحب الإمام أحمد: سمعت أبا عبدالله وقيل له: إن عبدالوهاب قد تكلم. وقال: من زعم أنّ الله كلّم موسى بلا صوت فهو جهمي عدو الله وعدو الإسلام، فتبسم أبو عبدالله وقال: ما أحسن ما قال عافاه الله[٣].

٢ ـ إخباره تعالى عن ندائه لموسى ـ عليه السلام ـ، ولعباده يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «النداء في لغة العرب: هو صوت رفيع، لا يطلق النداء على ما ليس بصوت، لا حقيقة ولا

---

(١) رسالة السجزي إلي أهل زبيد (١٥٤).
(٢) سورة طه، آية: ١٣.
(٣) درء التعارض (٢/ ٣٨ ـ ٣٩) لابن تيمية.
(٤) سورة النازعات، الآيتان: ١٥، ١٦.
(٥) سورة القصص، آية: ٦٥.

مجازاً»(١).

٣ ـ حديث عبدالله بن أنيس ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر العباد أو الناس عراةً غُرلاً بُهْماً قلنا: ما بهما؟ قال: ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ ـ أحسبه ـ قال: كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديان...**»(٢).

قال الإمام البخاري: «إن الله ـ عز وجل ـ ينادي بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرُب، فليس هذا لغير الله جل ذكره، وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت ـ الله جلّ ذكره ـ يُسْمَعُ من بُعْدٍ كما يسمع من قُرب»(٣).

مذهب الأشاعرة في كلام الله هو ما ذكره المؤلف، فهم يقولون: إن كلام الله معنى واحد قديم قائم بذاته أزلاً وأبداً، هو الأمر بكل ما أمر الله به، والنهي عن كل ما نهى الله عنه، والخبر عن كل ما أخبر الله عنه، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، والأمر والنهي والخبر عندهم ليست أنواعاً ينقسم الكلام إليها، وإنما هي صفات إضافية، كما يوصف الشخص الواحد بأنه ابن لزيد، وعم لعمرو، وخال لبكر،

---

(١) الفتاوى (٦/ ٥٣١) وانظر: لسان العرب (١٥/ ٣١٥) والصحاح (٦/ ٢٥٠٥) على موافقة قول شيخ الإسلام.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٢/ ١٥٥) والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠) ط السلفية ١٣٧٥هـ.

(٣) خلق أفعال العباد (ص٩٢) ط الرسالة.

ويقولون إن الله يتكلم بمشيئته وقدرته وكلامه بغير حرف وصوت[١].

قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن كلام الله ـ تعالى ـ منزل على قلب النبي ﷺ نزول إعلام وإفهام لا نزول حركة وانتقال»[٢].

وقال الإسفراييني: «... وكل ما ورد في الكتب من الله باللغات المختلفة العبرية والعربية والسريانية كلها عبارات تدل على معنى كتاب الله»[٣].

مذهب المعتزلة هو ما ذكره المؤلف فهم يقولون إن كلام الله مخلوق.

قال القاضي عبدالجبار: «وأما مذهبنا فهو أن القرآن كلام الله ووحيه، وهو مخلوق»[٤].

ومعنى كلامه تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ: أنه أنشأ كلاماً خلقه كما شاء فسمعه موسى ـ عليه السلام ـ وفهمه، وكل مسموع من الله فهو مخلوق، لأنه غير الخالق له[٥].

ويقولون: إن الكلام فعل من أفعاله تعالى، يحدثه ويخلقه في

---

(١) انظر: التمهيد (٢٥٠ـ ٢٥١) الباقلاني والإنصاف (١١٠) الباقلاني والعقيدة النظامية (١٩ـ ٢٠)، الجويني، والإرشاد (١٠٤) الجويني، وغاية المرام (٨٨) الآمدي والاقتصاد في الاعتقاد (١١٦) الغزالي، ونهاية الإقدام (٢٦٨ـ ٢٨٨) الشهرستاني.

(٢) الإنصاف (٩٦).

(٣) التبصير في الدين (١٠٢).

(٤) شرح الأصول الخمسة (٥٢٨).

(٥) العدل والتوحيد (١٣٧) للقاسم الرسي ضمن رسائل العدل والتوحيد ت/ عمارة.

الأجسام إذا أراد مخاطبة الخلق بالأمر والنهي والوعد والوعيد والزجر والترغيب، وإذا بعث الأنبياء وحمَّلهم الشرائع خاطبهم بكلامه، وأصحبهم كتبه ليؤدوا عنه ذلك، وما كان من أفعاله تعالى لا يجوز أن يكون قديماً[١].

وقد تواتر عن السلف تكفيرهم لمن قال: إن القرآن مخلوق.

قال هارون الفِروي: «لم أسمع أحد من أهل العلم بالمدينة وأهل السنن إلا وهم ينكرون على من قال: القرآن مخلوق ويكفرونه»[٢].

وقال الإمام أحمد لما سئل عمن قال: القرآن مخلوق؟ فقال: كافر[٣].

وقال الربيع سمعت الشافعي يقول: «القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر»[٤].

وقال أبوعبيد القاسم بنُ سلاَّم: من قال: القرآن مخلوق فقد أفترى على الله، وقال على الله ما لم يقله اليهود ولا النصارى[٥].

وأما مذهب الأشاعرة المبتدع فيلزمهم عليه لوازم باطلة من تلك اللوازم:

---

(١) المختصر في أصول الدين (٢٢٣) القاضي عبدالجبار ضمن رسائل العدل والتوحيد.
(٢) الشريعة (٧٨) الآجري.
(٣) المصدر السابق (٨٠).
(٤) شرح أصول الاعتقاد (٢/ ٢٥٢ رقم ٤١٩) اللالكائي.
(٥) الإبانة (٢/ ٥٠) لابن بطة ت الوابل.

١ ـ أن كلام الله لا يتكلم به غيره، فإنه عين القائم بنفسه ومحال قيامه بغيره، فلم يقل أحد قط كلام الله ولا قرأه.

٢ ـ أن هذا الذي جاء به الرسول ﷺ ليس كلام الله إلا على سبيل المجاز.

٣ ـ أنه لا يقال إن الله تكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، ولا خاطب ولا يخاطب، فإن هذه كلها أفعال إرادية تكون بالمشيئة، وذلك المعنى صفة أزلية لا تتعلق بالمشيئة.

٤ ـ أنهم قالوا: لا يجوز أن ينزل القرآن إلى الأرض، فألفاظ النزول والتنزيل لا حقيقة لشيء منها عندهم.

٥ ـ أن القرآن القديم لا نصف له ولا ربع ولا خمس ولا عشر ولا جزء له البته.

٦ ـ أن معنى الأمر هو معنى النهي، ومعنى الخبر والاستخبار، وكل ذلك واحد.

٧ ـ أن نفس التوراة هي نفس القرآن، ونفس الإنجيل والزبور، والاختلاف في التأويلات فقط[1].

٨ ـ أنه يجوز القراءة في الصلاة بأيّ لغة كانت، إذا أدّوا معنى ما في السور لأن التضييق إنما وقع لكون السور كلام الله، فأمّا من قال: إنها ليست بكلام الله البتة فلا معنى لتضييقه[2].

---

(١) انظر: هذه اللوازم في مختصر الصواعق (٤١٣ـ ٤١٤) الموصلي.

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (١٥٧).

٩ ـ أن معنى آية الدين هو معنى آية الكرسي ومعنى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[١] هو معنى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾[٢][٣].

* * *

(١) سورة الإخلاص، آية: ١.

(٢) سورة المسد، آية: ١.

(٣) الكيلانية (٢١) ضمن مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية.

يُسأل: عن موسى ومحمد وجبريل صلوات الله عليهم، ومن تولّى الله خطابهم[١]، هل سمعوا من الله[٢] كلامه، أو أفهمهم من غير أن سمعوا[٣]؟ فإن قال: سمعوا من الله كلامه، فهو سني، وإن قال: أفهمهم من غير أن سمعوا[٤]؟ فهو أشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[٥]، وقوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾[٦]، وقوله: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[٧][٨].

* * *

(١) في م «خطابه».
(٢) في م «من الله تعالى».
(٣) في م «يسمعوا» ولعل ما في م هو الصواب.
(٤) في م «يسمعوا» ولعل ما في م هو الصواب.
(٥) سورة النساء، آية: ١٦٤.
(٦) سورة طه، آية: ٤٦.
(٧) سورة التوبة، آية: ٦.
(٨) من قوله: «دليلنا...» حتى قوله تعالى: «... كلام الله» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

مذهب أهل السنة والجماعة:

هو ما قرر المؤلف، وهو أن موسى سمع كلام الله بلا واسطة كما سمع ذلك محمد ﷺ وجبريل، وأن الله كلّمه حقيقة، فسمع كلام ربه، والأدلة على ذلك كثيرة، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[٥]، ففرّق بين التكليم من وراء حجاب ـ كما كلّم موسى وكلم نبينا ﷺ ليلة الإسراء ـ وبين التكليم بواسطة الرسول كما كلم سائر الأنبياء بإرسال رسول إليهم، وقال ﷺ: «**احتج آدم وموسى: فقال: موسى يا آدم، أنت أبونا، خيّبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخطّ**

---

(١) سورة النساء، آية: ١٦٤.
(٢) سورة الأعراف، آية: ١٤٣.
(٣) سورة طه، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٤) سورة القصص، آية: ٣٠.
(٥) سورة الشورى، آية: ٥١.

لك التوراة بيده، أتلومنَّني على أمر قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجَّ آدم موسى قالها ثلاثاً»[١].

قال الإمام موفق الدين ابن قدامة: «ومن صفات الله ـ تعالى ـ أنه متكلم بكلام قديم، يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى ـ عليه السلام ـ منه من غير واسطة، وسمعه جبريل ـ عليه السلام ـ، ومن أذن له من ملائكته ورسله»[٢].

قال ابن خزيمة ـ رحمه الله ـ: «باب: ذكر البيان أنه سبحانه وتعالى جل ذكره كلّم موسى من وراء حجاب من غير أن يكون بين الله تبارك وتعالى وبين موسى ـ عليه السلام ـ رسول يبلغه كلام ربه ومن غير أن يكون موسى ـ عليه السلام ـ يرى ربه ـ عز وجل ـ في وقت كلامه إياه، ثم أورد حديث حِجاج آدم وموسى السابق الذكر[٣].

ما قرره المؤلف ـ رحمه الله ـ من أن مذهب الأشاعرة القول بأن موسى ـ عليه السلام ـ ومحمد ـ ﷺ ـ وجبريل ـ عليه السلام ـ ومن تولَّى خطابهم ما سمعوا من الله كلامه إنما أفهمهم كلامه من غير سماع: صواب.

فقد قال الجويني: «كلام الله منزل على الأنبياء لكن ليس معنى

---

(١) البخاري كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى (٦٦١٤) ومسلم كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى (٢٦٥٢).

(٢) لمعة الاعتقاد (٧٠) دار زمزم ١٤١٢هـ.

(٣) التوحيد (٩٤) طبعة المصرية الأولى.

الإنزال أي حط شيء من علو إلى أسفل، فإن الإنزال بمعنى الانتقال يتخصص في الأجسام والأجرام حتى قال. . . فالمعنى بالإنزال هو أن جبريل صلوات الله عليه أدرك كلام الله ـ تعالى ـ وهو في مقامه فوق سبع سماوات، ثم نزل إلى الأرض فأفهم الرسول ـ ﷺ ـ ما أفهمه عند سدرة المنتهى من غير نقل لذات الكلام»[١].

وقال الآمدي: «وليس معنى كونه منزلاً أنه منتقل من مكان إلى مكان، فإن ذلك غير متصور على كلا المذهبين بل معناه: أن ما فهمه جبريل من كلام الله ـ تعالى ـ فوق سبع سماوات عند سدرة المنتهى ينزل بتفهيمه للأنبياء إلى بسيط الغبراء»[٢].

ولا شك في بطلان مذهب الأشاعرة وبعده عن الصواب والرد على قولهم أن يقال لهم: موسى لما كلمه الله، أَفَهِمَ كلامه كلَّه أو بعضه؟ إن قلتم: كلَّه، فقد صار موسى يعلم علم الله، وهذا من أعظم الباطل، وإن قلتم بعضه: فقد يتبعض كلام الله وأنتم تقولون: إنه لا يتبعض وفي هذا إبطال لقولكم[٣].

ثم إن الله فرّق بين تكليمه لموسى عليه الصلاة والسلام وبين إيحائه إلى غيره من النبيين، وفرّق بين الإيحاء وبين التكليم من وراء حجاب، فلو كان المعنى واحداً لكان الجميع إيحاء ولم يكن هناك

---

(١) الإرشاد (١٣٥) الجويني ط الخانجي ١٣٦٩هـ.
(٢) غاية المرام (١١١) الآمدي.
(٣) التسعينية (١٧٧) وانظر: رسالة السجزي (١١٤).

تكليم يتميز على ذلك[١].

وقد قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾[٢]، ونحو هذه الآية من الآيات الواردة في نداء موسى وغيره والنداء لا يكون إلا بصوت.

قال السجزي: «والنداء عند العرب صوت لا غير، ولم يرد عن الله ـ تعالى ـ ولا عن رسوله ـ عليه السلام ـ أنه من الله غير صوت»[٣].

وقال ابن القيم: «ولفظ النداء الإلهي وقد تكرر في الكتاب والسنة تكرراً مطرداً في محاله، متنوعاً تنوعاً يمنع حمله على المجاز، فأخبر تعالى أنه نادى الأبوين في الجنة، ونادى كليمه، وأنه ينادي عباده يوم القيامة، وقد ذكر النداء في تسعة مواضع في القرآن، أخبر فيها عن ندائه بنفسه ولا حاجة أن يقيد النداء بالصوت، فإنه بمعناه وحقيقته باتفاق أهل اللغة، فإذا انتفى الصوت انتفى النداء قطعاً»[٤].

* * *

---

(١) انظر: الفتاوى (١٧/١٥٣ ـ ١٥٤)، (٩/٢٨٣)، ومنهاج السنة (٥/٤١٩)، شرح الطحاوية (١٥٥).

(٢) سورة النازعات، آية: ١٦.

(٣) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (١٦٦).

(٤) مختصر الصواعق (٤٠١ ـ ٤٠٢) دارالكتب العلمية.

يُسأل: عما نقرؤه من الحروف والأصوات، هل هو نفس كلام الله[(١)]؟

فإن قال: هو نفس كلام الله[(٢)]، فهو سني، وإن قال: هو عبارة وحكاية عن كلام الله[(٣)]، فهو أشعري ومعتزلي كافر بالله[(٤)(٥)].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[(٦)]، وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[(٧)]، وقوله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[(٨)]، وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[(٩)]، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[(١٠)(١١)].

* * *

(١) في م «كلام الله تعالى أم عبارته وحكايته».
(٢) في م «كلام الله تعالى».
(٣) في م «عبارة عن كلام الله وحكايته».
(٤) «معتزلي كافر بالله» ليست في م.
(٥) انظر: التعليق ص (٩٦).
(٦) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٢ـ ١٩٣.
(٧) سورة الزمر، آية: ١.
(٨) سورة البقرة، الآيتان: ١، ٢.
(٩) سورة هود، جزء من آية: ١٣.
(١٠) سورة النحل، آية: ٨٩.
في المخطوطة [إنا أنزلنا] وما أثبته هو الصواب.
(١١) من قوله: «دليلنا...» إلى قوله تعالى: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

اعتقاد أهل السنة والجماعة:

هو ما قرره المؤلف فهم يقولون: القرآن كلام الله سوره وآياته وكلماته تكلم الله به بحروفه ومعانيه، ولم ينزله على أحدٍ قبل محمد ﷺ أسمعه جبريل ـ عليه السلام ـ، وأسمعه جبريل محمداً ﷺ، أسمعه محمد ﷺ أمته، وليس لجبريل ولا محمد ـ ﷺ ـ إلا التبليغ والأداء.

وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، وفي المصاحف، يتلوه التالون بألسنتهم، ويقرؤه القارئون بأصواتهم، ويسمعه السامعون بآذانهم وينسخه الناسخون، وهو في الصدور محفوظ، تكلم الله به على الحقيقة، منه بدأ وإليه يعود.

قال شيخ الإسلام: «ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ـ ﷺ ـ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن الله أو عبارة، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله ـ تعالى ـ حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف»[1].

---

(١) العقيدة الواسطة (١٣٦) المطبوعة مع شرح فضيلة الشيخ صالح الفوزان.

وقد استدل المؤلف بآيات التنزيل في الدلالة على أن ما في المصحف كلام الله على الحقيقة، وهو استدلال سديد، ففي هذه الآيات دليل على أن القرآن منزل من عند الله، وأنه كلامه بدأ منه وظهر لا من غيره، وأنه الذي تكلم به لا غيره.

وفي هذه الآيات الرد على من زعم أن القرآن مخلوق أو أنه كلام بشر وغيره، فمن زعم ذلك فهو كافر بالله العظيم، كما روي ذلك عن السلف، وفيها دليل على أن جبريل نزل به من عند الله، فإنه روح القدس وهو أيضاً الروح الأمين، وفي قوله الأمين دليل على أنه مؤتمن على ما أرسل به، فلا يزيد عليه ولا ينقص، وفيها دليل على أن الرسول ـ ﷺ ـ سمعه من جبريل وهو الذي نزل عليه من عند الله، وجبريل سمعه من الله والصحابة سمعوه من النبي ﷺ[١].

وجه استدلال المؤلف بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾[٢].

هو أن معنى الآية: فأتوا بعشر سور مثله إن زعمتم أنه كلام آدمي، فأعجزهم الحق سبحانه وتعالى أن يأتوا بسورة من مثله في النظم والنثر، فلما عجزوا عن ذلك علموا أنه ليس بكلام آدمي بل هو كلام

---

(١) انظر: شرح الواسطية (١٥٣ـ ١٥٤) للشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد ـ مطبعة الإمام ـ مصر ـ غير مؤرخه.
(٢) سورة هود، آية: ١٣.

الله ـ تعالى ـ، وليس بمخلوق كما زعموا؛ لأنه لو كان كما زعموا لكان له مثل، فلما لم يكن له مثل، وعجزوا عن إتيان مثله مع كونهم من أفصح العرب، دل على أنه كلام الباري ـ تعالى ـ، وأنه قديم غير مخلوق[١].

وجه استدلاله بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[٢]، أن الله يقول: أن كتابه، هو القرآن لا ريب فيه أي لا شك، والأشاعرة يقولون بأن القرآن عبارة محمد موافقة للوليد بن المغيرة لما قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾[٣][٤].

وقد عمد المؤلف في هذه المسألة إلى دمج مذهب المعتزلة بمذهب الأشاعرة وبينهما فرق كما تقدم.

فالأشاعرة: يقولون كما حكى مذهبهم الباقلاني فقال: «ويجب أن يعلم أن الكلام الحقيقي هو المعنى الموجود في النفس، لكن جعل عليه أمارات تدل عليه، فتارة تكون قولاً بلسان على حكم أهل ذلك اللسان وما اصطلحوا عليه وجرى عرفهم به، وجُعل لغة لهم، وقد بين تعالى ذلك بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[٥]، فأخبر تعالى أنه أرسل موسى ـ عليه السلام ـ إلى بني

---

(١) انظر: التبصرة (٩٢) للمؤلف.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١، ٢.
(٣) سورة المدثر، آية: ٢٥.
(٤) انظر: رسالة السجزي (١٥٨).
(٥) سورة إبراهيم، آية: ٤.

إسرائيل بلسان عبراني، فأفهم كلام الله القديم القائم بالنفس بالعبرانية، وبعث عيسى ـ عليه السلام ـ بلسان سرياني، فأفهم قومه كلام الله القديم بلسانهم، وبعث نبينا ـ ﷺ ـ بلسان العرب، فأفهم قومه كلام الله القديم بالنفس بكلامهم، فلغة العرب غير لغة العبرانية ولغة السيريانية غيرهما، لكن الكلام القديم القائم بالنفس شيء واحد لا يختلف ولا يتغير، وقد يدل على الكلام القائم بالنفس الخطوط المصطلح عليها بين كل أهل خط، فيقوم الخط في الدلالة مقام النطق باللسان. . . حتى قال. . . فصح أن الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس دون غيره، وإنما الغير دليل عليه بحكم التواضع والاصطلاح ويجوز أن يسمى كلاماً إذ هو دليل على الكلام، لا أنه نفس الكلام الحقيقي»[١].

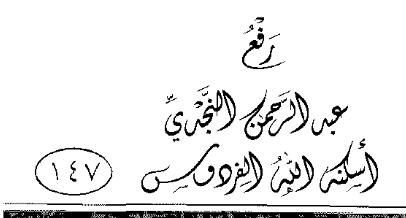
فأنت ترى من النقل السابق أنهم يرون أن ما نقرأ ليس هو كلام الله على الحقيقة، وإنما هو عبارة عن الكلام القديم القائم بذات الرب، ويصح أن نقول عمّا في المصحف إنه كلام الله؛ لأنه دليل على الكلام النفسي.

وقد قدمت في المسألة السابقة اللوازم الفاسدة المترتبة على قولهم.

أما المعتزلة فمذهبهم كما قدمنا يقولون كلام الله ووحيه مخلوق[٢].

---

(١) الإنصاف (١٠٧) ط الخانجي.
(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (٥٢٨).



ومعنى كلامه تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ أنه أنشأ كلاماً خلقه كما شاء فسمعه موسى ـ عليه السلام ـ وفهمه، وكل مسموع من الله فهو مخلوق، لأنه غير الخالق له[١].

على أنه عند التحقيق فإن المعتزلة والأشاعرة متفقون على أن ما في المصحف من النظم العربي مخلوق.

قال البيجوري: «مذهب أهل السنة ـ يريد الأشاعرة ـ أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق»[٢].

إلا أن المعتزلة يطلقون القول ويقولون كلام الله مخلوق بإطلاق، أما الأشاعرة فيقولون كلام الله الذي هو المعنى النفسي القائم بذات الرب غير مخلوق، وأما ما في المصحف الذي هو عبارة عن كلام الله فهو مخلوق[٣].

* * *

---

(١) رسائل العدل والتوحيد (١٣٧) (العدل والتوحيد) للرسي.
(٢) شرح الجوهرة (٩٤) البيجوري.
(٣) انظر: الفتاوى (١٢/ ١٢٠ ـ ١٢١).

يُسأل: عن القرآن هل نزل به جبريل[١] إلى النبي ﷺ[٢] أم[٣] عبارة تأليف[٤]، فإن قال: نزل بالقرآن، فهو سني، وإن قال: نزل[٥] بعبارته، فهو أشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[٦]، وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾[٧]، والروح هو جبريل[٨].

* * *

---

(١) في م «عليه السلام».

(٢) في الأصل اختصر الصلاة على النبي ورمز له (صلى) وفي م «صلى الله عليه وسلم» فأثبت ما في «م» تعظيماً لحقه ﷺ.

(٣) الصواب لغة «أو».

(٤) في م «بعبارته».

(٥) «نزل» ليست في م.

(٦) سورة النحل، آية: ١٠٢.

(٧) سورة الشعراء، آية: ١٩٣.

(٨) من قوله: «دليلنا...» إلى قوله: «... هو جبريل» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

قال شيخ الإسلام: في تقرير عقيدة السلف في هذا الموضوع «فصل.. في بيان أن القرآن العظيم كلام الله العزيز العليم، ليس بشيء منه كلاماً لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1].

فأمره أن يقول: ﴿ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[2] فإن الضمير في قوله ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ ﴾ عائد على ما في قوله: ﴿ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ والمراد به القرآن، كما يدل عليه سياق الكلام وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ فيه إخبار الله بأنه أنزل، لكن ليس في هذه اللفظة بيان أن روح القدس نزل به، ولا أنه منزل منه.

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٩٨ ـ ١٠٣.

(٢) سورة النحل، آية: ١٠٢.

ولفظ الإنزال في القرآن قد يرد مقيداً بالإنزال منه: كنزول القرآن، وقد يرد مقيداً بالإنزال من السماء ويراد به العلو، فيتناول نزول المطر من السحاب، ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك، وقد يرد مطلقاً فلا يختص بنوع من الإنزال، بل ربما يتناول الإنزال من رؤوس الجبال كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[1]، والإنزال من ظهور الحيوان كإنزال الفحل الماء وغير ذلك، فقوله: ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾[2]، بيان لنزول جبريل به من الله، فإن روح القدس هنا هو جبريل، بدليل قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)﴾[3]، وفي قوله: «الأمين» دلالة على أنه مؤمن على ما أرسل به لا يزيد فيه ولا ينقص منه، فإن الرسول الخائن قد يغير الرسالة، كما قال في صفته في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١)﴾[4].

وفي قوله: «منزل من ربك» دلالة على أمور:

«منها»: بطلان قول من يقول إنه كلام مخلوق في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهمية الذين يقولون بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم.

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٢) سورة النحل، آية: ١٠٢.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ ـ ١٩٥.

(٤) سورة التكوير، الآيات: ١٩ ـ ٢١.

ومنها: بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي ﷺ من العقل الفعّال أو غيره، كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة وهذا القول أعظم كفراً وضلالاً من الذي قبله.

ومنها: أن هذه الآية تبطل قول من يقول: إن القرآن العربي ليس منزلاً من الله بل مخلوق: إما في جبريل أو محمد أو جسم غيرهما، كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون إن القرآن العربي ليس هو كلام الله، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى، ثم إما أن يكون خلق في بعض الأجسام: الهواء أو غيره، أو ألهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي، أو ألهمه محمداً فعبر عنه بالقرآن العربي، أو يكون أخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره[١].

وما قرره المؤلف من أنه مذهب الأشاعرة أنما نزل به جبريل هو عبارة عن كلام الله، صواب فقد قال الباقلانى: «ويجب أن يعلم أن كلام الله ـ تعالى ـ منزل على قلب النبي ﷺ نزول إعلام وإفهام لا نزول حركة وانتقال.. ثم قال.. والنازل على الحقيقة المنتقل من قِطر إلى قِطر قول جبريل ـ عليه السلام ـ»[٢].

قال الجويني: «كلام الله ـ تعالى ـ منزل على الأنبياء، وقد دلّ على ذلك، آيٌ كثيرة من كتاب الله ـ تعالى ـ، ثم ليس معنى «الإنزال» حط

(١) انظر: الفتاوى (١٢/ ١١٧ـ ١٢٠).
(٢) انظر: الإنصاف (٩٦ـ ٩٧).

شيء من علوّ إلى سفل، فإن الإنزال بمعنى الانتقال يتخصص بالأجسام والأجرام. . . فالمعنى بالإنزال، أن جبريل ـ صلوات الله عليه ـ أدرك كلام الله ـ تعالى ـ وهو في مقامه فوق سبع سموات، ثم نزل إلى الأرض، فأفهم الرسول ﷺ ما فهمه عند سدرة المنتهى من غير نقل لذات الكلام»[١].

وفي تحفة المريد «وقيل المنزل المعنى وعبر عنه جبريل بألفاظ من عنده، وقيل المنزل المعنى وعبر عنه النبي ﷺ بألفاظ من عنده»[٢].

ولا شك في بطلان مذهب الأشاعرة هذا، وبطلانه يظهر من وجوه:

منها: أن يقال إن الله سبحانه وتعالى قد كتب التوراة لموسى بيده، فبنوا إسرائيل أخذوا كلام الله من الكتاب الذي كتبه هو سبحانه وتعالى فيه، فإن كان محمد أخذ عن جبريل، وجبريل عن الكتاب كان بنو إسرائيل أعلى من محمد بدرجة.

وكذلك من قال إنه ألقى إلى جبريل المعاني وأن جبريل عبر عنها بالكلام العربي فقوله يسلتزم أن يكون جبريل ألهمه إلهاماً، وهذا الإلهام يكون لآحاد المؤمنين. كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي ﴾[٣]، وقال: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ

(١) الإرشاد (١٣٥) طبعة الخانجي.
(٢) انظر: تحفة المريد (٩١ـ ٩٢ـ ٩٣).
(٣) سورة المائدة، آية: ١١١.

أَرْضِعِيهِ﴾[١]، وقد أوحى إلى سائر الأنبياء، فيكون هذا الوحي الذي يكون لآحاد الأنبياء والمؤمنين أعلى من أخذ محمد القرآن عن جبريل، لأن جبريل الذي علّمه لمحمد هو بمنزلة الواحد من هؤلاء[٢].

ويقال لهم إن الله قال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[٣].

فأشار الله إلى هذا القرآن و«هذا» عند جميع أهل اللغة إشارة إلى شيء حاضر[٤].

فلو كان كلام الباري قائماً في نفسه كما يقول الأشاعرة لم تصح الإشارة إليه، لأنه يكون على ما ذكروه غائباً[٥].

ولو كان قائماً في نفسه لما جاز للباري أن يمتحنهم بالإتيان بمثل ما ليس عندهم، ولا هو حاضر عندهم مشاهد؛ لأنه لا يحسن بالحكيم أن يمتحن العقلاء بالإتيان بمثل ما في نفسه وهم لا يعلمون[٦].

* * *

(١) سورة القصص، آية: ٧.
(٢) انظر: الفتاوي (١٢/ ١٢٧ـ ١٢٨).
(٣) سورة الإسراء، آية: ٨٨.
(٤) قال ابن منظور في اللسان (١٥/ ٤٥٤) وأما هذا، وهذان، فالهاء في هذا تنبيه، وذا اسم إشارة إلى شيء حاضر.
(٥) التبصرة (١٢١).
(٦) انظر: التبصرة (١٢١).

يُسال: عن كلام الباري جل جلاله، هل هو قديم أو[1] محدث[2]؟.

فإن قال: قديم فهو سني، وإن قال محدث، فهو معتزلي وأشعري[3]، وإن قال: حادث[4]، فهو كرَّامي[5][6] وإمامي[7][8][9].

دليلنا: قوله ﷺ «**قرأ ربنا طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام**»[10]، وقوله: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا

---

(١) في م «أم» بدل «أو».

(٢) كتب في الهامش «محدث أي مفعول به، أو يعني مخلوق».

(٣) «أشعري» ليست في م.

(٤) كتب في الهامش: «تقول حدث يحدث فهو حادث».

(٥) كتب في الهامش: «كرامي منسوب إلي أبي عبدالله بن محمد بن كرام».

(٦) الكرامية: هم أتابع أبي عبدالله محمد بن كرام السجستاني، ت٢٥٥هـ، لهم بدع منها قولهم بالإرجاء حيث يزعمون أن الإيمان هو مجرد الإقرار باللسان. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٣) الأشعري، الفرق بين الفرق (٢١٥) البغدادي.

(٧) كتب في الهامش: «إمامي الذين يقولون الإمامة نص وأن الأئمة معصومون من الآثام فإن الإمام يعلم كل شيء».

(٨) «أمامي» ليست في م.

(٩) كتب في هامش: «م» «أعياء الكلام في وقت دون أوقات».
الإمامية: هم القائلون بأمامه الاثنى عشر إماماً وأنهم أئمة معصومون أولهم علي بن أي طالب الحسن والحسين وآخرهم محمد بن الحسن العسكري الذي اختفى في سرداب سامراد وسيظهر في آخر الزمان لهم بدع كثيرة منها تكفير الصحابة والقول بالتشبيه في أول أمرهم وموافقة المعتزلة والجهمية في آخره. انظر: الملل والنحل (١/ ١٨٩) الشهرستاني ولوامع الأنوار (١/ ٨٥) السفاريني.

(١٠) أخرجه الدارمي في فضائل القرآن (٢/ ٤٥٦) وابن خزيمة في التوحيد (١٦٦) والبيهقي في الاسماء والصفات (٢٣٢)، وابن أبي عاصم ١٠/ ٢٦٩) كلهم من طريق إبراهيم من المهاجر عن عمر ابن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة عن أبي هريرة مرفوعاً =

وَحۡيًا﴾[١]، الآية وقوله: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾[٢][٣].

* * *

= وإسناده ضعيف جداً، فإبراهيم بن المهاجر قال عنه البخاري منكر الحديث وقال النسائي ضعيف وعمر بن ذكوان قال أحمد: تركنا حديثاه وخرقناه وقال ابن المديني ليس بثقة وقال النسائي متروك، وقال الدارقطني: ضعيف.
انظر: الميزان للذهبي (١/٦٧)، (٣/١٨٩).

(١) سورة الشورى، آية: ٥١.
(٢) سورة يس، آية: ٥٨.
(٣) من قوله: «دليلنا...» إلى قوله تعالى: «... من رب رحيم» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

إطلاق المؤلف لفظ القديم على كلام الله فيه نظر فعقيدة أهل السنة أن كلام الله منزل غير مخلوق، ولفظ القديم ليس مأثوراً عن السلف، وإنما الذي اتفقوا عليه أن القرآن كلام الله غير مخلوق[١].

قال الشيخ عبدالله البابطين معلقاً على كلام السفاريني في منظومته:

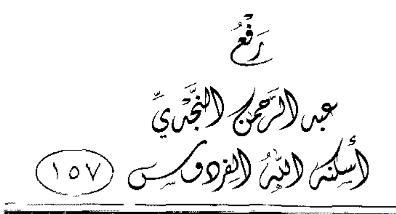
كلامه سبحانه قديم   أعيا الورى بالنص ياعليم

قوله: إن مذهب السلف إن كلام الله قديم وكذلك القرآن، فيه نظر، فإن مذهب السلف كما هو معروف أن كلام الله مما يتعلق بمشيئته فإذا شاء تكلم، ويتكلم متى شاء كيف شاء»[٢].

وقال الشيخ ابن سحمان معلقاً على كلام الناظم السالف الذكر.

قوله: «كلامه سبحانه قديم، هو من جنس ما قبله من الألفاظ المبتدعة المخترعة التي لم ينطق بها سلف الأمة وأئمتها، والذي عليه أهل السنة والجماعة المخالفون لأهل البدع أن كلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ حادث الآحاد قديم النوع، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته إذا شاء لا يمتنع عليه شيء أراده، وأن الله ـ تعالى ـ متصف بالأفعال الاختيارية القائمة به فهو سبحانه قد تكلم في الأزل بما شاء ويتكلم فيما لم يزل

(١) انظر: الفتاوى ١٢/ ٥٤.
(٢) حاشية لوامع الأنوار (١/ ١٣٠).



بقدرته ومشيئته بما أراد وهو الفعال لما يريد»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والسلف قالوا: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وقالوا لم يزل متكلماً إذا شاء، فبيَّنوا أن كلام الله قديم أي جنسه قديم لم يزل، ولم يقل أحد منهم إن نفس الكلام المعين قديم ولا قال أحد منهم القرآن قديم، بل قالوا: إنه كلام الله منزل غير مخلوق، وإذا كان الله قد تكلم بالقرآن بمشيئته كان القرآن كلامه، وكان منزلاً منه غير مخلوق، ولم يكن مع ذلك أزلياً قديماً بقدم الله، وإن كان الله لم يزل متكلماً إذا شاء، فجنس كلامه قديم»[٢].

ما ذكره المؤلف من أنّ مذهب المعتزلة أن القرآن محدث صواب، وقد تقدم تقرير قولهم في المسائل السابقة.

قال القاضي عبدالجبار: «ولا خلاف بين جميع أهل العدل في أن القرآن مخلوق محدث مفعول»[٣].

أما الأشاعرة فلا يطلقون القول، بل يقولون المعنى النفسي القديم القائم بذات الرب غير مخلوق، أما النظم العربي الذي بين أيدينا الذي هو عبارة عن كلام الله فهو مخلوق.

قال في تحفة المريد: «إن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق وأما القرآن بمعنى اللفظ، الذي نقرؤه فهو مخلوق لكن يمتنع

(١) حاشية لوامع الأنوار (١/ ١٣١).
(٢) الفتاوي (١٢/ ٥٦٧).
(٣) المغني (٧/ ٣).

أن يقال ويراد به اللفظ. الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم»[١].

وقال صاحب «كفاية العوام»: «وليس المراد بكلامه الواجب له تعالى الألفاظ الشريفة المنزلة على النبي ـ ﷺ ـ، لأن هذه حادثة، والصفة القائمة بذاته تعالى قديمة، وهذه مشتملة على تقدُّم وتأخُّرٍ وإعراب وسور وآيات، والصفة القديمة خالية عن جميع ذلك. فليس فيها آيات، ولا سور، ولا إعراب، لأن هذه تكون للكلام المشتمل على حروف وأصوات، والصفة القديمة منزهة عن الحروف والأصوات»[٢].

ما ذكره المؤلف من أن مذهب الكرامية والإمامية أنه حادث صواب.

فمذهب الكرامية في كلام الله أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب ـ تعالى ـ، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلماً[٣].

قال الإسفراييني وهو يحكي قولهم في كلام الله «واعلم أن من نوادر جهالاتهم فرقهم بين القول والكلام وقولهم إن كلام الله قديم، وقولهم: حادث وليس بمحدث وله حروف

(١) تحفة المريد (٩١ـ ٩٢ـ ٩٣).
(٢) كفاية العوام (١٠٢ـ ١٠٣).
(٣) انظر: مختصر الصواعق (٤١١) دار الكتب العلمية.

وأصوات»[١].

أما مذهب الرافضة الإمامية فقد حكى مذهبهم أبو جعفر القمي فقال: «وسألت رحمك الله عن القرآن واختلاف الناس قبلكم، فإن القرآن كلام الله محدث غير مخلوق وغير أزلي مع الله ـ تعالى ـ ذكره»[٢].

وقال أبوالفرج الشيرازي ـ رحمه الله ـ في التبصرة: «قالت الكرامية والإمامية القرآن حادث، ومعنى الحادث عندهم: أنه لم يتكلم الباري في قدمه وإنما تكلم به لما خلق الخلق ولا يقولون إنه مخلوق»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن طائفة من متأخري الإمامية لما وافقوا المعتزلة على أنه محدث منفصل عن الله، وأنه لم يكن يمكنه أن يتكلم ثم صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً، وليس له كلام يقوم به، بل كلامه من جملة مصنوعاته المنفصلة عنه، ثم سمعوا عن السلف من أهل البيت أنهم قالوا: إنه غير مخلوق، قالوا: لا نقول إنه مخلوق متابعة لهؤلاء، بل نقول: إنه محدث مجعول موافقة لما ظنوه من لفظ القرآن في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[٤]، وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[٥]»[٦].

---

(١) انظر: التبصير في الدين (١٠٢) ـ ط الخانجي.
(٢) التوحيد (٢٢٧) القمي.
(٣) التبصرة (٦٩).
(٤) سورة الزخرف، آية: ٣.
(٥) سورة الأنبياء، آية: ٢.
(٦) منهاج السنة (٢/ ٢٤٩).

وقد استدل أهل السنة والجماعة على إبطال أقوال المبتدعة بحجج صحيحة كلها تدل على أن كلام الله صفة قائمة به، وأنه يتكلم إذا شاء بما شاء متى شاء وكيف شاء، وأن القرآن كلامه غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

فقد أخرج اللالكائي بسنده عن سعيد بن نصير قال سمعت ابن عينية يقول: هذا الدويبة!، يعني: بشر المريسي قالوا: يا أبا محمد: القرآن مخلوق، قال: كذب، قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[1]، فالخلق خلق الله والأمر القرآن[2].

وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: ما حكَّمتُ مخلوقاً وإنما حكَّمتُ كلام الله ـ تعالى ـ[3].

وقد سئل جعفر بن محمد المعروف بالصادق، فقيل إنهم يسألوننا عن القرآن: أمخلوق هو؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق. ولكنه كلام الله[4].

قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٤.
(٢) شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٢/ ٢١٩).
(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢٤٣) دار إحياء التراث.
وقال البيهقي: هذه الحكاية عن علي شائعة فيما بين أهل العلم ولا أراها شاعت إلا عن أصل.
(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة (١/ ٢٨٦) ت الوابل، واللالكائي (٢/ ٢٤١) والآجري في الشريعة (٧٧) والبيهقي (٢٤٦) في الأسماء والصفات.

يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[١]، وقال عز وجل: ﴿... أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ...﴾[٢]، فأخبر تبارك وتعالى بالخلق ثم قال: «والأمر» فأخبر أن الأمر غير مخلوق.

وقوله عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[٣].

فأخبر تعالى أن القرآن من علمه وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾[٥]، فالقرآن من علم الله ـ تعالى ـ وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاء به ﷺ من العلم هو القرآن لقوله عز وجل: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ﴾[٦][٧].

وقد تقدم في المسائل السابقة ما يبطل قول المعتزلة والأشاعرة.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٦.
(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٤.
(٣) سورة الرحمن، الآيات: ١ـ ٤.
(٤) سورة البقرة، اية: ١٢٠.
(٥) سورة الرعد، آية: ٣٧.
(٦) سورة البقرة، آية: ١٢٠.
(٧) انظر: السنة (١٠٧) لعبدالله بن الإمام أحمد.
(٨) الفتاوى (٦/ ٣٢٥).

أما قول الكرامية، والإمامية، فإنه يلزم عليه:

١ ـ انتفاء صفة الكمال عن الرب عز وجل.

٢ ـ ويلزم عليه حدوث بلا سبب.

٣ ـ ويلزم عليه أن ذاته صارت محلاً لنوع الحوادث بعد أن لم تكن كذلك، وكل هذا باطل[١].

* * *

(١) الفتاوى (٦/ ٣٢٥).

يُسأل: عن القرآن هل منه بدأ وإليه يعود؟ فإن قال به، فهو سني، وإن أنكره، فهو معتزلي[(١)] وأشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[(٢)]، وقوله: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[(٤)].

وقوله ﷺ: «**القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود بلا كيف فالقرآن صفة من صفات الله ما هو مخلوق أنزله بعلمه ليهتدي به الخلائق ثم يرجع إليه كما منه بدأ وإليه يعود بلا كيف**»[(٥)]، وقوله في آخر سورة الحشر كلّها: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ﴾، إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٤﴾[(٦)]، كيف تفنى صفاته وكلامه تباً لهم[(٧)]، وسحقاً ولعنوا بما قالوا[(٨)].

---

(١) في م (أو).

(٢) سورة الرحمن، الآيات: ١ ـ ٤.

(٣) سورة الواقعة، ٨٠، الحاقة ٤٣.

(٤) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٥) أخرجه الديلمي في الفردوس (٤٦٦٧) من طريق الربيع بن سليمان عن الشافعي عن عبدالرزاق عن معمر عن الزهير عن أنس بلفظ (القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر) قال ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ١٣٤) في سنده مجاهيل وهو موضوع على الربيع بلا شك.

(٦) سورة الحشر، آية: ٢٤.

(٧) كتب في الهامش: «تباً لفلان أي هلك مجمل».

(٨) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: بما قالوا» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف من أن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن القرآن منه بدأ وإليه يعود حق وصواب، وقد قال بذلك غير واحد من السلف.

قال عمرو بن دينار: «أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود»[١].

ومقصود السلف في قولهم: «منه بدأ» لأن الجهمية والمعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل، فقال السلف: «منه بدأ» أي هو المتكلم به، فمنه بدأ، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾[٢]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[٣].

ومعنى قولهم: «وإليه يعود» ويرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار[٤].

منها ما جاء عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون الصلاة، وإن هذا

---

(١) شرح أصول الاعتقاد (٢/ ٢٣٤) ـ البخاري في خلق أفعال العباد (١١٧).

(٢) سورة السجدة، آية: ١٣.

(٣) سورة النحل، آية: ١٠٢.

(٤) انظر: شرح الطحاوي (١٩٤ـ ١٩٥).

القرآن الذي ينزل بين أظهركم يوشك أن يرفع، قال الراوي: قلت: لعبد الله: كيف يرفع وقد أثبته الله في صدورنا، وأثبتناه في مصاحفنا؟ قال: يسري عليه ليلاً، فلا يترك منه شيء في صدر رجل ولا مصحف ثم قرأ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾[(١)][(٢)].

قال شيخ الإسلام: ومعنى قول السلف «منه بدأ»، قال أحمد ابن حنبل: منه بدأ، أي هو المتكلم به، فإن الذين قالوا: إنه مخلوق، قالوا خلقه في غيره فبدأ من ذلك المخلوق، فقال السلف: منه بدأ، أي هو المتكلم به، لم يخلقه في غيره فيكون كلاماً لذلك المحل الذي خلقه فيه[(٣)].

وقد استدل المولف بأدلة صحيحة صريحة في تقرير عقيدة السلف في هذا الموضع:

منها قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ ﴾[(٤)]، وهذه الآية تفسر أن القرآن ابتدأ من الله ـ تعالى ـ

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٦.

(٢) أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن (٢/ ٤٣٨) وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/ ١٧٥ـ ١٧٦) وعبدالرازق في مصنفه (٣/ ٣٦٣ـ ٥٩٨١) والطبراني في الكبير (٨٧٠٠) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٤) وأبوعمر الداني في كتابه (السنن الواردة في الفتن (٣/ ٥٩٥) ـ رقم ٢٦٩ كلهم من طريق عبدالعزيز بن رفيع عن شداد بن معقل عن ابن مسعود. قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٠) رجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة وهو إسناد موقوف له حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالاجتهاد.

(٣) الفتاوي (١٢/ ٤٠).

(٤) سورة الرحمن، الآيات: ١ـ ٤.

قال ابن كثير: في هذه الآية «يخبر ـ تعالى ـ عن فضله ورحمته بخلقه: أنه أنزل على عباده القرآن، ويسر حفظه وفهمه على من رحمه»[١].

وفيه دليل أن القرآن غير مخلوق؛ لأنه وصف الإنسان بالخلق ولم يصف القرآن به.

ومنها قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝٨٠﴾[٢]، وهذه الآية ظاهر وجه الاستدلال بها في كون القرآن منزلاً من رب العالمين فابتداوءه منه سبحانه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[٣].

ووجه استدلال المؤلف بها أن القرآن من جملة الكلم الطيب الذي يرفع إليه سبحانه.

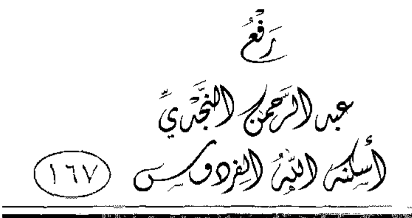
قال ابن كثير: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٤]، يعني: «الذكر والتلاوة والدعاء قاله غير واحد من السلف»[٥].

وقد أورد في كتابه التبصرة جملة من الأدلة على مذهب السلف في هذا الموضع[٦].

منها ما روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: أقرأني

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٦٤) ط الشعب.
(٢) سورة الواقعة: آية: ٨٠، والحاقة: ٤٣.
(٣) سورة فاطر، آية: ١٠.
(٤) سورة فاطر، آية: ١٠.
(٥) ابن كثير (٦/ ٥٢٣).
(٦) انظر التبصرة (١١٣ـ ١١٦).



رسول الله ﷺ آية فأثبتها في مصحفي، فلما كان في الليلة جئت حتى أقرأها فلم أقدر على قراءتها فعدت إلى المصحف فوجدت مكان الآية أبيضاً؛ فخبرت بذلك النبي ﷺ، فقال: **أما علمت أنها رفعت البارحة**[١].

قال المؤلف في التبصرة: «والذي يدل على صحة هذا ـ يعني أنه القرآن منه بدأ وإليه يعود ـ قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[٢] والنسخ عبارة عن الرفع أو هو الرفع والإزالة»[٣].

وقد أجمع المفسرون: على أن من القرآن ما نسخ خطه وحكمه[٤]، وهذا معنى قولنا «وإليه يعود» وكل مقالة حدثت بعد انعقاد الإجماع لا يلتفت إليها؛ لكونها حدثت بعد انعقاد الإجماع.

وقد ثبت من مذهبنا أن القرآن منزل، وقد دلت الأدلة على ذلك، وهذا معنى قولنا «منه بدأ» وإذا ثبت أنه منه بدأ ثبت أنه إليه يعود، لأنه سبحانه قال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[٥][٦].

---

(١) أخرجه عبدالرازق في المصنف ٣٠/٣٦٣) والطبراني في الأوسط بمعناه عن أبي هريرة (٧/١٥٦).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٠٦.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٢٤)، ولسان العرب (٣/ ٦١.

(٤) انظر روضة الناظر (١/ ٢٠١) والأحكام (٤/ ٦١) لابن حزم والعدة في أصول الفقه (٣/ ٧٨٢).

(٥) سورة هود، آية: ١٢٣.

(٦) انظر التبصرة (١١٦ ـ ١١٧).

ما قرره المؤلف من أنَّ المعتزلة تنكر أن القرآن منه بدأ وإليه يعود: صواب، فهم يقولون إن القرآن مخلوق محدث كما تقدم في المسائل السابقة، وذلك أنهم يقولون إن الله خلق القرآن في غيره، فكلام الله عندهم فعل من أفعاله يحدثه ويخلقه في الأجسام إذا أراد مخاطبة الخلق بالأمر والنهي والوعد والوعيد والزجر والترغيب[١].

قال أبو القاسم الرسي: «معنى كلامه جل ثناؤه، لموسى ـ صلوات الله عليه ـ عند أهل الإيمان والعلم، أنه أنشأ كلاماً خلقه كما شاء فسمعه موسى، ﷺ وفهمه، وكل مسموع من الله فهو مخلوق لأنه غير الخالق له، وإنما ناداه الله، جل ثناؤه، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾[٢]، والنداء غير المنادي، والمنادي بذلك هو الله، جل ثناؤه، والنداء غيره، وما كان غير الله مما يعجز عنه الخلائق فمخلوق، لأنه لم يكن ثم كان بالله وحده لا شريك له»[٣].

وما قرره المؤلف من أن الأشاعرة تنكر أن القرآن منه بدأ وإليه يعود: صواب.

فقد قال الجويني في لُمَع الأدلة: «فاعلم أن كلام الله تعالى: قديم، أزلي لا مبتدأ لوجوده»[٤].

---

(١) انظر رسائل العدل والتوحيد (٢٢٣) رسالة المختصر في أصول الدين للقاضي عبدالجبار.

(٢) سورة القصص، آية: ٣٠.

(٣) رسائل العدل والتوحيد (١٣٧).

(٤) لمع الأدلة (١٠٢) ط/ عالم الكتب.

وقال في الإرشاد: «فإنهم أثبتوا للكلام القديم على زعمهم ابتداء وانتهاء»[١].

وقال الباقلاني: «كلام الله القديم ليس بمخلوق، ولا محدث، ولا حادث، ولا خلق، ولا مخلوق، ولا جعل ولا مجعول، ولا فعل ولا مفعول، بل هو كلام أزلي أبدي، هو متكلم به في الأزل كما هو متكلم به فيما لا يزال لا أول لوجوده، ولا آخر له»[٢].

وقال المكلاتي: «اعلموا أن مذهب أهل الحق: أن الباري يتكلم بكلام قديم، لا مفتتح لوجوده»[٣].

* * *

---

(١) الإرشاد (١٢٩) ط/ الخانجي.
(٢) انظر الإنصاف (٩٨).
(٣) لباب العقول (٢٥٥).

يُسأل: عن التلاوة هل هي المتلو؟[١][٢] وعن القراءة هل هي المقروء؟ وعن الكتابة هل هي المكتوب؟ فإن قال: هو القرآن جميعاً[٣]، فهو سني، وإن قال: غيره[٤]، فهو معتزلي[٥] وأشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ﴾[٦] الآية.

وقوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾[٧] يعني غير مخلوق[٨]، والقراءة قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾[٩]، إلى قوله: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[١٠]، وأيضاً قوله ﷺ: «**إن أفواهكم طرق القرآن فطهروها بالسواك**»[١١]، وإنما هي طرق التلاوة، فدل على

---

(١) كتب في الهامش: «راد علي المخالف لأنه يقول: تالي ومتلو، وقاري ومقرؤة، وكاتب ومكتوب، يعني فاعل ومفعول، وما دخل فيه فاعل ومفعول، مخلوق، فعندنا التلاوة والمتلو شيء واحد، فضرب ومضروب، لأن الضرب والمضروب شيئان، لأن الضرب المصدر والمضروب مفعول به، بخلاف القرآن».

(٢) كتب في هامش م: «يريدون أن ما يسمع من القاري هو نفس كلام الله لا تلاوته ولا قراءته وقالت الأشعرية، التلاوة غير المتلو والقراءة غير المقروء، ويريدون أن ما يسمع من القاري ليس بكلام الله وإنما هو كلام القارئ وهو مخلوق، ولذلك قال الكتابة غير المكتوب على نحو ما ذكروا في التلاوة والقراءة «تبصرة المقدسي».

(٣) في م: «هي إياها».

(٤) في م: «غيرها».

(٥) في م: «أو».

(٦) القصص جزء من آية: (٣).

(٧) الزمر جزء من آية: (٢٨).

(٨) روي هذا عن ابن عباس انظر الآجري في الشريعة ص (٧٧).

(٩) سورة العلق، آية: ١.

(١٠) سورة العلق، الآيات: ٣، ٥.

(١١) أخرجه بن ماجه كتاب الطهارة باب السواك (٢٩١) وأبو نعيم (٤/ ٢٩٦) في الحلية =

أنها هي القرآن[١].

* * *

= موقوفاً على علي ـ رضي الله عنه ـ قال العراقي في تخريج الأحياء ١٠/ ٨٠) رواه أبو نعيم من حديث علي وابن ماجه موقوفاً وكلاهما ضعيف.

(١) من قوله: «دليلنا... إلى قوله: هي القرآن» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

هذه **المسألة** من المسائل التي افترق بسببها أهل الحديث، فصار طائفة منهم يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق وليس مرادهم صوت العبد، كما يذكر عن أبي حاتم الرازي ومحمد بن داود المصيصي، وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك أو يقف فيه، ففهم ذلك بعض الأئمة فصار يقول: أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة رداً على هؤلاء، كما فعل البخاري ومحمد بن نصر المروزي وغيرهما من أهل العلم والسنة، وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك نوع من الفرقة والفتنة.

ولهذا قال ابن قتيبة: إن أهل السنة لم يختلفوا في شيء من أقوالهم إلا في مسألة اللفظ[١]، وصار قوم يطلقون القول بأن التلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء، وليس مرادهم بالتلاوة المصدر، ومقصدهم من قولهم التلاوة هي المتلو، أن التلاوة هي القول والكلام المقترن بالحركة وهي الكلام المتلو.

والذين قالوا إن التلاوة غير المتلو والقراءة غير المقروء وهم من أهل السنة والحديث، أرادوا بذلك أن أفعال العباد ليست هي كلام الله، ولا أصوات العباد هي صوت الله.

---

(١) انظر: رسالة الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية المشبهة، لابن قتيبة.

وهذا الذي قصده البخاري هو مقصود صحيح.

وسبب ذلك أن لفظ التلاوة، والقراءة واللفظ، مجمل مشترك يراد به المصدر ويراد به المفعول، فمن قال اللفظ ليس هو الملفوظ، والقول ليس هو المقول، وأراد باللفظ والقول المصدر كان معنى كلامه أن الحركة ليست هي الكلام المسموع وهذا صحيح.

ومن قال اللفظ هو الملفوظ، والقول هو نفس المقول، وأراد باللفظ والقول مسمى المصدر، صار حقيقة مراده أن اللفظ والقول هو الكلام المقول الملفوظ وهذا صحيح.

فمن قال اللفظ بالقرآن أو القراءة أو التلاوة مخلوقة، أو لفظي بالقرآن أو تلاوتي دخل في كلامه نفس الكلام المقروء المتلو وذلك هو كلام الله، وإن أراد بذلك مجرد فعله وصوته كان المعنى صحيحاً، لكن إطلاق اللفظ يتناول هذا وغيره ولهذا قال الإمام أحمد في بعض كلامه: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهمي»، احترازاً عما إذا أراد به فعله وصوته، ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق أو تلاوتي دخل في ذلك المصدر الذي هو عمله، وأفعال العباد مخلوقة.

ولو قال أردت به أن القرآن المتلو غير مخلوق لا نفس حركاتي، قيل: لفظك هذا بدعة وفيه إجمال وإيهام، وإن كان مقصودك صحيحاً، فلهذا منع أئمة السنة الكبار إطلاق هذا وهذا وكان وسطاً بين الطرفين، وكان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يقولون: القرآن حيث تصرف كلام الله غير مخلوق من غير أن يقرن بذلك ما يشعر أن أفعال

العباد وصفاتهم غير مخلوقة.

وصارت كل طائفة من النفاة والمثبتة في مسألة التلاوة تحكي قولها عن أحمد، وهم كما ذكر البخاري في كتاب خلق الأفعال وقال: إن كل واحدة من هاتين الطائفتين تذكر قولها عن أحمد وهم لا يفقهون قوله لدقة معناه.

ولهذا قال الإمام أحمد لأبي طالب لما قرأ عليه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[1] وقال له هذا غير مخلوق فحكي عنه أنه قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، قال له: أنا قلت لك لفظي غير مخلوق؟ قال: لا، ولكن قرأت عليك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فقلت: هذا غير مخلوق[2].

وعلى هذا فالتلاوة قد يراد بها نفس الكلام الذي يتلى، وقد يراد بها نفس حركة العبد، وقد يراد بها مجموعهما، فإذا أريد بها الكلام نفسه الذي يتلى فالتلاوة هي المتلو، وإذا أريد بها حركة العبد فالتلاوة ليست هي المتلو، وإذا أريد بها المجموع فهي متناولة للفعل والكلام، فلا يطلق عليها أنها المتلو، ولا غيره[3].

وما ذكره المؤلف من أن الأشاعرة يقولون: القراءة غيرالمقروء والتلاوة غير المتلو: صواب.

---

(١) سورة الإخلاص، آية: ١.
(٢) انظر الدرء (١/ ٢٦٢ـ ٢٦٦) والفتاوى (١٢/ ٤٠٨ـ ٤١١).
(٣) الفتاوى (١٢/ ٣٠٧).

قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن القراءة غير المقروء، والتلاوة غير المتلو والكتابة غير المكتوبة»[١].

قال عبد القاهر البغدادي: «وقراءة كلامه بالعربية قرآن، وقراءته بالعبرانية توراة، وبالسريانية إنجيلاً «والقراءة غير المقروء؛ لأن المقروء كلام الله وليست القراءة كلامه»[٢].

وما قرره عن المعتزلة أنهم يقولون التلاوة غير المتلو والقراءة، لم أجد نصاً لهم في هذا الموضع، وقد نسب لهم الأشعري في «المقالات» هذا القول فقال:

«وقالت المعتزلة: القراءة غير المقروء، وهي فعلنا، والمقروء فعل الله سبحانه»[٣].

استدل المؤلف بقوله تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣﴾[٤]، على أن التلاوة هي المتلو، وأنها تطلق على المفعول الذي وقع عليه فعل القارىء وهو الملفوظ ـ المتلو[٥].

وكذلك قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾[٦]، على أن القرآن

---

(١) الإنصاف (٧٠) الثقافة الإسلامية الكوثري.

(٢) أصول الدين (١٠٨) ط أولى ١٣٤٦ط التركية مدرسة الإلهيات.

(٣) المقالات (٢/ ١٧١) ت محمد محي الدين عبدالحميد ـ مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.

(٤) سورة القصص، آية: ٣.

(٥) التبصرة (٣٠٢).

(٦) سورة الزمر، آية: ٢٨.

المراد به المقروء، الذي هو كلام الله غير مخلوق.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾[١].

وقوله ﷺ: «**إن أفواهكم طرق القرآن فطهروها بالسواك**»[٢].

وقال في وجه الدلالة منها: «وإنما هي طرق التلاوة فدل على أنها القرآن»[٣].

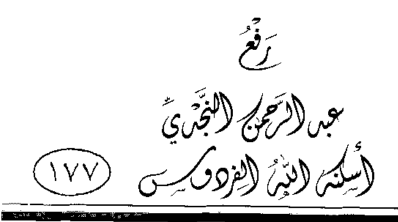
وقد بينت بما سبق أن التلاوة والقراءة والكتابة ألفاظ مجملة تطلق على المصدر الذي هو فعل اللافظ، والقارىء، والتالي، والكاتب، وهي من كسبه الذي يكون بآلاته، وجوارحه، ومنه صوته، وحركة شفتيه، ويديه.

وتطلق على المفعول، الذي وقع عليه فعل القارىء، وهو الملفوظ، المقروء، المتلو، المكتوب والأغلب في لغة العرب استعمالها في المصادر، لكنهم يستعملون المصدر بمعنى المفعول.

قال سيبويه ـ رحمه الله ـ: «وقد يجيء المصدر على المفعول، وذلك كقولك: «لبن حلَبُ» إنما تريد محلوباً، وكقولهم: «الخلق» إنما يريدون: المخلوق، ويقولون للدرهم: «ضرب الأمير» وإنما يريدون: مضروب الأمير»[٤].

---

(١) سورة العلق، آية: ١.
(٢) تقدم تخريجه ص١٥٢.
(٣) التبصرة (٣٠٢).
(٤) الكتاب (٤/ ٢٤).



قال ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ: «وعدل القول فيما اختلفوا فيه من القراءة واللفظ بالقرآن، أن القراءة لفظ واحد يشتمل على معنيين: أحدهما عمل، والآخر قرآن، إلا أن العمل لا يتميز من القرآن، كما يتميز الأكل من المأكول فيكون الممضوغ والمبلوع، ويكون الأكل المضغ والبلع، والقرآن لا يقوم بنفسه وحده كما لا يقوم المأكول بنفسه وحده، وإنما يقوم بواحدة من أربع كتابة أو قراءة، أو حفظاً أو استماعاً، فهو بالعمل في الكتابة قائم، والعمل خطٌ وهو مخلوق، والمكتوب قرآن وهو غير مخلوق، وهو بالعمل في القراءة قائم، والعمل تحريك اللسان واللهوات بالقرآن وهو مخلوق، والمقروء قرآن وهو غير مخلوق، وهو بحفظ القلب قائم في القلب، والحفظ عمل وهو مخلوق والمحفوظ قرآن وهو غير مخلوق، وهو بالاستماع قائم في السمع، والاستماع عمل وهو مخلوق، والمسموع قرآن غير مخلوق»[1].

* * *

(١) الاختلاف في اللفظ والرد على المشبهة (٥٢ـ ٥٣) ط/ الكتب العلمية.

يُسأل: عمّا في المصحف هل هو نفس القرآن أم[١] كتابته؟

فإن قال: نفس كلام الله[٢]، فهو سني.

وإن قال: كتابته، فهو أشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾[٣].

وقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾[٤].

وقوله: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾[٥][٦].

* * *

(١) الصواب «أو».

(٢) في م: «القرآن».

(٣) سورة القصص، الآيتان: ١ـ ٢.

(٤) سورة لقمان، الآيتان: ١، ٣.

(٥) سورة النمل، آية: ١.

(٦) من قوله: دليلنا..» إلى قوله تعلى «وكتاب مبين» ليس في م.

يسأل: عمّا في صدور المقرئين[(١)] هل هو نفس القرآن أم[(٢)] حفظه؟

فإن قال: نفس القرآن، فهو سني.

وإن قال: حفظ القرآن، فهو أشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[(٣)].

قوله: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ[(٤)] مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾[(٥)(٦)] الآية[(٧)].

* * *

(١) في م: «الصدور».

(٢) الصواب «أو».

(٣) العنكبوت جزء من آية: (٤٩).

(٤) كتب في الهامش: «حرج: أي شك القرآن بانه من الله».

(٥) سورة الأعراف، الآيتان: ١ـ٢.

(٦) من قوله: «دليلنا..» حتى قوله «الآية» ليست في م.

(٧) ولم يظهر لي وجه استدلال المؤلف بهذه الآية على أن المحفوظ في الصدور هو القرآن قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ قال مجاهد وقتادة والسدي: شك منه تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨٢٥) والذي يظهر أن معنى الآية: فلا يكن في صدرك شك من تبليغه وأدائه.

. . . .

دراسة المسألة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «في جواب هذه المسألة «الواجب أن يطلق ما أطلقه الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[2]، وقوله: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾﴾[3]، وقوله: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾[5].

وكذلك قول النبي ﷺ: «**لا يسافر بالقرآن إلى أرض العدو**»[6].

وقوله: «**استذكروا القرآن، فلهو أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم في عقلها**»[7] وكلاهما في الصحيحين، وقوله: «**الجوف الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»[8].

---

(١) سورة البروج، الآيتا: ٢٠ـ ٢١.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧ـ ٧٩.

(٣) سورة الطور، الآيات: ١ـ٣.

(٤) سورة البينة، الآيتان: ٢، ٣.

(٥) سورة عبس، الآيات: ١١ـ ١٦.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب كراهية السفر بالمصحف (٢٩٩٠) مسلم في كتاب الإمارة باب النهي أن يسافر بالمصحف (١٨٦٩).

(٧) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب: استذكار القرآن (٥٠٣٣) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب: الأمر بتعهد القرآن (٧٩١).

(٨) الترمذي ـ فضائل القرآن ـ (٢٩١٣) وقال حسن صحيح، وأحمد (١٩٤٨)، والدارمي: =

فمن قال: القرآن في المصاحف والصدور فقد صدق، ومن قال: فيها حفظه وكتابته فقد صدق، ومن قال: القرآن مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور فقد صدق، ومن قال: إن المداد أو الورق، أو صفة العبد أو فعله، أو حفظه وصوته قديم، أو غير مخلوق فهو مخطىء ضال، ومن قال: إن ما في المصحف ليس هو كلام الله، أو ما في صدور القراء ليس هو كلام الله، أو قال: إن القرآن العزيز لم يتكلم به الله، ولكن هو مخلوق، أو صفة جبريل أو محمد، ومن قال: إن القرآن في المصاحف كما أن محمداً في التوارة والإنجيل، فهو أيضاً مخطىء ضال، فإن القرآن كلام، والكلام نفسه يكتب في المصحف بخلاف الأعيان فإنما يكتب اسمها وذكرها، فالرسول مكتوب في التوارة والإنجيل ذكره ونعته، كما أن القرآن في زبر الأولين، وكما أن أعمالنا في الزبر.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ ﴾[2]، ومحمد مكتوب في التوارة والإنجيل، كما أن القرآن في تلك الكتب، وكما أن أعمالنا في الكتب، وأما القرآن فهو نفسه مكتوب في المصاحف، ليس المكتوب ذكره الخبر عنه، كما يكتب اسم الله في الورق، ومن لم يفرق بين كتابة الأسماء والكلام،

= فضائل القرآن (٣٣٠٦)، والحاكم فضائل القرآن (١/ ٥٥٤) وصححه، وقال الذهبي فيه قابوس بن مصعد لين الحديث..

(١) سورة الشعراء، آية: ١٩٦.

(٢) سورة القمر، آية: ٥٢.

وكتابة المسميات والأعيان ـ كما جرى لطائفة من الناس ـ فقد غلط غلطاً سوى فيه بين الحقائق المختلفة، كما قد يجعل مثل هؤلاء الحقائق المختلفة شيئاً واحداً، كما قد جعلوا جميع أنواع الكلام معنى واحداً»(١).

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: «قال أصحاب الحديث وأهل السنة: إن القرآن المكتوب الموجود في المصاحف، والمحفوظ الموجود في القلوب هو حقيقة كلام الله ـ عزّو جل ـ بخلاف ما زعم قوم أنه عبارة عن حقيقة الكلام القائم بذات الله ـ عزّ وجل ـ ودلالة عليه، والذي هو في المصحف محدث وحروفه مخلوقة.

ومذهب علماء السنة والفقهاء أنه الذي تكلم الله به، وسمعه جبريل من الله وأدى جبريل إلى النبي ﷺ وتحدى به النبي ﷺ، وجعله الله عز وجل دلالة على صدق نبوته ومعجزته، وأدى النبي ﷺ إلى الصحابة رضوان الله عليهم حسب ما سمعه من جبريل عليه السلام، ونقله السلف إلى الخلف قرناً بعد قرن، والدليل على أن القرآن موجود في المصاحف: نهي النبي ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن ينالوه، فلو كان ما في المصحف هو الزاج والكاغَد، لم ينه النبي ﷺ أن يسافر به إلى أرض العدو لأن الزاج والكاغَد لا حرمة له فيحترز من أن يناله العدو، فعلم أن في المصحف شيئاً موجوداً زائداً على الزاج والكاغد له حرمة؛ فنهى عن المسافرة»(٢).

---

(١) الفتاوي (١٢/ ٥٦٤ـ ٥٦٥).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٦٨ـ ٣٦٩).

استدل المؤلف بقوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ وقوله ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾[(١)]، وقوله: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾[(٢)].

في الدلالة على أن المكتوب في المصاحف هو القرآن لا غيره، وذلك لأن الله أشار إليه بقوله (تلك) و«تلك» عند أهل اللغة إشارة إلى شيء حاضر موجود يسمع، ويقرأ، ويكتب، وينظر إليه، وهذا يدل على أن المكتوب في المصاحف هو كلام الله حقيقة[(٣)].

قال الإمام أحمد بن حنبل: إن القرآن يتصرف على خمسة أوجه نراه بأبصارنا، الأبصار مخلوقة، والذي نبصر فيها غير مخلوق، ونقرؤه بألسنتنا الألسن مخلوقة، والمقروء بها غير مخلوق، ونسمعه بآذننا، الآذان مخلوقة والمسموع بها غير مخلوق، ونكتبه بأيدينا، الأيدي مخلوقة والمكتوب بها غير مخلوق، ونحفظه بقلوبنا القلوب مخلوقة، والمحفوظ بها غير مخلوق[(٤)].

ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة: صواب.

قال الآمدي: «ولا ننكر أن القرآن القديم مكتوب ومحفوظ ومسموع، ومتلو لكن ليس معنى كونه مكتوباً أو محفوظاً أنه حال في

---

(١) سورة لقمان، الآيات: ١ـ ٣.
(٢) سورة النمل، آية: ١.
(٣) انظر التبصرة (١٥٨) وانظر شذور الذهب (١٣٩).
(٤) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٤٨ـ ٤٤٩) والإبانة (١/ ٣٤١) قسم الرد على الجهمية.

المصاحف أو الصدور، بل معناه أنه قد حصل فيها ما هو دال عليه، وهو مفهوم منه ومعلوم»[١].

وقال الجويني: «وكلام الله ـ تعالى ـ مقروء بألسنة القراء، محفوظ بحفظ الحفظة، مكتوب في المصاحف على الحقيقة، والقراءة: أصوات القارئين ونغماتهم، وهي من الأفعال التي يؤمر بها، وينهى عنها، ويثاب المكلف عليها، وقد يعاقب على تركها، وكلام الله تعالى: هو المعلوم المفهوم منها، والكتابة أحرف منظومة، وأشكال مرقومه وهي: حوادث، والمفهوم منها كلام الله تعالى، كما أن الله تعالى مكتوب، معلوم، مذكور، وهو غير ذكر الذاكرين وعلم العالمين وكتابة الكاتبين»[٢].

قال الجويني: «كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، وليس حالاً في مصحف، ولا قائماً بقلب والكتابة قد يعبر بها عن حركات الكاتب، وقد يعبر بها عن الحروف المرسومة، والأسطر المرقومة، وكلها حوادث، ومدلول الخطوط، والمفهوم منها الكلام القديم، وهذا بمثابة إطلاق القول بأن كلام الله مكتوب في المصاحف، وليس المعنى بذلك اتصاله بالأجسام وقيامه بالأجرام»[٣].

* * *

(١) غاية المرام (١١١).
(٢) لمع الأدلة (١٠٥ـ ١٠٦).
(٣) وانظر الإرشاد (١٣٢) وانظر الإنصاف للباقلاني (٩٣).

يُسأل: عن الباري جل جلاله، هل هو على العرش استوى[١] أم[٢] لا؟

فإن قال: هو على العرش استوى بلا كيف[٣]، فهو سني.

وإن قال: لا، فهو أشعري[٤] ومعتزلي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾[٥][٦].

* * *

---

(١) «استوى» ليست في م.

(٢) الصواب لغة «أو».

(٣) «استوى بلا كيف» ليست في م.

(٤) في م: «أو».

(٥) سورة طه، آية: ٥.

(٦) من قوله: «دليلنا... حتى قوله... استوي» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

أجمع أهل السنة والجماعة وسلف هذه الأمة على أن الله عز وجل مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل كما أخبر عن نفسه فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[(١)].

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[(٢)].

وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[(٣)]،

وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[(٤)]، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[(٥)].

وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[(٦)]، وقال في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[(٧)]، فهذه سبعة مواضع أخبر فيها

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٤.
(٢) سورة يونس، آيةك ٣.
(٣) سورة الرعد، آية: ٢.
(٤) سورة طه، آية: ٥.
(٥) سورة الفرقان، آية: ٥٩.
(٦) سورة السجدة، آية: ٤.
(٧) سورة الحديد، آية: ٤.

سبحانه أنه على العرش.

وقال ﷺ: «إن الله عز وجل كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش»(١).

قال الإمام مالك لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾(٢): الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»(٣).

قال الأوزاعي: «كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفات الله جل وعلا»(٤).

قال الإمام أبو عمر الطلمنكي: «أجمع المسلمون من أهل السنة أن الله تعالى مستو على عرشه كيف شاء»(٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن نقل أقوال عدد من أهل العلم في حكاية الإجماع على استواء الله على عرشه: «وهذا باب واسع لا يحصيه إلا الله تعالى، فإن الذين نقلوا إجماع أهل السنة أو إجماع الصحابة والتابعين على أن الله فوق العرش بائن من خلقه لا يحصيهم

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء ٣٨٨٦٠) ومسلم في كتاب التوبة باب سعة رحمة الله (٦٩١٤).
(٢) سورة طه،اية: ٥.
(٣) العلو (٩٩) للذهبي ط/ أنصار السنة.
(٤) الأسماء والصفات (٤٠٨) البيهقي ط السعادة.
(٥) العلو (١٤٨) الذهبي.

إلا الله . . »[١] .

ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة والمعتزلة من إنكار استواء الله على عرشه صواب .

فالأشاعرة يجعلون الاستواء عائداً إلى العرش لا إلى الله ـ تعالى ـ .

قال الغزالي : «وأما الاستواء فهو نسبة للعرش لا محالة»[٢] .

قال الباقلاني : «وقد سئل الشبلي عن قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فقال : الرحمن لم يزل ولا يزول والعرش محدث ، والعرش بالرحمن استوى»[٣] .

والمعتزلة يقولون : استواء الله على العرش معناه الاستيلاء .

قال القاضي عبدالجبار : «والاستواء ههنا ، بمعنى الاستيلاء والغلبة وذلك مشهور في اللغة»[٤] .

ومن الأشاعرة من يوافق المعتزلة في هذا التأويل الفاسد كالجويني حيث قال : « . . . لم يمتنع منا حمل الاستواء على القهر والغلبة ، وذلك شائع في اللغة . . . »[٥] .

---

(١) بيان تلبيس الجهمية . ط الأولى ـ م الحكومة ـ مكة المكرمة ١٣٩٢هـ .
(٢) الاقتصاد (٥٥) ط كلية الإلهيات ـ أنقرة ١٩٦٢م .
(٣) الإنصاف (٣٧) ط مكتبة الثقافة (١٣٦٩هـ .
(٤) شرح الأصول (٢٢٦) وانظر المختصر في أصول الدين (٢٦١) رسائل العدل والتوحيد .
(٥) الإرشاد (٤٠) ط الخانجي ١٣٦٩هـ .

والآمدي حيث قال: «وأما آية الاستواء فإنه يحتمل أن يكون المراد التسخير، والوقوع في قبضة القدرة، ولهذا تقول العرب: استوى الأمير على مملكته، عند دخول العباد تحت طوعه في مرادته، وتسخيرهم في مأموراته ومنهياته، وإليه الإشارة بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق»[1]

والأدلة على بطلان مذهب الأشاعرة والمعتزلة أكثر من أن تحصى..

فقول الأشاعرة: إن الاستواء عائد إلى العرش فيكون المعنى: «الرحمن العرش استوى».

فالجواب عنه من وجوه:

الأول: أنهم بهذا القول أقرُّوا أنه تعالى في جهة العلو وهم لا يقولون بذلك.

الثاني: أنه لو كان الأمر كما قالوا لكانت القراءة برفع الشين أولى ويكون أصلاً فيه، وكان يجب أن يكون «على» فعلاً، فلما أجمع المسلمون على أن القراءة بخفض العرش، وعلى أن ذلك هو الأصل، وأن حرف «على» في هذا الموضع حرف جر فدل على بطلان ما قالوه.

الثالث: أن أم سلمة رضي الله عنها لما سألت عن قوله تعالى:

---

(١) غاية المرام (١٤١).

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[١]، فقالت: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[٢].

والاستواء في اللغة غير مجهول، وإنما صفة استواءه جل جلاله غير معقولة لأن صفات الباري لم تكيف[٣].

أما قول المعتزلة إن الاستواء بمعنى الاستيلاء واعتمادهم على قول الشاعر:

استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهران[٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في إبطال احتجاجهم بهذا البيت: «لم يثبت بنقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى إثبات صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده؟

وقد طعن فيه أئمة اللغة، وذُكِرَ ذلك عن الخليل، كما ذكر

---

(١) سورة طه، آية: ٥.

(٢) رواه اللالكائي بسنده موقوفاً على أم سلمة(٣/٣٩٧) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً ولكن ليس اسناده مما يعتمد عليه» الفتاوي (٥/ ٣٦٥) ومثل هذا الجواب ثابت عن مالك وربيعة شيخ مالك أخرجه اللالكائي (٣/٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٨) وابن عبدالبر في التمهيد (٧/١٣٨) والعلو للذهبي (٩٩).

(٣) انظر التبصرة (٢١٣ـ ٢١٤).

(٤) انظر استدلال المعتزلة والإشاعرة بهذا البيت شرح الأصول الخمسة (٢٢٦)، وغاية المرام (١٤١) الآمدي.

أبو المظفر في كتابه «الإفصاح».

قال: سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى، فقال: هذا مالا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها، وهو إمام في اللغة على ما عرف من حاله، فحينئذ حمله على مالا يعرف حمل باطل»[١].

ويقال لهم: إن لفظة الاستيلاء لا تستعمل في لغة العرب إلا أن يكون للمستولي مضاد ومغالب، فأيهما غلب قيل إنه استولى عليه، والباري تعالى لا مضاد له في ملكه[٢].

قيل لابن الأعرابي: ما معنى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝﴾[٣]، فقال: هو على عرشه كما أخبر، فقال السائل: يا أبا عبدالله إنما معناه استولى، فقال ابن الأعرابي: ما يدريك؟ العرب لا تقول استولى على الشيء حتى يكون له مضاد، فأيهما غلب فقد استولى.

أما سمعت قول النابغة:

ألا لمثلك أو من أنتِ سابقَهُ   سبقَ الجوادِ إذا استولى على الأمد[٤]

---

(١) الفتاوى (٥/١٤٦).

(٢) انظر: التبصرة (٢١٧).

(٣) سورة طه، آية: ٥.

(٤) أخرجه الذهبي في العلو (١٠٨) (٣/٣٩٩) والبيت في ديوان النابغة (ص١٣) عباس عبدالساتر دار الكتب العملية بيروت ط ٢/١٤٠٦هـ.

ومما يبطل قولهم:

أن الأمة أجمعت مؤمنها وكافرها: على أن الله تعالى فوق العرش، فيقولون كلهم: الله تعالى في السماء ويشيرون في دعائهم ومسألتهم إلى السماء ويقصدون بذلك أن الله تعالى على عرشه[١].

قال ابن عبد البر «ومن الحجة أيضاً في أنه عزّ وجل على العرش فوق السموات السبع، أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر، أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته إلا اضطراراً، لم يؤنبهم عليه أحد ولا أنكر عليهم مسلم»[٢].

* * *

(١) انظر: التبصرة (٢٢٢).
(٢) التمهيد (٧/ ١٣٤).

. . . .[١] **دليلنا**: قوله تعالى لإبليس اللعين:

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[٢].

واليد يد الصفة، لا قدرتان، ولا نعمتان، ولا جارحتان، بل هما صفتان من صفات ذاته[٣].

* * *

(١) ما قبل قوله: «دليلنا» ساقطة من أصل المخطوطة ولا توجد في: م، والكلام في صفة اليدين.
(٢) ص: ٧٥.
(٣) هذه المسألة ليست في «م».

دراسة المسألة:

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن لله يدين بلا كيف كما جاءت النصوص بذلك.

قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾(١)، وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾(٢)، وقال: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾(٣).

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾(٤).

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى عليهما السلام، فقال موسى يا آدم: أنت أبونا، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى عليهما السلام»(٥).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيباً، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها

---

(١) صورة ص، آية: ٧٥.
(٢) سورة المائدة، آية: ٦٤.
(٣) سورة يس، اية: ٨٣.
(٤) سورة يس، آية: ٧١.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب القدر باب تحاج آدم وموسى حديث رقم (٦٦١٤) ومسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى حديث رقم (٢٦٥٢).

كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبل»[١].

وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا**»[٢].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ورد لفظ اليد في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً متصرفاً فيه مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك، والطي، والقبض، والبسط، والنضح باليد، والخلق باليدين، والمباشرة بهما، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فقطع بالضرورة أن المراد: يد الذات لا يد القدرة والنعمة، فإن السياق والتركيب لا يحتمله البتة»[٣].

قال السِّجزي: «وأهل السنة متفقون على أن لله سبحانه يدين، بذلك ورد النص في الكتابة والأثر»[٤].

قال ابن خزيمة: «نحن نقول: الله جل وعلا له يدان، كما أعلمنا الخالق البارىء في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب الصدقة من كسب طيب (١٤١٠) ومسلم في كتاب الزكاة باب قبول الصدقة (١٠١٤).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل (١٨٢٧).
(٣) انظر مختصر الصواعق (٣٣٤) ط العلمية.
(٤) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (١٧٣).
(٥) التوحيد (١٩٣) ط دار الرشد.

وقال البغوي: «ويد الله صفة من صفاته ذاته، كالسمع والبصر والوجه. . . . والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم»[١].

وقد ذهب قوم من أهل البدع إلى تأويل صفة اليد فقالوا: إن معنى اليد النعمة في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

قال القاضي عبدالجبار: «وتأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ نعمتاه، كما يقال: لفلان عندي يد، وأياد، وأراد الله تعالى بذلك نعم الدنيا والدين»[٢].

وقالوا قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٣].

قالوا: معنى اليد هنا القوة والقدرة.

قال القاضي عبدالجبار: «إن اليدين ههنا بمعنى القوة، وذلك ظاهر في اللغة، يقال: مالي على هذا الأمر يد، أي قوة»[٤].

قال الآمدي: «أما لفظ اليدين فإنه يحتمل القدرة؛ ولهذا يصح أن يقال: في يدي إذا كان متعلق قدرته وتحت حكمه وقبضته، وإن لم يكن في يديه اللتين هما بمعنى الجارحتين أصلاً»[٥].

ولا شك في بطلان هذه التأويلات كلها وبيان ذلك من وجوه عدة:

الأول: أن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٥٠).
(٢) المختصر في أصول الدين (٢١٨) ضمن رسائل العدل والتوحيد.
(٣) سورة ص، آية: ٧٥.
(٤) شرح الأصول الخمسة (٢٢٨).
(٥) غاية المرام (١٣٩) الآمدي وانظر الإرشاد (١٥٥) الجويني.

القدرة، لأن اللغة إنما تجيز استعمال الواحد في الجمع كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[1]، ولفظ الجمع في الواحد كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾[2]، ولفظ الجمع في الاثنين كقوله: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[3]، أما استعمال لفظ الواحد في الاثنين أو الاثنين في الواحد فلا أصل له في لغة العرب[4].

الثاني: أنه لا يوجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أئمة المسلمين: أنهم قالوا المراد باليد خلاف ظاهرة أو الظاهر غير مراد[5].

الثالث: أننا لو قلنا أنه يجوز أن يعنى باليد حقيقة اليد، وأنه يعنى بها القدرة والنعمة أو يجعل ذكرها كناية عن الفعل، فما الموجب لصرفها عن الحقيقة إلى المجاز[6]؟.

الرابع: أن الله خص آدم وفضله بأن خلقه بيديه، ولو كان معنى اليد القدرة أو النعمة أو مجرد إضافة خلقه إليه لشاركه في ذلك إبليس وجميع المخلوقات[7].

---

(١) سورة العصر، آية: ٢.
(٢) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.
(٣) سورة التحريم، آية: ٤.
(٤) انظر الفتاوي (٦/ ٣٦٥) لابن تيمية.
(٥) المصدر نفسه (٦/ ٣٦٧).
(٦) المصدر نفسه (٦/ ٣٦٧).
(٧) انظر الفتاوي (٦/ ٣٦٩) وانظر وجوه الرد على مؤولة هذه الصفة في مختصر الصواعق (٣٢٢ ـ ٣٣٤).

يُسأل: عن صفات الله تعالى[١]: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[٣]، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٤]، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[٥]، ونحو ذلك مما يصح سنده عن رسول الله ﷺ[٦]، فإن آمن به ويمره[٧] كما جاء من غير تكييف ولا تفسير،[٨] فهو سني.

وإن قال يد القدرة والنعمة، فهو أشعري وسالمي[٩][١٠].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ولو كان[١١] يد القدرة كيف فضل آدمَ عليه السلام على سائرِ الخلائق وكيف يكون صفياً[١٢].

---

(١) في م «الباري».

(٢) سورة المائدة، آية: ١١٦.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٢٧.

(٤) سورة ص، آية: ٧٥.

(٥) سورة القمر، آية: ١٤.

(٦) «مما يصح سنده عن رسول الله ﷺ ليست في «م».

(٧) في م «وآمره» ولعله الصواب.

(٨) «من غيرتكييف ولا تفسير» ليست في «م».

(٩) «وإن قال يد القردة والنعمة فهو أشعري» ليست في «م» والذي في «م» «وإن تأوله وحمله على مقتضى اللغة، فهو معتزلي أو أشعري».

(١٠) السالمية: طائفة من طوائف أهل البدع تنسب إلي محمد بن أحمد بن سالم ت ٢٩٧هـ وابنه أحمد بن محمد أبي الحسن ت ٣٦٠هـ، لهم بدع كثيرة منها القول بالحلول. وأن الله تعالى يرى يوم القيامة في صورة آدمي، وأن إبليس أطاع الله تعالى ـ آخر الأمر.
انظر: المعتمد لأبي يعلي (ص٢١٧ـ ٢٢١) الغنية (١/ ٩٤ـ ٩٥) لعبد القادر الجيلاني.

(١١) الأصح «أن يقول: كانت» لأن «يد» اسم مؤنث.

(١٢) من قولك «دليلنا» إلى قوله... ويكون صفيا» ليست في «م».

. . . .

دراسة المسألة:

يؤمن أهل السنة والجماعة بصفات الله كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل إذ إن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[١] قال الإمام أحمد: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصف به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والحديث[٢].

قال أبو الفرج الشيرازي «ونصف الله بما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيّه ﷺ كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[٣]، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾... فمذهبنا فيه ومذهب السلف الصالح الإيمان به واجب وإقراره كما جاءنا من غير تكيئف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تغيير»[٤].

قال ابن عبد البر: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يجدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرّ بها

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.
(٢) انظر: الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٢٦).
(٣) سورة المائدة، آية: ١١٦.
(٤) التبصرة (٢٤٤ـ ٢٤٦).

مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله»[١].

قال شيخ الإسلام: «وجماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو أن يوصف الله بما وصف نفسه، وبما وصف به رسوله ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل والتكييف والتعطيل، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فمن نفى صفاته كان معطلاً، ومن مثل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلاً، والواجب إثبات الصفات ونفي مما ثلتها لصفات المخلوقات، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهذا رد علي الممثلة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ رد على المعطلة، فالممثل يعبد صنماً والمعطل يعبد عدماً»[٢].

وقد أورد المؤلف بعض آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[٣] وهذه الآية فيها صفتان لله تعالى.

الأولى: صفة العلم وهي من صفاته الذاتية، والسلف متفقون علي أن لله ـ تعالى علماً، وأن علمه أزلي بأزليته، وأنه علم في الأزل ما سيكون من دقيق وجليل، وهو عالم بمعلومات غير متناهية، وينفون أن يكون علم الله تعالى مخلوقاً.

---

(١) التمهيد (٧/ ١٤٥) م فضالة.

(٢) الفتاوى (٦/ ٥١٥).

(٣) سورة المائدة، آية: ١١٦.

قال ابن خزيمة: «قال عز وجل ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[1].

فأعلمنا الله أنه أنزل القرآن بعلمه، وخبرنا جل ثناؤه أن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، فأضاف الله جلا وعلا إلى نفسه العلم الذي أخبرنا أنه أنزل القرآن بعلمه وأن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، فكفرت الجهمية وأنكرت أن يكون لخالقنا علم مضاف إليه من صفات الذات، تعالى الله عما يقول الطاعنون في علم الله علواً كبيراً، فيقال لهم: خبرونا عمن هو عالم بالأشياء كلها، أله علم أم لا؟ فإن قال: الله يعلم السر والنجوى وأخفى، وهو بكل شيء عليم، قيل له فمن هو عالم بالسر والنجوى وهو بكل شيء عليم، أله علم أم لا علم له؟ فلا جواب لهم لهذا السؤال إلا الهرب ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[2][3].

والثانية: صفة النفْس، وقد جاءت النصوص بإثباتها في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ﴾[5]،

---

(١) سورة هود، آية: ١٤.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.
(٣) التوحيد (١/ ٢٢ـ ٢٣).
(٤) سورة الأنعام، آية: ٥٤.
(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٨.

وقوله: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ۝٤١﴾[١].

وقوله ﷺ: «يقول الله أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[٢].

قال ابن خزيمة: «فالله جلّ وعلا أثبت في آي من كتابه أن له نفساً، وكذلك قد بين على لسان نبيه ﷺ أن له نفساً، كما أثبت النفس في كتابه؛ وكفرت الجهمية بهذه الآى، وهذه السنن، وزعم بعض جهلتهم أن الله تعالى إنما أضاف النفس إليه على معنى إضافة الخلق إليه، وزعم أن نفسه غيره، كما أن خلقه غيره، وهذا لا يتوهمه ذو لُبٍّ وعلم فضلاً عن أن يتكلم به.

قد أعلم الله في محكم تنزيله أنه كتب على نفسه الرحمة، أفيتوهم مسلم أن الله تعالى كتب على غيره الرحمة؟!

وحذر العباد نفسه، أفيحل لمسلم أن يقول: إن الله حذر العباد غيره؟ أو يتأول قوله لكليمه موسى ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ۝٤١﴾ فيقول معناه: واصطنعتك لغيري من الخلوق، أو يقول: أرد روح الله بقوله: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ أراد ولا أعلم ما في غيرك؟ هذا لا يتوهمه مسلم ولا يقوله إلا معطل كافر»[٣].

---

(١) سورة طه، آية: ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى (يحذركم الله نفسه) (٧٤٠٥) ومسلم في كتاب الذكر باب الحث عليه (٢٦٧٥).

(٣) التوحيد (١/ ١٩-٢٠) ابن خزيمة.

في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[(١)] إثبات صفة الوجه للرب عزّ وجل.

قال ابن خزيمة: «فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعطلين..»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[(٣)].

وقال ﷺ: **«إن الله لاينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**[(٤)].

وقوله ﷺ: **«جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى وجه ربهم في جنة عدن إلا رداء الكبرياء على وجهه»**[(٥)].

---

(١) سورة الرحمن، آية: ٢٧.
(٢) التوحيد (ص١/ ٢٦).
(٣) سورة القصص، آية: ٨٨.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب قوله ﷺ إن الله لا ينام (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري.
(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله (ومن دونهما جنتان) (٤٨٧٨) وكتاب =

والأدلة على إثبات صفة الوجه أكثر من أن تحصى.

وفي قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ إثبات صفة العين للرب ـ عز وجل ـ.

والأدلة على إثبات هذه الصفة كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[1]، وقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾[2].

وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[3].

وقوله ﷺ: «**إن الله ليس بأعور، إلا أن المسيح الدجال أعور، عينه اليمنى كأنها عنبة طافية**»[4].

قال ابن خزيمة: «فواجب على كلّ مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبَّت الخالق الباريء لنفسه من العين، وغير مؤمن: من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبّته الله في محكم تنزيله، ببيان النبي ﷺ الذي جعله الله مُبيناً عنه ـ عز وجل ـ، في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[5]، فبين النبي ﷺ أن لله عينين فكان بيانه موافقاً

= التوحيد باب قوله (وجوه يومئذ ناضرة...) (٧٤٤٤) ومسلم كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه (١٨٠).

(١) سورة هود، آية: ٣٧.

(٢) سورة طه، آية: ٣٩.

(٣) سورة الطور، آية: ٤٨.

(٤) البخاري كتاب الأنبياء باب «واذكر في الكتاب مريم» (٣٤٤٠) ومسلم في الفتن باب ذكر الدجال (٧٣٠٥).

(٥) سورة النحل، آية: ٤٤.

لبيان محكم التنزيل الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب»[١].

ما نسبه المؤلف إلى الإشاعرة من القول بتأويل اليد بالقدرة والنعمة تقدم الكلام عليه.

أما ما نسبه إلى السالمية فلم أقف على كلام لهم في ذلك، ولم أجد من نسبه غير المؤلف، وهو حجة في ذلك.

* * *

---

(١) التوحيد (١/ ٩٧).

يسأل[١] عن قوله ﷺ: «**إن الله سميع بصير عليم متكلم**»[٢] فإن قال به، فهو سني.

وإن قال: سميع بلا سمع بصير بلا بصر، متكلم بلا حروف، فهو جهمي[٣] وأشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[٤] الآية.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾[٥]، ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾[٦]، وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[٧].

وقوله: إخباراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾[٨].

---

(١) هذه المسألة ليست في م.
(٢) لم أجده.
(٣) الجهمية: هم أصحاب جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بن أمية، لهم بدع منها: نفي الصفات الأزلية، نفي الرؤية، وإثبات خلق الكلام وأنه لا جيوز وصف الباري بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي التشبيه فنفوا كونه حياً عليماً، وأثبتوا كونه قادراص وفاعلاً خالقاً، وقالوا: إن الإنسان مجبور على أفعاله لا قدرة له ولا إرادة وإن الجنة والنار تفنيان، والإيمان معرفة الله وإنه لا يتفاضل. انظر الملل والنحل (١/ ٩٧) الشهرستاني ومقالات الإسلاميين (٢٧٩) الأشعري.
(٤) سورة المجادلة، آية: ١.
(٥) سورة الحج جزء من آية: (٧٥).
(٦) سورة البقرة، آية: ٢٢٧.
(٧) سورة طه، اية: ٤٦.
(٨) سورة مريم، آية: ٤٢.

وقوله ﷺ:[١] «إن الله سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، شائي بمشيئة، مريد بإرادة، قادر بقدرة»[٢] على رغم أنف الأشعرية قاتلهم الله.

* * *

(١) كتب (صلع) أختصاراً وأثبت الصلاة كاملة.
(٢) لم أجده.

. . . .

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله متصف بالسمع والبصر كما وصف بذلك نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾(١)، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾(٢)، وقال: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾(٣)، وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾(٤) وقال لموسى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾(٥).

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى رسوله ﷺ تكلمه في جانب البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾(٦)(٧).

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.
(٢) سورة النساء، آية: ١٣٤.
(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨١.
(٤) سورة المجادلة، آية: ١.
(٥) سورة طه، آية: ٤٦.
(٦) سورة المجادلة، آية: ١.
(٧) أخرجه البخاري معلقاً كتاب التوحيد باب وكان الله سميعاً بصيراً (٣٨٦٣) والنسائي موصولاً كتاب الطلاق باب الظهار (٣٤٦٠) وأحمد في المسند (٢٣٦٧٥) وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٧٨) ح (٦٢٥) ورواه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير (٢ ص٤٨١) وصححه ووافقه الذهبي.

ووصفه رسوله ﷺ بذلك فقال: «**أيها الناس: إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً**»(١).

قال الدارمي: معلقاً على هذا الحديث: «أفلا ترى ـ أيها المريسي ـ أن رسول الله ﷺ ذكر الأصم والسميع، وهما متضادان، فأخبر أن الله سميع بخلاف الأصم»(٢).

وقال ﷺ: «**ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله إنهم يدعون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم**»(٣).

وعن عبدالله مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «اجتمع عند البيت قرشيان أو ثقفيان كثير شحم بطونهما قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إذا جهرنا، ولا يسمع إذا أخفينا، وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ﴾(٤)(٥).

قال أبو القاسم الأصبهاني: «... فالسميع صفة مشتقة من السمع، كما أن الضارب صفة مشتقة من الضرب، والضرب مصدر لأن الفعل

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب: خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٤).
(٢) الرد على المريسي (٤٧).
(٣) البخارى كتاب الأدب باب الصبر في الأذى (٦٠٩٩).
(٤) سورة فصلت، آية: ٢٢.
(٥) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب (وما كنتم تستترون) ح (٤٨١٦) ومسلم في كتاب صفة المنافقين (٢٧٧٥).

صدر عنه، وإذا كان صادراً عن المصدر كانت الصفة المبنية من الفعل صادرة عنه أيضاً وهي الضارب، وإذا صح هذا صح أن السميع صفة مبنية من أصل مشتقة منه صادرة عنه، وذلك الأصل هو السمع، فصح أن السميع لا يكون إلا بسمع.

والدليل على ذلك أيضاً: إذا بطل السمع حصل الصمم، وإذا بطل البصر حصل العمى، فيكون الله تعالى في قول من يثبت السميع، ولا يثبت السمع، سميعاً أصم وبصيراً أعمى، كما تقول في القدير والعليم، فتبطل الصفات كلها وتكون ألفاظاً لا معاني لها، ويكون الله تعالى خالياً عن الصفات والأسماء التي هي صفاته، تعالى عما يقول المعطلة»[١].

قال ابن خزيمة: «هو كما وصف نفسه: سميع بصير، ومن كان معبوده غير سميع بصير، فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق الباري، الذي هو سميع بصير»[٢].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[٣]. رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه وأصبعه التي تليها على عينه»[٤].

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ١٣٧).
(٢) التوحيد (١/ ١٠٦).
(٣) سورة النساء، آية: ٥٨.
(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب في الجهمية (٤٧٢٨).

وإنما فعل ذلك ﷺ تحقيقاً لصفة السمع والبصر.

ويعتقدون أن من صفاته تعالى الكلام وأنه يتكلم بكلام بحرف وصوت، يسمعه من يشاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه، من غير واسطة وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾(١)، وقال: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾(٢).

وقال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، ثم ينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار فمن استُطاع منكم أن يقي وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل»(٣).

ما قرر المؤلف أن الجهمية تقول سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، متكلم بلا حروف.

الأقرب أنه قول المعتزلة قال الشهرستاني «واتفقت المعتزلة على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته تعالى، لكن اختلفوا في وجوه وجودها، ومحامل

(١) سورة النساء، آية: ١٦٤.
(٢) سورة الأعراف، آية: ١٤٤.
(٣) البخاري في كتاب الزكاة باب الصدقة (١٤١٣) وفي المناقب (٣٥٩٥) وفي الرقاق (٦٥٣٩) وفي التوحيد (٧٤٤٣) (٧٥١٢) ومسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة (١٠١٧).

معانيها. . .»[١].

قال القاضي عبدالجبار: «. . .ولهذا قلنا إن الله ـ تعالى ـ كان سميعاً بصيراً فيما لم يزل ولم نقل إنه سامع مبصر فيما لم يزل، لفقر المسموع والمبصر، وعلى هذا قول شيخنا أبي علي أن السامع والمبصر متعد، والسميع والبصير غير متعد»[٢].

وقد نسب الملطي في «التنبيه» إنكار صفة السمع والبصر للجهمية فقال: «وأنكر جهم أن يكون لله سمع وبصر وقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه ووصف نفسه في كتابه وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

وقال الملطي: «وأنكر جهم أن الله يتكلم والله يقول: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[٣]»[٤].

فالمعتزلة كما هو مشهور من مذهبهم يثبتون الأسماء وينفون الصفات وأما الجهمية فهم ينفون الأسماء والصفات[٥].

«وقول المؤلف: إن الجهمية يقولون متكلم بلا حروف».

---

(١) الملل والنحل ١٠/٦٢) مطبعة الأزهر ط الأولى ـ محمد فتح الله بدران.
(٢) شرح الأصول الخمسة.
(٣) سورة البقرة، اية: ٧٥.
(٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء (١٢٠) ط الكوثري.
(٥) قال ابن المرتضي «وأما ما أجمعت عليه المعتزلة، فقد أجمعوا علي أن للعالم محدثاً قادراً عالماً حياً لا لمعان. .» انظر: المنية والأمل ص (٥٦).

في نسبة هذا لهم نظر، فهم ينكرون اتصاف الله بصفة الكلام قال الملطي: «وأنكر جهم أن الله يتكلم والله يقول: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾[1]﴾»[2].

وقال الإسفراييني وهو يحكي أقوال جهم: «وكان يقول كلام الله حادث ولكن لا يجوز أن يسمى متكلماً بكلام»[3].

ما ذكره المؤلف من أن الأشاعرة يقولون إن الله سميع بلا سمع بصير بلا بصر ليس بصواب فالظاهر من كلامهم خلاف ذلك.

قال الآمدي: «مذهب أهل الحق: أن الواجب بذاته مريد بإرادة، عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، وهذه كلها معان وجودية أزلية زائدة على الذات»[4].

قال عبدالقاهر البغدادي: «أجمع أصحابنا على أن قدرة الله عز وجل وعلمه وحياته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه صفات له أزلية»[5].

قال الأيجي: «القصد السادس: في أنه تعالى سميع بصير، السمع

---

(١) سورة البقرة، آية: ٧٥.

(٢) التنبيه (١٢٠).

(٣) التبصير (٩٧) ط الخانجي.

(٤) غاية المرام (٣٨).

(٥) أصول الدين (٩٠) وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد (١٠٨) وجوهرة التوحيد (٧٣) والإرشاد (٧٢) والإنصاف (٢٢) ولمع الأدلة (٩٧).

دل عليه، وهو مما عُلم بالضرورة من دين محمد ﷺ والقرآن والحديث مملوء به لا يمكن إنكاره ولا تأويله»[١].

وما قرره أنهم يقولون متكلم بلا حروف صواب، فهم يقولون: إن كلام الله كلام نفسي قائم بذاته.

قال الجويني: «إذا ثبت أن القائم بالنفس: كلام، وليس هو حروفاً منتظمة ولا أحداثاً مقطعة من مخارج الحروف، فيستيقن العاقل: أن الكلام القديم ليس بحروف ولا أصوات ولا ألحان ولا نغمات»[٢].

قال الآمدي: «ذهب أهل الحق من الإسلاميين إلى كون الباري تعالى متكلماً بكلام قديم أزلي نفساني، أحدي الذات، ليس بحروف ولا أصوات»[٣].

* * *

(١) المواقف (٢٩٢) والتمهيد (٢٦) ط مكارثي.
(٢) لمع الأدلة (١٠٥).
(٣) غاية المرام (٨٨).

يسأل: عن الفوقية فإن قال به[١]، فهو سني، وإن أنكره[٢] فهو أشعري ملعون[٣].

---

(١) الأصح أن يقول «بها» لأن الضمير يعود على صفة الفوقية.

(٢) الأصح أن يقول «أنكرها» لأن الضمير يعود على صفة الفوقية.

(٣) اللعن بالبدعة قد دل عليه حديث النبي ﷺ فيما رواه عنه علي بن أبي طالب: «المدينة حرم من عير إلى كذا فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام باب ما يكره من التعمق (٧٣٠٠) ومسلم في كتاب الحج باب فضل المدينة ح (١٣٧٠) سئل الحسن البصري عن الحدث في الحديث فقال: أصحاب الفتن كلهم محدثون وأهل الأهواء كلهم محدثون (الإبانة الصغرى (١١٣)) وروى ابن وضاح ص ٧ في كتابه البدع والنهي عن الحوادث عن أسد بن موسى الأموي ت ٢١٢هـ قال: «قد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل الأهواء وأن الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ولا فريضة ولا تطوعاً».
قال الشاطبي في الاعتصام (١/ ١٥١): «وأما أن صاحبها ملعون على لسان الشريعة فلقوله عليه الصلاة والسلام: «من أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» الاعتصام (١/ ١١٥).
قال ابن حجر: في الفتح (١٢/ ٢٧٩) الغرض بإيراد الحديث هنا لعن من أحدث، فإنه وإن قيد في الخبر بالمدينة فالحكم عام فيها وفي غيرها، إذا كان من متعلقات الدين» (فتح الباري (١٢/ ٢٧٩).
وقد جاء الحديث عاماً في مسند أحمد (٦١٦) «من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».
وجاء عن بعض الصحابة لعن المبتدعة عن سعيد بن جمهان قال: أتيت عبدالله بن أبي أوفي ـ رضي الله عنه ـ وهو محجوب البصر فسلمت عليه، قال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جمهان قال: فما فعل والدك؟ قلت: قتلته الأزارقة قال: لعن الله الأزارقة لعن الله الأزارقة.
حدثنا رسول الله ﷺ «أنهم كلاب النار»، قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: بل الخوارج كلها» أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ح (٤٢٤) واللالكائي في شرح أصول الأعتقاد (٤/ ١٢٣٣).
وعن عكرمة بن عمار قال: «سمعت القاسم بن محمد وسالم بن عبدالله يلعنان القدرية الذين يكذبون بقدر الله عز وجل حتى يؤمنوا بخيره وشره» أخرجه عبدالله بن الإمام =

ٓ

= أحمد في السنة (٢/ ٢٩١) والآجري في الشريعة (٣٢٣) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد
(٤/ ١٢٣٣).
وعن يزيد بن هارون وقد ذكرت الجهمية عنده فقال: «هم والله زنادقة عليهم لعنة الله».
وجاء في رسالة الإمام أحمد إلى مسدد بن مسرهد: وقالت طائفة: القرآن كلام الله وسكتت وهي الواقفة الملعونة.. وأما المعتزلة الملعونة فقد أدركنا من أهل العلم أنهم يكفرون بالذنب» (طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٣٤٣).
وقال الآجري: «وكذلك التابعون لهم بإحسان سبوا من تكلم بالقدر، وكذب به ولعنوهم، ونهوا عن مجالستهم» (الشريعة (١٥٠).
قال شيخ الإسلام: «ولهذا اهتم كثير من الملوك والعلماء بأمر الإسلام وجهاد أعدائه حتى صاروا يلعنون الرافضة والجهمية وغيرهم، على المنابر، حتى لعنوا كل طائفة رأو بها بدعة فلعنوا الكلابية والأشعرية» (الفتاوى (٤/ ١٥).

دلينا: قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾[١].

وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[٢]،

وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[٣].

وقوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ[٤]﴾[٥].

* * *

---

(١) سورة النحل، آية: ٥٠.

(٢) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٣) سورة السجدة، آية: ٥.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٥٥.

(٥) من قوله: «دليلنا... إلى قوله: ورافعك إلي» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة اتصاف الرب سبحانه وتعالى بصفة العلو والفوقية والأدلة على ذلك من الكثرة والتواتر ما لا يمكن حصرها وقد دل العقل والفطرة والسمع على اتصاف الله بصفة الفوقية فأما دليل العقل:

فيقال إن الله سبحانه لما خلق الخلق لم يخلقهم في ذاته تعالى الله عن ذلك، فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فتعين أن خلقهم خارجاً عن ذاته، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات، مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم، لكان متصفاً بضد ذلك، لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية السفول، هو مذموم على الإطلاق، لأنه مستقر إبليس وأتباعه وجنوده[1].

أما دليل الفطرة:

فإن الله فطر الخلق جميعهم على الإقرار بعلو الله وفوقيته، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم، وينطقون بذلك بألسنتهم، لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في بدعته، أو مفتون بتلقيد أتباعه على ضلالته[2].

---

(١) شرح الطحاوية (٣١٨).
(٢) إثبات صفة العلو (٤١) لابن قدامة.

عن معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت غنيمة لي ترعاها جارية لي قِبَل أُحُد والجوانية، فوجدت الذئب قد أخذ منها شاة، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة، ثم انصرفت إلى رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ فقلت يارسول: أفلا أعتقها؟ قال: بلى، ائتني بها، فجئت بها إلى رسول الله ﷺ فقال لها أين الله؟ قالت: في السماء، قال: فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله ﷺ، قال إنها مؤمنة فأعتقها[1].

أما دلالة السمع فقد ذكر المؤلف شيئاً منها ومن الأدلة:

قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾[5].

وقد جاءت الأدلة متنوعة في إثبات صفة العلو والفوقية.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب تحريم الكلام فيها (٣٨٢) وأبو داود في كتاب الصلاة باب تشميت العاطس (٩٢٩) وأحمد في مسنده (١٧٤٨٥) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٣٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢١٥).

(٢) سورة الملك، آية: ١٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٨.

(٤) سورة النحل، آية: ٥٠.

(٥) سورة المعارج، آية: ٤.

أحدها: التصريح بالفوقية مقروناً بأداة: «من»، المعينة للفوقية بالذات كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾(١).

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقولـه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾(٢).

الثالث: التصريح بالعروج إليه كقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾(٣).

الرابع: التصريح بالصعود إليه كقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾(٤).

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾(٥).

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو، ذاتاً وقهراً وشرفاً كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾(٦).

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾(٧).

---

(١) سورة النحل، آية: ٥٠.
(٢) الأنعام، آية: ١٨.
(٣) سورة المعارج، آية: ٤.
(٤) سورة فاطر، آية: ١٠.
(٥) سورة النساء، آية: ١٥٨.
(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.
(٧) سورة فصلت، آية: ٢.

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾[1].

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾[2].

العاشر: التصريح بالاستواء: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[3].

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إليه كقوله ﷺ: **«إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً»**[4][5].

ومن الأدلة:

قوله ﷺ في الدعاء... **«أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر»**[6].

وقوله ﷺ: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»**[7].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٠٦.

(٢) سورة الملك، آية: ١٦.

(٣) سورة طه، آية: ٥.

(٤) انظر وجوه دلالة النصوص على اتصاف الرب بالعلو في شرح الطحاوية (٣١٩ـ ٣٢١) فقد أورد عشرين وجهاً.

(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٤٨٨٠) والترمذي في الدعوات (٣٥٥٦) وحسنه، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٥) وأحمد (٢٢٢٠٢).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب ما يقال عند النوم (٢٧١٣).

(٧) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب (٤٣٥١) ومسلم في =

وقوله ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»؟[١].

كما أن صفة الفوقية والعلو لله تعالى ثابتة بإجماع السلف، كما حكاه جمع من الأئمة وقد أورد أقوالهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» في معرض الرد على دعوى أنه لم يثبت صفة العلو إلا الحنابلة والكرامية، ومن هؤلاء الأئمة الذين نقل أقوالهم: ابن المبارك، والإمام مالك، والشافعي، وأحمد، وأبوحنيفة، والبخاري والفضيل بن عياض، وسليمان بن حرب، وابن خزيمة، والصابوني، والحاكم، وابن عبدالبر وابن أبي زمنين، وأبو نصر السِّجزي، وأبوعمرو الطلمنكي، ونصر المقدسي، وأبو نعيم الأصفهاني، وأبو أحمد الكرخي، وأبو محمد المقدسي، وابن أبي حاتم، والخلال، وعبدالله بن الإمام أحمد[٢].

والمتقدمون من الأشاعرة يثبتون صفة الفوقية لله تعالى من أمثال ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري والباقلاني، والبيهقي.

= كتاب الزكاة باب في قتال الخوارج (١٠٦٤) وأبو داود في كتاب السنة باب في قتال الخوارج (٥٧٦٧).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (١١٤٥) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الذكر والدعاد آخر الليل (٧٥٨).

(٢) انظر أقوالهم في الدرء (٦/٧٨ـ ٨٢، ٢١٢ـ ٢٢٦، ٢٥ـ ٢٦٧) ومجموع الفتاوي (٥/٣٦ـ ١٤٣، ١٧٥ـ ١٨٣، ٣٥٦ـ ٢٦١، ٣١٤ـ ٣١٧).

قال ابن كلاب: «في كتاب الصفات في باب القول في الاستواء: فرسول الله ﷺ، وهو صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته، وأعلمهم جميعاً به، يجيز السؤال بأين، ويقول: ويستصوب قول القائل إنه في السماء، ويشهد له بالإيمان عند ذلك..»[١].

قال أبو الحسن الأشعري «ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم نحو السماء لأن الله عز وجل مستو على العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا نحو الأرض»[٢].

وقال الباقلاني: «فإن قالوا: فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ الله! بل هو مستو على العرش، كما خبر في كتابه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾[٣]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[٤]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝﴾[٥]، ولو كان في كل مكان، لكان في جوف الإنسان وفمه وفي الحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها تعالى عن ذلك! ولوجب أن يزيد بزيادة الأماكن إذا خلق منها ما لم يكن خلقه، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يُرغب إليه نحو الأرض وإلى وراء ظهورنا وعن أيماننا وشمائلنا، وهذا ما قد أجمع المسلمون على

---

(١) انظر درء التعارض (٦/ ١٩٣).
(٢) الإبانة في أصول الديانة (٩٧ـ ٩٨).
(٣) سورة طه، آية: ٥.
(٤) سورة فاطر، آية: ١٠.
(٥) سورة الملك، آية: ١٦.

خلافه وتخطئة قائله»[١].

وأما متأخروا الأشاعرة فينفون صفة الفوقية من أمثال الجويني والغزالي والآمدي، والرازي.

قال الغزالي: «ندعي أنه ليس في جهة مخصوصة من الجهات الست، ومن عرف معنى لفظ الجهة ومعنى لفظ الاختصاص، فهم قطعاً استحالة الجهات على غير الجواهر والأعراض»[٢].

قال المكلاتي: «ومذهب أهل الحق، أن الباري تعالى وتقدس يستحيل عليه التخصص بالجهات، كما يستحيل عليه التغير بالزمان. وذهبت الحنابلة وفرقة من المحدثين ومن تبعهم من أهل الظاهر والحشوية إلى أن الباري تعالى مختص بجهة فوق تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً»[٣].

قال الأيجي: «المقصد الأول: أنه تعالى ليس في جهة ولا في مكان، وخالف فيه المشبهة وخصوه بجهة فوق»[٤].

قال الجويني: «مذهب أهل الحق قاطبة أن الله سبحانه وتعالى، يتعالى عن التحيز والتخصص بالجهات، وذهبت الكرامية وبعض الحشوية إلى أن الباري تعالى عن قولهم، متحيز مختص بجهة فوق»[٥].

---

(١) التمهيد (٢٦٠).
(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (٤١).
(٣) لباب العقول (١٧٣).
(٤) المواقف في علم الكلام (٢٧٠).
(٥) الإرشاد (٣٩).

وقال الرازي: «إعلم: أنا ندعي وجود موجود لا يمكن أن يشار إليه بالحس، أنه ههنا، أو هناك أو نقول: إنا ندعي وجود موجود غير مختص بشيء من الأحياز والجهات، أو نقول: إنا نعدي وجود موجود غير حال في العالم، ولا مباين عنه في شيء من الجهات الست، التي للعالم، وهذه العبارات متفاوتة والمقصود من الكل شيء واحد»[١].

فأنت ترى أن أقوال هؤلاء مخالفة للنصوص الشرعية ولأقوال شيوخهم.

قال شيخ الإسلام بعد أن أورد أقوال المتقدمين من الأشاعرة في إثبات العلو وغيره من نصوص الصفات: «فإذا كان قول ابن كلاب والأشعري وأئمة أصحابه، وهو الذي ذكروا أنه اتفق عليه سلف الأمة وأهل السنة، أن الله فوق العرش، وأن له وجهاً ويدين وتقرير ما ورد في النصوص الدالة على أنه فوق العرش، وأن تأويل «استوى» بمعنى استولى هو تأويل المبطلين ونحو ذلك، علم أن هذا الرازي ونحوه هم مخالفون لأئمتهم في ذلك، وأن الذي نصره ليس هو قول ابن كلاب والأشعري وأئمة أصحابه، وإنما هو صريح قول الجهمية والمعتزلة ونحوهم، وإن كان قد قاله بعض متأخري الأشعرية كأبي المعالي ونحوه»[٢].

---

(١) أساس التقديس (١٥) وانظر: نهاية الأقدام (١٠٤) وغاية المرام (١٩٣).
(٢) نقض التأسيس (٢/ ٣٥) مطبعة الحكومة، مكة المكرمة.

يسأل: عن الله تعالى هل يغضب ويرضى؟، فإن قال به، فهو سني وإن أنكره، فهو جهمي كافر بالله.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾[١]، وقوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾[٣]، فالرضا والغضب صفتان من صفات الذات ما نقول هو مخلوق ولا يفنيان أبداً: «سبقت رحمتي غضبي»[٤] الرحمة للأولياء والغضب للأعداء[٥].

* * *

(١) سورة الزخرف، آية: ٥٥.
(٢) سورة النساء، آية: ٩٣.
(٣) سورة طه، آية: ٨١.
(٤) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب: وكان عرشه على الماء (٧٤٢٢) ومسلم في كتاب التوبة باب سعة ـ رحمه الله ـ (٢٧٥١) والترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٤٣) وابن ماجه في كتاب الزهد (٤٢٩٥) وأحمد (٨٤٨٥) (٧٤٧٦) (٧٤٤٨) (٨٧٣٥) (٩٣١٤) كلهم من حديث أبي هريرة.
(٥) هذه المسألة ليست في «م».

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو اعتقاد أهل السة والجماعة، فهم يثبتون لله تعالى صفتي الغضب والرضا كما يليق بجلاله سبحانه، من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، فالله يرضى عن المحسنين ويسخط على الفسقة والكافرين دل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[(٥)].

وقوله ﷺ في حديث الشفاعة وفيه: «**إن ربي قد غضب غضباً لم**

---

(١) سورة الزخرف، آية: ٥٥.
(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٢.
(٣) سورة التوبة، آية: ٩٦.
(٤) سورة البينة، آية: ٨.
(٥) سورة الفتح، آية: ١٨.

يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله..»[١].

وقول النبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير بيدك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى يارب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحداً من خلقك، فيقول: أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يارب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً»[٢].

قال الطحاوي ـ رحمه الله ـ: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى»[٣].

وقال الإمام الصابوني في بيان مذهب السلف في الصفات: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت به الأخبار الصحاح، من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول، والكلام، والرضا، والسخط، والحب، والبغض، والفرح، والضحك، وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله عز وجل ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلي قومه﴾ (٣٣٤٠) ومسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤) كلاهما من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٩) ومسلم الجنة باب إحلال الرضوان على أهل الجنة ٢٨٢٩٠) كلاهما من طريق عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري.

(٣) شرح الطحاوية (٥٢٤).

بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله ﷺ، من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة لفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه، بتأويل منكر يستنكر، ويجرون على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[1][2].

قال ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ: «ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضا، والعدواة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى»[3].

ماذكر المؤلف عن الجهمية أنهم ينكرون وصف الله بالغضب، هو المشهور عنهم كما في كتب المقالات قال الشهرستاني: قالت الجهمية: «لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيهاً»[4].

وقال الإسفراييني وهو يذكر أقوال جهم بن صفوان: «وكان يقول: إن الله تعالى لا يوصف بشيء مما يوصف به العباد لا يجوز أن يقال في

---

(١) سورة آل، آية: ٧.
(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٦٥).
(٣) شرح الطحاوية (٥٢٤).
(٤) الملل والنحل (١٣٥).

حقه إنه حي، أو عالم، أو موجود؛ لأن هذه صفات تطلق على العبيد»[١].

وقال البغدادي: «وقال جهم: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء موجود، وحي وعالم ومريد ونحو ذلك ووصفه بأنه قادر، وموجد، وفاعل، وقاتل، ومحيي، ومميت؛ لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده»[٢].

❊ ❊ ❊

(١) التبصير في الدين (٩٦).
(٢) الفرق بين الفرق (١٢٨).

يسأل: عن الباري جل جلاله هل يُرى في القيامة[١] أم[٢] لا؟

فإن قال به[٣] فهو سني، وإن أنكره[٤]، فهو معتزلي.

وإن قال: يراه الكفار[٥]، فهو سالمي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[٦].

وقوله تعالى للكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾[٧].

وقوله ﷺ: «**ستروں ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته**»[٨]، أي لا تشكون في رؤيته[٩].

* * *

(١) في «م» الآخرة.

(٢) الصواب لغة: «أو».

(٣) في «م» يرى في الآخرة.

(٤) في «م» وإن أنكر ذلك.

(٥) في «م» في الآخرة.

(٦) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٧) سورة المطففين، آية: ١٥.

(٨) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت باب فصل صلاة العصر (٥٥٤) ومسلم ك: المساجد باب الفضل صلاة الصبح (٦٣٣) أبو داود في كتاب السنة (٤٧٢٩) ابن ماجه المقدمة (١٧٧) أحمد (١٨٧٠٨) كلهم من حديث جرير بن عبدالله البجلي.

(٩) من قوله: «دليلنا» إلى قوله: في «رؤيته» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

اعتقاد أهل السنة والجماعة هو ما قرره المؤلف: من أن الباري جل جلاله يرى في الآخرة، وأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم عياناً وقد دل على ذلك أدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[1].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هـذه الآية، وتعديه بأداة «إلى» الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلي خلاف حقيقته وموضوعه، صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه فإن عُدِّي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[2]، وإن عُدِّي بفي فمعناه التفكر والاعتبار كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3]، وإن عُدِّي بـإلى فمعنـاه المعاينـة بالأبصـار كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾[4]، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل في

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) صورة الحديد، آية: ١٣.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٨٥.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٩٩.

البصر»[١].

وقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ﴾[٢].

فلما حجب أولئك في حال السخط، دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى، وإلا لم يكن بينهما فرق[٣].

وروى جرير بن عبدالله البجلي ـ رضي الله عنه ـ قال: **«كنا جلوساً ليلة مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون[٤] في رؤيته...»**[٥].

وروى صهيب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً لم تروه فيقولون ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه قال: فوالله ماأعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ثم تلى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ[٦] ﴾»**[٧].

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٢١٠).

(٢) سورة المطففين، آية: ١٥.

(٣) لمعة الاعتقاد (١٨٤).

(٤) روي بتخفيف الميم من الضيم: الظلم، والمعنى أنكم ترونه جميعاً لا يظلم بعضكم بعضاً في رؤيته، فيرى البعض دون البعض، وروي بتشديد الميم في الانضمام والازدحام أي لا يزدحم بكم في رؤيته انظر: (جامع الأصول ١٠/٥٥٨).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر (٥٥٤) ومسلم في كتاب المساجد باب مثل صلاة الصبح والعصر (٦٣٣).

(٦) سورة يونس، آية: ٢٦.

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة رقم (١٨١).

قال الحافظ تقي الدين عبدالغني المقدسي: «أجمع أهل الحق واتفق أهل التوحيد والصدق أن الله تعالى يرى في الآخرة كما جاء في كتابه وصح عن رسوله»[١].

قال مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ: «الناس ينظرون إلى الله تعالى بأعينهم يوم القيامة»[٢].

وقال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: «من قال إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر»[٣].

ما ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ عن المعتزلة أنهم ينكرون رؤية الله في الآخرة صواب.

قال القاضي عبدالجبار «ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية»[٤].

وقال في المختصر في أصول الدين «فإن قال: إن الرؤية تجوز على الله تعالى؟ قيل له: الرؤية بالأبصار على الله تستحيل، والرؤية بالمعرفة والعلم تجوز عليه»[٥] ولا شك في بطلان مذهب المعتزلة يبطله ما تقدم من الآيات والأحاديث المتواترة في إثباتها.

---

(١) عقيدة الحافظ تقي الدين المقدسي (٥٨) ت عبدالله محمد البصري ط الأولى ١٤١١هـ ط دار الإفتاء.

(٢) شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٥٠١) رقم ٨٧٠ للالكائي.

(٣) رواه أبوداود في المسائل (٣٢٧) دار المعرفة بيروت.

(٤) شرح الأصول الخمسة (٢٣٢).

(٥) المختصر في أصول الدين (٢٢٠) ضمن مجموع رسائل العدل والتوحيد ط دار الشروق.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة»[١] بل وأجمع الصحابة ومن بعدهم من التابعين على الإقرار بما دلت عليه النصوص.

ما ذكره المؤلف من أن السالمية يقولون: «بأن الكفار يرون الله»، صواب.

قال القاضي أبويعلى الحنبلي: «والكفار لا يرون الله تعالى أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة، خلافاً لابن سالم في قوله يجوز عليهم رؤيته»[٢].

وقال ـ وهو يعدد أقوالهم ـ: «ومن قولهم: إن الكفار يرون الله تعالى في الآخرة»[٣].

* * *

---

(١) حادي الأرواح (٢١١) ط/ الأزهر.
(٢) المعتمد في أصول الدين (٨٣).
(٣) المعتمد ٢١٩.

يسأل: عن الكفار هل يحاسبون أم[١] لا؟

فإن قال: يحاسبون، فهو سالمي.

وإن قال: لا[٢]، فهو سني[٣].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[٤] الآية.

وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[٥].

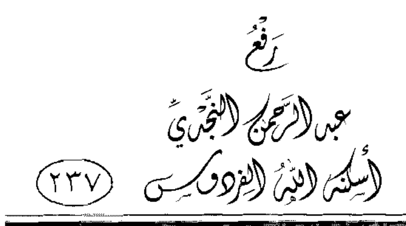
وقوله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[٦].

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾[٧].

والآيات أكثر من أن تحصى[٨].

---

(١) الصواب: «أو».
(٢) في «م» لا يحاسبون.
(٣) في الهامش كتب: «ويتفاوت الخلق في الحساب فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً، ومنهم من يناقش منهم من يدخل الجنة بغير حساب ومنهم من يدخل النار بغير حساب وهم الكافرون».
(٤) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.
(٥) سورة مريم، آية: ٧٢.
(٦) سورة الشعراء، الآيتان: ١٠٠، ١٠١.
(٧) سورة الانشقاق، الآيات: ١٠ـ ١٣.
(٨) من قوله: «..دلينا إلى قوله: .. أكثر من أن تحصى ليست في «م».



. . . .

دراسة المسألة:

هذه المسألة اختلف أهل العلم فيها على قولين ذكرهما المؤلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم فممن قال: إنهم لا يحاسبون: أبوبكر عبدالعزيز، وأبوالحسن التميمي، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم.

وممن قال: إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبوسليمان الدمشقي، وأبو طالب»[١].

وقد أجمل المؤلف ـ رحمه الله ـ معنى الحساب في هذ المسألة ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يراد بالحساب عرض أعمال الكفار عليهم وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات، فإن أريد بالحساب المعنى الأول، فلا ريب أنهم محاسبون بهذا الاعتبار.

وإن أريد به المعنى الثاني فإن قصد ذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر»[٢].

وقال شيخ الإسلام في موضع آخر: «ويحاسب الله الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٥).
(٢) الفتاوى (٤/ ٣٠٥).

والسنة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها»(١).

وقد دل على هذا المعنى الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في معنى الحساب أدلة كثيرة:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾(٤).

ومن الأدلة أنه جاء في القرآن ما يدل على أنهم مخاطبون بفروع الشريعة مسؤولون عنها، محاسبون بها، مجزيون على الإخلال بها قال تعالى: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾(٥)، فتوعدهم على منع الزكاة، وأخبر عن المجرمين أنهم يقال لهم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾

---

(١) العقيدة الواسطية بشرح الفوزان (١٤٧).
(٢) سورة القصص، ٦٥.
(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٥.
(٤) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.
(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٦ ـ ٧.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦﴾[١].

ومن الأدلة: أن الكفار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم، ويحلون في النار بمقدار هذا الذنوب، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «عقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كانت له حسنات خفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي لهب.. فكان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخولهم الجنة»[٢].

وما ذكره المؤلف من أدلة على عدم حساب الكفار فوجه الدلالة منها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[٣]، حيث شبههم بالأنعام، والأنعام لا حساب عليهم والكفار أضل فيدخلون في النار.

وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٤]، وقوله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾[٥].

فوجه الدلالة منها أنه ذكر عذاباً دون حساب.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ

---

(١) سورة المدثر، الآيات: ٤٢، ٤٦.
(٢) الفتاوى (٤/ ٣٠٥).
(٣) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.
(٤) سورة مريم، آية: ٧٢.
(٥) سورة الشعراء، الآيتان: ١٠٠ـ ١٠١.

سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾[1] .

فقد ذكر الله فيها إيتائه كتابه وليس فيها حساب .

وورود بعض الآيات قد يفهم منه عدم حساب الكفار مثل قوله تعالى : ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾[2] .

وقوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾[3] .

وقوله : ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[4] .

وتوجيه هذه الآيات أن يقال :

إن الكفار لا يسألون سؤال استخبار واستعلام وأداة هذا السؤال غالباً «هل» وإنما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وأداته غالباً «ألم»، فالمثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع، والمنفي هو سؤال الاستخبار والاستعلام، ووجه دلالة القرآن على هذا أن سؤالهم في النصوص كله توبيخ وتقريع كقوله : ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[5] ، وقوله : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾[6] ، وكقوله : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾[7] ،

---

(١) سورة الانشقاق، الآيات : ١٠، ١٣ .
(٢) سورة القصص، آية : ٧٨ .
(٣) سورة الرحمن، آية : ٣٩ .
(٤) سورة المرسلات، الآيتان : ٣٥، ٣٦ .
(٥) سورة الصافات، الآيتان : ٢٤، ٢٥ .
(٦) سورة الأنعام، آية : ١٣٠ .
(٧) سورة الملك، آية : ٨ .

إلى غير ذلك من الآيات[١].

ما نسبه المؤلف إلى السالمية أنهم يقولون: بأن الكفار يحاسبون، صواب.

قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي: «والكفار لا يحاسبون خلافاً لابن سالم وأبي حفص البرمكي من أصحابنا في قولهما يحاسبون»[٢].

وقال في موضع آخر وهو يذكر أقوال السالمية: «ومن قولهم إن الكفار يرون الله تعالى في الآخرة ويحاسبهم»[٣].

* * *

---

(١) انظر دفع إيهام الإضطراب عن الكتاب المنزل للأعجاز (١٣١) للشنقيطي.
(٢) المعتمد في أصول الدين (٨٣).
(٣) المعتمد في أصول الدين (٢١٩).

يسأل: عمَّا شجر[١] بين الصحابة، وبين علي ومعاوية، وبين عثمان بن عفان والصحابة وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ.

فإن قال: فسقٌ أو ظلمٌ، فهو معتزلي ورافضي[٢][٣] بسب واحد منهم.

وإن قال فيهم حسناً وأمسك عن ما شجر بينهم، فهو سني[٤].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[٥].

آمنوا: أبو بكر، واصبروا: عمر، وصابروا: عثمان، ورابطوا: علي رحمة الله عليهم أجمعين[٦].

---

(١) كتب في الهامش: «شجر بين .... إذا اختلف....».

(٢) كتب في الهامش: «دعى الرافضة لرفضهم أكثر الصحابة وإمامة أبي بكر وعمر وقيل لرفضهم زيد بن علي والروافض... محمد».

(٣) الرافضة: فرقة من فرق أهل البدع سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على إمامة علي، وأنه هو الأحق بالإمامة والخلافة وأكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ.
وقيل سموا رافضة لرفضهم إمامة زيد بن علي لما توفي أبو بكر وعمر رضي الله عنهم.
انظر مقالات الإسلاميين (١/ ٨٩) البرهان للسكسكي (٣٦).

(٤) في «م»: يسأل عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ هل فسق بقتال علي كرم الله وجهه أم ظلم؟ فإن قال: فسق أو ظلم، فهو معتزلي أو رافضي، وإن قال: كان عدلاً في حال قتاله، فهو سني».

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٦) هذا التفسير النكارة عليه ظاهرة وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٤) في بيان معنى الآية.

وقوله ﷺ: «**اتقوا الله أيها المؤمنون عما شجر بينهم**»[١].

فنحن نشهد عليهم كما شهد الله ـ تعالى ـ ورسوله بالجنة لهم والدلائل على فضلهم أكثر من أن تحصى[٢].

* * *

---

(١) لم أجده.

(٢) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله.. أكثر من أن تحصى» ليست في «م».

دراسة المسألة:

من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم من الغل والحقد والبغض والعداوة لأصحاب رسول الله ﷺ وسلامة ألسنتهم من الطعن فيهم والوقيعة في أحد منهم بسوء، واعتقاد فضلهم رضوان الله عليهم، ومعرفة سابقتهم، وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عما شجر بينهم، فإنهم خير القرون وهم السابقون الأولون.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[١].

وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾[٢].

وقال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول عليه السلام، كما قال مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ وإنما طعنوا في أصحابه

---

(١) سورة التوبة، اية: ١٠٠.
(٢) سورة الفتح، آية: ٢٩.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب: قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً (٣٦٧٣) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة (٢٥٤٠).

ليقول القائل: رجل سوء له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين.

وأيضاً فهؤلاء الذين نقلوا القرآن والإسلام وشرائع النبي ﷺ، وهم الذين نقلوا فضائل علي وغيره، فالقدح فيهم يوجب أن لا يوثق بما نقوله من الدين»(١).

قال الشيخ أبو عثمان الصابوني «ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم، ونقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم، والموالاة لكافتهم»(٢).

ما ذكره المؤلف من وقوع المعتزلة في أصحاب رسول الله ﷺ فقد نقل عن بعضهم: من ذلك قول واصل بن عطاء: بفسق أحد الفريقين من أصحاب الجمل وصفين، وزعم أن فرقة من الفريقين فسقة لا بأعيانهم، وأنه لا يعرف الفسقة منهم فهو يقول: «ولو شهد عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم»(٣).

وقال عمرو بن عبيد: «لو أن علياً وعثمان وطلحة شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزته»(٤).

وقال ابن الخياط المعتزلي في رده على قول ابن الراوندي عن

---

(١) الفتاوى (٤/ ٤٢٩).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٩٤).

(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ٣٢٩).

(٤) تاريخ بغداد (١٢/ ١٧٨) الخطيب.

المعتزلة: «وهم والذين من قبلهم مجتمعون على البراءة من عمرو ومعاوية ومن كان في شقهما» قال: «هذا قول لا تبرأ المعتزلة منه ولا تعتذر من القول به»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان قدماء المعتزلة وأئمتهم، كعمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء وغيرهم متوقفين في عدالة علي فيقولون، أو من يقول منهم: قد فسقت إحدى الطائفتين، إما علي وإما طلحة والزبير لا بعينها...»[٢].

ما نسبه المؤلف إلى الرافضة صواب.

قال السكسكي: «وقالوا ـ الرافضة ـ بتفضيل علي على سائر الصحابة وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ، وتبرؤوا من أبي بكر وعمر وكثيرٍ من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلا فرقة الزيدية»[٣].

وجاء في كتاب الكافي من كتب الرافضة ما نصه: «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة: المقداد بن الأسود، وأبوذر الغفاري، وسلمان الفارسي»[٤].

وقال الطوسي الرافضي: «عندنا أن من حارب أمير المؤمنين فهو

---

(١) الانتصار والرد علي ابن الراوندي الملحد (١٠٩) مكتبة الكليات الأزهرية ت دنيبرج ١٩٨٨م.

(٢) منهاج السنة (١/ ٧٠ـ ٧١).

(٣) البرهان في معرفة عقائد أهل الإيمان: (٦٥) مكتبة المنار.

(٤) الروضة من الكافي: أبو جعفر محمد الكليني (٨/ ٢٤٥) ط (٢) ١٣٨٩هـ نشر محمد الأخوندي ـ طهران).

كـافـر والـدليـل علـى ذلـك إجمـاع الفـرقـة المحقـة الإمـاميـة علـى ذلك. . . »[١].

* * *

(١) انظر: حق اليقين في معرفة أصول الدين (٢/٢٧٦) ط١، ١٤٠٤هـ نشر دار الأضواء بيروت.

يسأل: عن الشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ،[١] هل يخرجون من النار أم[٢] لا؟[٣].

فإذا قال: يخرجون،[٤] فهو سني.

وإن أنكر ذلك[٥]، فهو معتزلي.

دليلنا: قوله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[٦].

فيدل على أن الشفاعة للمؤمنين ولا ينال الكفار.

وقوله ﷺ[٧]: «**ما من نبي إلا وله دعوة مستجابة وإني خبأت دعوتي شفاعتي لأمتي**»[٨].

وقال ﷺ: «**إن المؤمنين إذا اشتفى منهم الرب تبارك وتعالى ناموا**

---

(١) كتب في الأصل وفي «م» «صلع».
(٢) الصواب: «أو».
(٣) في ملك «هل يجوز أم لا/».
(٤) في م: «يجوز».
(٥) في م: «أنكره».
(٦) سورة الشعراء، الآيتان: ١٠٠، ١٠١.
(٧) كتب «صلع» اختصاراً.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب: لكل نبي دعوة ح (٦٣٠٤) ومسلم في كتاب: الإيمان باب: اختباء النبي ﷺ دعوته (١٩٨) والترمذي في كتاب الدعوات (٣٦٠٢) ابن ماجه في كتاب الزهد (٤٣٠٧) وأحمد (٧٦٥٧) (٨٨٨٩) (٨٧٣٦) (٩٩٣٨) (٩٢٦٨) والدارمي في كتاب الرقاق (٢٨٠٥) ومالك في النداء للصلاة (٤٩٢) كلهم من حديث أبي هريرة.

في النار سبعين عاماً حتى تلحقهم شفاعتي فيخرجون مثل الحممة، فيلقون في نهر يقال له حيوان، فينبتون كما ينبت الحبة في حميل السيل، أما ترون ما يكون إلى الظل أصفر إلى الشمس أخضر، فقالوا: يارسول الله كأنك كنت زارعاً في البادية»[1][2].

* * *

(١) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار (٦٥٦٠) ومسلم في كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة (١٨٤) والنسائي في التطبيق (١١٤٠) ابن ماجه في الزهد (٤٣٠٩) وأحمد (٧٦٦٠) (١٠٦٣٣) (١٠٦٩٣) (١٠٧٦٧) والدارمي (٢٨١٧) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) من قوله: «دليلنا..» إلى قوله: «زارعاً في البادية» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

أهل السنة والجماعة يعتقدون شفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر، وشفاعة غيره، بعد إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[٢]. وقد تواتر بهذا النوع من الشفاعة الأحاديث[٣].

وقال السفاريني: «الشفاعة التي تنكرها المعتزلة وتجحدها هي فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها وفيمن دخلها أن يخرج منها، فكذبت بها المبتدعة ونفتها مع ثبوت أدلتها وتضافر حججها مما يتعسر إحصاؤها ويتعذر استقصاؤها»[٤].

قال الإمام أبو عثمان الصابوني: «ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبي أهل التوحيد؛ ومتركبي الكبائر؛ كما ورد بذلك الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ»[٥].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي

---

(١) سورة الأنبياء، آية ٢٨.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.
(٣) انظر شرح الطحاوية (٢٥٨).
(٤) لوامع الأنوار (٢/ ٢١٢).
(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٥٨).

دعوة يدعو بها فأريد أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»[١].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[٢].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة؛ لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين؟ ولكنها للمذنبين الخطائين**»[٣].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «**لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»[٤].

ما نسبه المؤلف للمعتزلة من إنكار الشفاعة لأهل الكبائر صواب وقد بنوا مذهبهم على قولهم المشهور: إن صاحب الكبيرة مخلد في النار، وأنكروا أن يغفر الله لصاحب الكبيرة الذي لم يتب منها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوة باب لكل نبي دعوة (٦٣٠٤) ومسلم في كتاب الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوته (١٩٨).

(٢) انظر تخريجه ص ١٢١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد (٤٢١١) من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن وأحمد (٥٤٢٩) من حديث عبدالله بن عمر بسند ضعيف فيه: «على بن النعمان ابن قراد» مجهول وفي سنده رجل مبهم.

(٤) البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث (٩٩) والرقاق باب صفة الجنة والنار (٦٥٧٠).

قال القاضي عبدالجبار: «لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟ فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين وعند المرجئة أنها للفساق من أهل الصلاة»[1].

ويبطل قولهم ما تقدم من النصوص الدالة على أن الشفاعة لأهل الكبائر.

* * *

(١) شرح الأصول الخمسة (٦٨٧ ـ ٦٨٨).

يسأل: عن الأنبياء هل عصوا ربهم[١] أم[٢] لا؟

فإن قال: عصوا، فهو سني.

وإن أنكره[٣] فهو معتزلي[٤].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾[٥].

وقوله لمحمد ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٦] الآية.

وقوله عن موسى عليه السلام: ﴿إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾[٧][٨].

* * *

---

(١) «ربهم» ليست في م.
(٢) الصواب لغة «أو».
(٣) في م «أنكر ذلك».
(٤) في م «أو رافضي».
(٥) سورة طه، آية: ١٢١.
(٦) سورة الفتح، آية: ٢.
(٧) سورة القصص، آية: ١٦.
(٨) من قوله: «ودليلنا.. إلى قوله: فاغفر لي» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

أجمل المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذه المسألة وحقها التفصيل:

أنه أطلق نسبة العصيان إلى الأنبياء، والصواب أن الأنبياء معصومون من الوقوع في الكبائر دون الصغائر، وهم كذلك معصومون في تبليغ الرسالة، فالرسل لا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم، وقد اتفقت الأمة على أن الرسل معصومون في تحمل الرسالة، وحكى إجماع المسلمين على ذلك أكثر من واحد[١].

قال الحافظ زين الدين العراقي: «النبي ﷺ معصوم من تعمد الكذب بعد النبوة بالإجماع»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الناس متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله، فلا يستقر في ذلك خطأ بإتفاق المسلمين»[٣].

والذي عليه أهل السنة والجماعة أن الأنبياء معصومون من الكبائر، دون الصغائر فتقع منهم الصغائر، ولكن لا يقرون عليها، بل ينبههم ربهم، فيتوبون ويرجعون.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٠/٢٩١) ولوامع الأنوار (٢/٣٠٤) والشفاء (٢/١٤٤) للقاضي عياض ط/ دار الفكر.

(٢) لوامع الأنوار (٢/٣٠٤).

(٣) الفتاوى (١٠/٢٨٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعهم إلا ما يوافق هذا القول»[(١)].

وعلى هذا تدل الأدلة من الكتاب والسنة؛ من ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١﴾[(٢)].

وقول نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾[(٣)].

وقول موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦﴾[(٤)].

وداود عليه السلام قال الله عنه: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٢٥﴾[(٥)].

وقوله تعالى حكاية عن يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ

---

(١) الفتاوى (٤/٣١٩).
(٢) سورة طه، آية: ١٢١.
(٣) سورة هود، آية: ٤٧.
(٤) سورة القصص، آية: ١٦.
(٥) سورة ص، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[١].

ونبينا محمد ﷺ قال تعالى له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾﴾[٢].

وكان النبي ﷺ يدعوا بهذا الدعاء: «**اللهم أغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني؛ اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي**..»[٣].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة من إنكار نسبة وقوع المعاصي من الأنبياء سواء كانت كبائر أو صغائر فيه نظر.

بل حكى الأشعري في مقالاته إجماعهم على أن معاصي الأنبياء صغائر فقال: «وأجمعت المعتزلة أن معاصي الأنبياء لا تكون إلا صغاراً؛ واختلفوا: هل يجوز أن يأتي النبي المعاصي؟ وهل يعلم أنها معاصٍ في حال ارتكابها أم لا؟ على مقالتين: وقال قائلون: لا يجوز أن يعلم في حال ارتكابه المعاصي أن ما يأتيه معصية، ويتعمد ذلك.

فقال قائلون: جائز أن يتعمد ويرتكبها، وهو يعلم أنها معاصي، إلا أنها لا تكون إلا صغائر»[٤].

ويرى القاضي عبدالجبار وهو من المعتزلة أن الأنبياء معصومون

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٢) سورة التحريم، اية: ١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب قول النبي اللهم أغفر لي ما قدمت (٦٣٩٩).

(٤) المقالات (١/٢٩٧) للأشعري.

من الكبائر والصغائر المنفرة دون الصغائر التي لاحظ لها إلا في تقليل الثواب دون التنفير.

قال: «وجملة ذلك»: أن الرسول لا بد أن يكون منزهاً عن المنفرات جملة كبيرة أو صغيرة»[١].

وقال: «فأما الصغائر التي لا حظ إلا في تقليل الثواب دون التنفير، فإنه مجوزة على الأنبياء»[٢].

وحُكي عن الجاحظ والنَّظَّام والأصم وجعفر بن مبشر من المعتزلة: القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر مطلقاً ومن الصغائر عمداً لا سهواً فتقع منهم[٣].

* * *

---

(١) شرح الأصول الخمسة (٥٧٣).

(٢) شرح الأصول الخمسة (٥٧٥).

(٣) انظر: شرح المواقف (٨/ ٢٦٥) ط السعادة ١٣٠٥هـ، وأصول الدين (١٦٩) البغدادي ط التركية ١٣٤٦هـ.

يسأل: عن الطائعين[١] من بني آدم هل هم[٢] أفضل من الملائكة أم[٣] الملائكة أفضل منهم[٤]؟.

فإن قال: الآدميون[٥] المطيعون[٦] أفضل من الملائكة، فهو سني.

وإن قال: الملائكة أفضل منهم[٧]، فهو بدعي[٨].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾[٩] الآية[١٠].

※ ※ ※

---

(١) في م: «الطائع».
(٢) في م: «هو».
(٣) الصواب لغة «أو».
(٤) في م «منهم».
(٥) في م: «الآدمي».
(٦) «المطيعون» ليست في م.
(٧) «منهم»: ليست في م.
(٨) في م: مبتدع.
(٩) سورة البقرة، جزء من آية: ٣٤.
(١٠) من قوله: «دليلنا..» إلى قوله.. الآية ليست في م».

. . . .

دراسة المسألة:

هذه المسألة كثر الكلام فيها وتشعبت فيها الأقوال، قال السفاريني: «والمفاضلة بين البشر والملائكة وهي مسألة عظيمة قد كثر فيها الاختلاف، وتشعبت فيها الأقوال، وعظمت فيها المحن والجدال»[١].

أما قول أهل السنةوالجماعة في هذه المسألة:

فقد قال ابن أبي العز الحنفي: «وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة»[٢].

وقال السفاريني: «وعندنا معشر أهل السنة خصوصاً أهل الأثر وسلف الأمة وكبار الأئمة فإنهم يقولون ويعتقدون تفضيل أعيان البشر، والمراد بأعيانهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء فالأنبياء أفضل من الأولياء وهما أفضل من الملائكة. . .»[٣].

وذكر السفاريني أن الإمام أحمد يقول: بنوا آدم أفضل من الملائكة[٤].

---

(١) لوامع الأنوار (٢/٣٩٨).
(٢) شرح الطحاوية (٣٣٨) ط الألباني.
(٣) لوامع الأنوار (٢/٣٩٨).
(٤) لوامع الأنوار (٢/٣٩٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ما أورد شيئاً من الآثار في الدلالة على تفضيل صالحي البشر على الملائكة قال: «وأقل ما في الآثار أن السلف الأولين كانوا يعتقدون بينهم أن صالحي البشر أفضل من الملائكة من غير نكير بينهم لذلك، ولم يخالف أحد منهم في ذلك، إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها، وتفرق الآراء، فقد كان ذلك كالمستقر عندهم»[1].

وقال: «قد كان السلف يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالحي البشر على الملائكة، وتروى على رؤوس الناس، ولو كان هذا منكراً لأنكروه، فدل على أن اعتقادهم على ذلك»[2].

وقد استدلوا بأدلة منها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾[3]، فالمسجود له أفضل من الساجد ولهذا امتنع إبليس من السجود واستكبر وقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[4][5].

ومن الأدلة: أن الله يباهي بعباده الملائكة إذا أدوا فرائضه فقد جاء في الحديث: «**إن الله يباهي بكم الملائكة، يقول انظروا إلى عبادي قد**

---

(١) الفتاوى (٤/ ٣٦٩).

(٢) الفتاوى (٤/ ٣٧١).

(٣) سوره الأعراف، آية: ١١.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٦٢.

(٥) انظر هذا الاستدلال شرح الطحاوية (٣٤٠) (ولوامع الأنوار (٢/ ٤٠٢).

قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى»[١].

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢] وفيها دليل على تفضيل الخليفة من وجهين: أولهما: أن الخليفة يفضل على من هو خليفة عليه، وقد كان في الأرض ملائكة، وهذا غايته أن يفضل على من في الأرض من الملائكة، وثانيهما: أن الملائكة طلبت من الله أن يكون الاستخلاف فيهم، والخليفة منهم؛ حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[٣] فلولا أن الخلافة درجة عالية أعلى من درجاتهم لما طلبوها وغبطوا صاحبها[٤].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة تفصيل جيد، لا يخرج قوله عن قول السلف وتجتمع به الأدلة ولا تختلف.

قال: «التفضيل إذا وقع بين شيئين فلابد من معرفة الفضيلة ما هي؟ ثم ينظر أيهما أولى بها.

وأيضاً فإنما تكلمنا في تفضيل صالحي البشر إذا كملوا ووصلوا إلى غايتهم وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلى، وحباهم الرحمن وخصهم بمزيه قربه، وتجلى لهم، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وقامت

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب المساجد (٨٠١) وأحمد (٦٧١١) (٦٨٢١) (٦٩٠٧) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بسند صحيح.
(٢) سورة البقرة، آية: ٣٠.
(٣) البقرة، آية: ٣٠.
(٤) الفتاوى (٤/ ٣٧٤ـ ٣٦٨).

الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم.

فلينظر الباحث في هذا الأمر، فإن أكثر الغالطين لما نظروا في الصنفين رأوا الملائكة بعين التمام والكمال، ونظروا الآدمي وهو في هذه الحياة الخسيسة الكدرة التي لا تزن عند الله جناح بعوضة وليس هذا بالإنصاف.

فأقول: فضل أحد الذاتين على الأخرى إنما هو بقربها من الله تعالى، ومن مزيد اصطفائه وفضل اجتبائه لنا، وإن كنا نحن لا ندرك حقيقة ذلك»(١).

قال ابن القيم: «سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صالحي بني آدم والملائكة أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو ادم مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة، وبهذا التفصيل يتبيّن سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين»(٢).

ما نسبه المؤلف إلى أهل البدع من القول بتفضيل الملائكة، قال به المعتزلة كما حكاه عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، والسفاريني في لوامع

---

(١) انظر: الفتاوى (٤/ ٣٧٢).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٩٧) مطبعة الفجالة، القاهرة.

الأنوار[١]، والبغدادي في أصول الدين[٢]، والأيجي في المواقف[٣]، وقد وافقهم بعض المتأخرين من الأشاعرة كالرازي[٤]، ولكن هذه المسألة مما يسوغ فيها الخلاف إذ ليس فيها نص عن المعصوم ﷺ فلا يبدع من قال بتفضيل الملائكة.

* * *

(١) انظر: الفتاوى (٤/ ٣٥٦) ولوامع الأنوار (٢/ ٤٠٠).
(٢) أصول الدين (٢٩٥) ط/ التركية ١٣٤٦هـ.
(٣) المواقف في علم الكلام (٣٦٧) ط/ عالم الكتب.
(٤) معالم أصول الدين (٧٧) ط/ دار الفكر.

يسأل: عن الميزان هل له كفتان أم[١] عبارة عن عدل[٢]؟

فإن قال: له كفتان، فهو سني.

وإن قال: غيره[٣] فهو معتزلي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ﴾ الآية[٤].

وقال ﷺ: «**الميزان له كفتان إحداهما من النور والأخرى من الظلمة، النور للحسنات على صور حسنة، والظلمة للسيئات على صورة سيئة، وله لسان يتكلم به، يوزن به أعمال العباد، فمن رجح حسناته نادى مناد على رؤوس الأشهاد، ألا إن فلان بن فلان رجح ميزانه وسعد سعادة لا يشقى أبداً، وإن خفت[٥] ميزانه نادى منادى ألا إن فلان بن فلان خفت[٦] ميزانه**»[٧] ودلائله كثيرة[٨].

---

(١) في م «أم هو».

(٢) في م «العدل».

(٣) في م «عبارة عن العدل».

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢ـ ١٠٣.

(٥) هكذا في رواية أبي نعيم، وفي غيره من المصادر خفّ.

(٦) هكذا في رواية أبي نعيم، وفي غيره من المصادر خفّ.

(٧) أخرجه البزار في مسنده (٣٤٤٥)، وأبونعيم في الحلية (٦/ ١٧٤)، واللالكائي (٢٢٠٥) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٥٠) ورواه البزار وفيه صالح المري وهو مجمع على ضعفه.

(٨) من قوله: «دليلنا . . إلى قوله: ودلائله كثيرة» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

يؤمن **أهل السنة والجماعة** بأن الميزان يوم القيامة حق، وأنه يوضع لوزن أعمال العباد وأنه ميزان حقيقي حسي له كفتان، وأن ذلك من أمور الآخرة التي نؤمن بها كما وردت النصوص بذلك، ولا نخوض في كيفيتها إلا وفق ما جاءت به النصوص، وقد دلّ على أنّ الميزان حق، الأدلة المتكاثرة من الكتاب والسنة، وإجماع السلف على ثبوته وجوب الإيمان به.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلي الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**»، وقال:

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.
(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢ـ ١٠٣.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب فضل التسبيح (٦٤٠٦)، ومسلم في كتاب الذكر باب فضل التهليل والتسبيح (٢٦٩٤).

اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾[(١)][(٢)].

ويدل على أن له كفتان ما جاء في حديث البطاقة وفيه: «فيخرج له بطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع السجلات في كفه ولا إله إلا الله في كفه فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»[(٣)].

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[(٤)]، وذكر النبي ﷺ الميزان يوم القيامة فمن رد على النبي فقد رد على الله عز وجل[(٥)].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة من إنكار الميزان وافقه على هذه النسبة جمع من المنصنفين في أقوال الفِرَق.

قال الأيجي: «وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن آخرهم؛ لأن الأعمال أعراض وإن أمكن إعادتها فلا يمكن وزنها، إذ لا توصف بالخفة والثقل، وأيضاً فالوزن للعلم بمقدارها، وهي معلومة لله تعالى، فلا فائدة فيه فيكون قبيحاً، تنزّه عنه الرب تعالى»[(٦)].

---

(١) سورة الكهف، آية: ١٠٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب أولئك الذين كفروا (٤٧٢٩) ومسلم في كتاب صفة القيامة باب (٢٧٨٥).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان (٢٦٣٩)، وقال حسن غريب وابن ماجه في كتاب الزهد (٤٣٠٠) وأحمد (٦٩٥٥) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بإسناد صحيح.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٢١١).

(٦) المواقف (٣٨٤).

وقال أبو طالب المكي: «تكون الحسنات في صورة حسنة تطرح في كفّة النور فتثقل بها الميزان برحمة الله، وتكون السيئات في صورة سيئة تطرح في كفة الظلمة، فتخف بها الميزان بعدل الله تعالى، خلافاً للمعتزلة في إنكارهم ذلك، وقالوا: لا يجوز أن ينصب ميزان أصلاً»[١].

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي: «وقوم من قدماء المعتزلة يقال لهم: «الوزنية» أنكروا الميزان، وقالوا: إنما هو العدل، وهو اختيار الجهمية»[٢].

على أن إطلاق القول: بأن المعتزلة يقولون: بإنكار الميزان فيه نظر، فليس كلهم على هذا، قال القاضي عبدالجبار: «أما وضع الموازين فقد صرح الله تعالى في محكم كتابه قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾[٤]، إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف بيننا دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس؛ لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾[٥]، فذلك على طريق التوسع والمجاز،

---

(١) انظر: المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (١٧٥).
(٢) مناهج السلامة في ميزان القيامة (١٢٧).
(٣) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.
(٤) سورة المؤمنون، آية: ١٠٢.
(٥) سورة الحديد، آية: ٢٥.

وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز.

يبين ذلك ويوضحه: أنه لو كان الميزان إنما هو العدل، لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشمل عليه الموازين فيما بيننا»[١].

وقد حمل أهل البدع على إنكار الميزان شبهة بأن الله عالم بكل شيء فلا يحتاج للميزان، قال شارح الطحاوية في الجواب عن هذه الشبهة: «لو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين، فكيف ووراء ذلك من الحِكَم ما لا اطلاع لنا عليه»[٢].

* * *

---

(١) شرح الأصول الخمسة (٧٣٥).
(٢) شرح الطحاوية (٤٧٥).

يسأل: عن البعث بعد الموت فإن آمن به، فهو سني.
وإن أنكره، فهو حشيشي[(١)(٢)] معطلي[(٣)]، دهري[(٤)]. [(٥)].

---

(١) «حشيشي» ليست في م.

(٢) الحشاشون: طائفة من طوائف الباطنية؛ ويطلق عليها النزارية، وهي تنسب إلي نزار بن المستنصر بالله الخليفة الفاطمي، سموا بالحشاشين؛ لأن رئيسهم الحسن بن الصباح المعروف بشيخ الجبل، كان يأخذ الشبان الذين تترواح أعمارهم بين الثانية عشرة والعشرين، فيقوم بتنشئتهم نشأة خاصة، ويخدرهم بمخدر يعرف بالحشيشة، ويدخلهم جنات وحدائق، ويزعم أن هذه جزء من جنة عدن، وأن تحقيقهم ما يرد منه كفيل بدخولهم الجنة، فيأمرهم باغتيال من شاء.
انظر: حركات الغلو والتطرف في الإسلام (ص٦٩)، د/ أحمد عبدالقادر الشاذلي، راجعه وقدم له أ.د/ محمد نور الدين عبدالمنعم، الدار المصرية للكتاب للنشر، أسرار الباطنية والفرق الخفية: حركة الحشاشين تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي، تأليف: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا بمصر، أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، تأليف إبراهيم الشيخ عيد، دار المعالي بعمان الأردن ١٤١٩هـ (ص٤٥ـ ٨٣).

(٣) المعطلة: هم الدهريون الذين عطلوا المصنعات عن صانعها وهو اسم التعطيل يندرج تحته عدة معان منها تعطيل الصانع عن مصنوعاتها ومنها تعطيل الباري عن الصفات ومنها تعطيل ظواهر الكتاب والسنة انظر نهاية الأقدام (١٢٣) الشهرستاني ومجموع الفتاوى (٥/ ٢٠) (١٢/ ١١٩ـ ٣٥٠ـ ٣٥١).

(٤) «دهري» ليست في م.

(٥) الدهرية: قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها وقالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ وهم فرقتان: فرقة قالت لما خلق الله الأفلاك مع سرعة حركتها أحرقته، وفرقة قالت: إن الأشياء ليس لها أول وإنما تخرج من القوة إلى الفعل.
انظر إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٤ـ ٢٧٥) ومجموع الفتاوى (٥/ ٢٠).

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[١].

وقوله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[٢].

وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٣]، والدلائل أكثر من أن تحصى[٤].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

(٢) سورة يس، الآيتا: ٧٨، ٧٩.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥١.

(٤) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: أكثر من أن تحصى» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

الإيمان بالبعث ركن من أركان الإيمان وهو الركن الخامس، لا يتم الإيمان إلا به قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾(١)، وجاء في حديث جبريل الطويل: قال: «وما الإيمان؟ قال: **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**»(٢).

والإيمان بالبعث دل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإجماع المسلمين على أنه حق، والقرآن كله من أوله إلى آخره مملوء بذكر أحوال يوم الآخرة وتفاصيل ما فيه، والفطرة السليمة تدل عليه وتهدي إليه، والشرائع السماوية كلها تدعو إلى الإيمان به.

وقد نوع الله في كتابه الإخبار عنه ليكون أوقع في النفوس وآكد.

فقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾(٣).

وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾(٤).

وقال: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب: سؤال جبريل (٥٠) مسلم في كتاب الإيمان باب: بيان والإيمان والإسلام (٩).
(٣) سورة طه، آية: ١٥.
(٤) سورة النساء، آية: ٨٧.
(٥) سورة التغابن، آية: ٧.

وقال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۝١٠٤﴾[١]، وقال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[٢].

وضرب الأمثلة فقال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾[٣].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، غير مختونين فقلت يا رسول الله: الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال: يا عائشة الأمر يومئذ أشد من ذلك**»[٤].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينماهم كذلك استغاثوا بآدم فيقول: لست بصاحب ذلك، ثم موسى فيقول كذلك، ثم بمحمد ﷺ فيشفع، فيقضي الله بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع**

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.
(٢) سورة لقمان، اية: ٢٨.
(٣) سورة يس، الآيات: ٧٨ ـ ٨٠.
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب: كيف الحشر (٦٥٢٧) مسلم في كتاب الجنة باب فناء الدنيا (٢٨٥٩).

كلهم»[١].

أنكر البعث وكذب به طوائف من الدهرية والزنادقة وقد ذكر الله في كتابه قول المكذبين وذمهم وتهددهم وتوعدهم فقال: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ۝٢٩ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝٣٠﴾[٢].

وقال: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ۝٤٩ ۞قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾[٣].

وقال: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤﴾[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح ولا الأجساد، وقد بيّن الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك، بياناً تاماً غاية التمام والكمال»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب: ذرية من حملنا مع نوح (٤٧١٣) ومسلم في كتاب الإيمان باب: أدنى أهل الجنة منزلة (١٩٤).

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٤٩، ٥١.

(٤) سورة الجاثية: آية: ٢٤.

(٥) الفتاوى (٤/ ٣١٣).

قال السفاريني ـ رحمه الله ـ: «واعلم أنه يجب الجزم شرعاً أن الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بعد إيجادهم بجميع أجزائهم الأصلية وهي التي من شأنها البقاء مع أول العمر إلى آخره، ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء، فإن هذا حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة مع كونه من الممكنات التي أخبر بها الشارع، وكل ما هو كذلك فهو ثابت والإخبار عنه مطابق»[١].

* * *

(١) لوامع الأنوار (٢/ ١٥٩).

يسأل: عن مسائل منكر ونكير وضغطة القبر فإن آمن به[١]، فهو سني.

وإن أنكره،[٢] فهو معتزلي، حشيشي،[٣] كافر بالله[٤].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[٥] إلى آخر الآية.

وقوله ﷺ[٦] لعمر رحمة الله عليه: «**كيف بك ياعمر إذا أتاك فتّانا القبر**»[٧] والخبر مشهور.

وقوله ﷺ: «**لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد بن معاذ، فإن عرش الله يهتز من موت سعد**»[٨].

---

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب (بها).

(٢) هكذا في الأصل ولعل الصواب (أنكرها).

(٣) «حشيشي» ليست في م.

(٤) «كافر بالله» ليست في م.

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٦) كتب ﷺ إختصار (صلع) وأثبت الصلاة كاملة.

(٧) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٦٧٣٨) وبنحوه البيهقي في الاعتقاد ص١٤٨ والأصبهاني في الحجة ص٤٧٦ وفي سنده ضعف.

(٨) كتب في الهامش: «شوقا إليه».
من قوله: «دليلنا إلى قول: موت سعد» ليست في م.
والحديث أخرجه أحمد (٢٣٧٦٢) (٢٤١٤٢) الجزء الأول من الحديث: لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد بن معاذ» وفي سنده رجل مبهم.
أما اهتزاز عرش الرحمن لموت سعد» فأخرجه البخاري في كتاب المناقب باب مناقب سعد (٣٨٠٣) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل سعد (٢٤٦٦) وابن ماجه (١٥٨) والترمذي في المناقب (٣٨٤٨).

. . . .

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن عذاب القبر ونعيمه حق، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول بل إن الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا[(١)].

قال الإمام أحمد: «وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه ويرى مقعده من النار والجنة، ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبور نسأل الله عز وجل الثبات»[(٢)].

قال الإمام ابن قدامة المقدسي «وفتنة القبر حق وسؤال منكر ونكير حق»[(٣)].

قال ابن عبدالبر: «والآثار في ذلك متواترة وأهل السنة والجماعة على الإيمان بذلك لا ينكره إلا أهل البدع»[(٤)].

---

(١) انظر شرح الطحاوية (٤٥٠).
(٢) انظر شذرات البلاتين (٤٦ـ ٤٧).
(٣) لمعة الاعتقاد (١٩١).
(٤) التمهيد (٢٢/ ٢٤٧).

والأدلة التي تدل على وقوع عذاب القبر ونعيمه كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[١].

قال ابن كثير: هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور[٢].

وقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[٣]. قال الحسن البصري: «سنعذبهم مرتين: عذاب الدنيا وعذاب القبر»[٤].

وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[٥].

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[٦]، نزلت في عذاب القبر فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبي محمد ﷺ فذلك قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ

---

(١) سورة غافر، الآيتان: ٤٥ـ ٤٦.
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٨١) ط مكتبة مصر.
(٣) التوبة، ١٠١.
(٤) فتح الباري (٣/ ٢٣٣).
(٥) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.
(٦) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[١][٢].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «دخلت عليّ عجوزان من عجز يهود المدينة فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم فقال: ﷺصدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم قال: فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر»[٣].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه يسمع خفق نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في محمد ﷺ فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله. . .»[٤].

وقد جاء التصريح باسم الملكين منكر ونكير في حديث أبي هريرة مرفوعاً رواه الترمذي وقال: حسن غريب، وابن أبي عاصم في السنة، والآجري في الشريعة[٥].

«قيل للإمام أحمد بن حنبل: تُقرُّ بمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر؟ قال: سبحان الله! نقر بذلك كله ونقوله، قيل له: هذه اللفظة

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة باب: عرض مقعد الميت (٢٨٧١).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب: التعوذ من عذاب (٦٣٦٦) ومسلم في كتاب المساجد باب: استحباب التعوذ من عذاب القبر (٥٨٦).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب: الميت يسمع خفق النعال (١٣٣٨) ومسلم في كتاب الجنة باب: عرض مقعد الميت (٢٨٧٠).
(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز (١٠٧١) وان أبي عاصم (٢/ ٤١٦ـ ٤١٧) والآجري (٨٥٨).

تقول: منكر ونكير هكذا أو تقول: ملكين؟ قال: منكر ونكير، قلت: يقولون: ليس فيه حديث منكر ونكير قال: هو هكذا يعني أنهما منكر ونكير»[(١)].

أما ضغطة القبر فقد جاء فيها أحاديث منها:

ما جاء عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فلما انتهينا إلى القبر قعد على شفيره فجعل يردد بصره فيه ثم قال: يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله**»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قالت: «**إن للقبر ضغطة لو كان أحد منها ناجياً نجا منها سعد بن معاذ**»[(٣)].

وجاء في حديث البراء بن عازب المشهور وفيه: «**قال: ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه**»[(٤)].

ما نسبه المؤلف للمعتزلة من إنكار مسائل القبر وضغطته ليس على إطلاقه، بل بعضهم أنكره، وبعضهم آمن به.

قال الأشعري: «واختلفوا في عذاب القبر؟ فمنهم من نفاه وهم

---

(١) انظر الروح لابن القيم (٨٠) ولوامع الأنوار (٢/ ٢٣) للسفاريني.
(٢) أخرجه أحمد (٢٢٩٤٧) وفيه محمد بن جابر بن سيار السحيمي الحنفي والأكثر على تضعيفه.
(٣) تقدم تخريجه ص٢٧٥.
(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز (١٠٧١) أبو داود في كتاب السنة (٤٧٥٣) وأحمد (١١٨٦٢) بسند صحيح.

الخوارج والمعتزلة»[١].

قال ابن القيم: «وأما أئمة أهل البدع والضلال فقال أبو الهذيل وبشر المريسي من خرج عن سنة الإيمان فإنه يعذب بين النفختين، قالا: والمسألة في القبر إنما تقع في ذلك الوقت.

وأثبت الجبائي وابنه والبلخي عذاب القبر لكنهم نفوه عن المؤمنين وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم»[٢].

قال ابن حجر: «وأنكر الخوارج وبعض المعتزلة عذاب القبر كضرار بن عمرو وبشر المريسي وخالفهم جميع أهل السنة وأكثر المعتزلة»[٣].

قال التفتازاني: «وأنكر عذاب القبر بعض المعتزلة والروافض»[٤].

قال العصام في حاشيته على شرح التفتازاني «قوله: وسؤال منكر ونكير وهما ملكان يدخلان القبر، وفيه رد على الجبائي وابنه البلخي، حيث أنكروا تسمية الملكين منكراً ونكيراً، وقالوا: إن المنكر ما يصدر عن الكافر عند تلجلجه إذا سئل، والنكير إنما تقريع الملكين»[٥].

قال القاضي عبدالجبار «فصل في عذاب القبر وجملة ذلك أنه

---

(١) المقالات (٢/ ١١٦).
(٢) الروح (١/ ٢٩٦ـ ٢٩٧) ط مكتبة ابن تيمية.
(٣) الفتح (٣/ ١٣٣).
(٤) شرح العقائد النسفية (٣٩٧) سعد الدين التفتازاني بحاشية العصام والحيالي طبع على نفقة محمود أفندي الكتبي ط ١ ـ مصر ـ ١٣٣١هـ.
(٥) حاشية العصام على العقائد (٣٩٤).

لاخلاف فيه بين الأمة إلا شيء يُحكى عن ضرار بن عمرو، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا ويقول: إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به»[١].

إلا أنه لم يجزم بوقت العذاب فقال: «وأما الوقت الذي يثبت فيه التعذيب وتعيين ذلك فما لا طريق إليه، ومن الجائز أن يكون بين النفختين»[٢].

وقد أقرّ وآمن بسؤال الملكين فقال: «السمع ورد بأنه يكل ذلك إلى ملكين أحدهما منكر والآخر نكير، ولا شيء في ذلك مما يدعونه علينا، لأن هذا بمنزلة غيره من الألقاب التي لاحظ لها في إفادة المدح والذم والعقاب وهو جار على طريقة العرب»[٣].

* * *

---

(١) شرح الأصول الخمسة (٧٣٣ ـ ٧٣٤).
(٢) شرح الأصول الخمسة (٧٣٣ـ ٧٣٤).
(٣) شرح الأصول الخمسة (٧٣٣ـ ٣٤لله.

يسأل: عن النبي ﷺ[١] هل هو نبي في القبر[٢] أم[٣] بطلت نبوته بموته؟

فإن قال: هو نبي في قبره، فهو سني.

وإن قال: بطلت نبوته بموته[٤]، فهو أشعري ملعون[٥][٦].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[٧].

وقوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾[٨] الآية.

وقوله ﷺ: «**الأنبياء أحياء في قبورهم**»[٩].

وقال ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وإني خبأت دعوتي شفاعتي لأمتي من أهل الكبائر**»[١٠].

---

(١) في م: (صلع) إختصاراً لـ ﷺ.
(٢) في م: «هل هو الآن في قبره نبي».
(٣) الصواب «أو».
(٤) «بموته» ليست في م.
(٥) «ملعون» ليست في م.
(٦) انظر التعليق ص ٢١٥.
(٧) سورة الإسراء، آية: ٧٩.
(٨) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.
(٩) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٤٢٥) والديلمي في الفردوس (٤٠٣) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٤٤) وابن عدي في الكامل (٢/ ٧٣٩) كلهم من حديث أنس وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١١) رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى ثقات وحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٣٠٨٩) وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ ١٠١٩).
(١٠) قوله ﷺ: أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أخرجه ابن ماجه ٤٣٠٨٠) من حديث أبي سعيد =

وإذا خرج عن النبوة كما زعموا ـ لعنهم الله ـ فقد أبطلوا الشفاعة وردوا الآية ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ .

والدليل على هذا أكثر من أن يحصى[1] .

* * *

= الخدري، والترمذي (٣١٤٨) وأحمد (١١٠٠٠) ومسلم (٢٢٧٨) وأبوداود (٤٦٧٣) من حديث أبي هريرة وابن حبان (٦٤٧٨) وأبوداود الطيالسي (٢٧١١) من حديث عبدالله بن سلام.

وأخرج قوله ﷺ «بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وإني خبأت دعويت شفاعتي لأمتي من أهل الكبائر» أخرجه أحمد في المسند، (٢١٣٣٧)، (٢١٣٥٢)، (٢١٤٧٢) وابن حبان (٦٤٦٢) والطيالسي (٤٧٢) من حديث أبي ذر، وفي المسند (١٩٧٥٠) من حديث أبي موسى الأشعرى، والبخاري بنحوه (٣٢٨)، ومسلم (٥٢١)، والبيهقي (١٧٤٩٣) من حديث جابر والطبراني في الكبير (٦٦٧٤) من حديث السائب بن يزيد (٧٩٣١) ومن حديث أبي أمامة.

(١) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: أكثر من أن يحصى» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة: أن النبي ﷺ لم تبطل نبوته بموته وأنه حي في قبره حياة برزخية.

قال الشيخ سليمان بن سحمان: «ومن المعلوم أنه لم يكن ﷺ حياً في قبره كالحياة الدنيوية المعهودة، التي تقوم فيها الروح بالبدن، وتدبره وتصرفه، ويُحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس والنكاح، وغير ذلك بل حياته ﷺ حياة برزخية، وروحه في الرفيق الأعلى»(١).

وعلى أن نبوته ﷺ باقية قد دلت النصوص وأجمع على ذلك أهل الإسلام(٢).

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(٣).

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾(٤).

والقول بأن نبوته بطلت بموته قول باطل يلزم عليه إبطال خصائصه ﷺ في الدنيا من الصلاة عليه، واحترامه، وتبجيله، وفي الآخرة من إبطال ما أخبر به أنه يقوم المقام المحمود الذي يحمده عليه الخلائق،

---

(١) الصواعق المرسلة الشهابية (٨٢).
(٢) انظر الفصل لابن حزم (١/ ٩١٦٢).
(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.
(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

ويشفع في الخلق أن يقضي الله بين العباد إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة.

وقد نسب المؤلف القول ببطلان نبوته للأشاعرة، وقد وافقه على نسبة هذا المذهب للأشاعرة السِّجزي في رسالته إلى أهل زبيد فقال: «فصل في ذكر شيء من أقوالهم ـ يعني الأشاعرة ـ ليقف العامة عليها فينفروا عنهم ولا يقعوا في شباكهم. ومنها: أن الإيمان والنبوة عرَضان يحلان الأجسام في حال الحياة ويزولان عنها بزول الحياة، فالمؤمن إذا مات يدخل قبره ولا إيمان معه، والنبي ﷺ إذا مات يدفن وليس بنبي وعلى هذا الأصل يقتضي أن يزول الإيمان عن الرجل إذا نام وهذا من أشنع الأقاويل»[١].

وقال الموفق ابن قدامة المقدسي: «وحقيقة مذهب الأشاعرة أنه ليس في السماء ولا في الأرض قرآن ولا أن محمداً رسول الله»[٢].

وممن نسب لهم هذا القول ابن حزم حيث قال في الفِصَل: «حَدَثَتْ فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ﷺ ليس هو الآن رسول الله ﷺ ولكنه كان رسول الله، وهذا قول ذهب إليه الأشعرية، وأخبرني سليمان بن خلف الباجي وهو من مقدميهم اليوم أن محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني على هذه المسألة قتله بالسم محمود بن سبكتكين، صاحب ما دون النهر من

---

(١) رسالة السجزي إلي أهل زبيد (١٩٦).
(٢) حكاية المناظرة في القرآن (٥١).

خراسان»[١].

ثم ذكر ابن حزم السبب الذي حملهم على هذه المقالة قولهم: أن الروح عَرَض، والعَرَض يفنى أبداً ويحدث ولا يبقى وقتين، فروح النبي ﷺ عندهم قد فنيت وبطلت ولا روح له الآن عند الله تعالى، وأما جسده ففي قبره موات فبطلت نبوته بذلك ورسالته»[٢].

وقد نسب هذه المقالة لابن فورك الذهبي فقال: «ونقل أبو الوليد الباجي أن السلطان محموداً سأله عن رسول الله ﷺ فقال: كان رسول الله، واما اليوم فلا، فأمر بقتله بالسم»[٣].

وقد رد القشيري نسبة هذه المقالة للأشاعرة ويرى أنها كذب عليهم، وأن أصلها أن بعض الكرامية ألزم بعض الأشاعرة وقال: «إذا كان عندكم الميت في حال موته لا يحس ولا يعلم، فيجب أن يكون النبي ﷺ في قبره غير مؤمن، لأن الإيمان عندكم المعرفة والتصديق والموت ينافي ذلك، فإذا لم يكن له علم وتصديق لا يكون له إيمان، ومن لا يكون مؤمناً لا يكون نبياً ثم قال: واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن ما يلزِمُه الخصم بدعواه فيقول هذا على أصلكم ومقتضى علتكم يلزمكم، فلا يجوز أن ينسب ذلك إلى صاحب المذهب فيقال هذا مذهب فلان[٤].

---

(١) الفصل ١٠/١٦١.
(٢) الفصل (١/١٦١).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٧/٢١٦).
(٤) شكاية أهل السنة للقشيري، (ضمن طبقات الشافعية (٢/٢٧٩ـ ٢٨٢) ط دار المعرفة =

ونفى السبكي أن ابن فورك قال بذلك وقتله لأجله وذكر أن الكرامية دسوا عليه ذلك لدى السلطان وأنّ ابن فورك أنكر ذلك أمامه[١].

إلا أن الموجود في كتب الأشاعرة اليوم التصريح ببقاء نبوته ﷺ.

قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن نبوات الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ لا تبطل ولا تنخرم بخروجهم عن الدنيا وانتقالهم إلى دار الآخرة، بل حكمهم في الدنيا كحكمهم في حالة نومهم وحالة اشتغالهم، إما بأكل أو شرب أو قضاء وطر...

وقد غلط من نسب إلى مذهب المحققين من الموحدين إبطال نبوة الأنبياء عليهم السلام بخروجهم من دار الدنيا، وليس ذلك بصحيح، لأن مذهب المحققين: أن الرسول ما استحق شرف الرسالة بتأدية الرسالة، وإنما صار رسولاً واستحق شرف الرسالة والنبوة بقول مرسله: وهو الله ـ تعالى ـ: أنت رسولي ونبيي وقول القديم لا يزول ولا يتغير»[٢].

* * *

= بيروت.

(١) طبقات الشافعية (٣/ ٥٤).

(٢) الإنصاف (٦٣ـ ٦٤) ط الخانجي.

يسأل: عن الله تعالى[١] هل أراد المعصية من الخلق[٢] أم[٣] لا؟

فإن قال[٤]: الخير بقضاء الله وقدره ورضائه ومحبته وسعادة للعبد، والشر بقضائه وقدره لا بأمرٍ ورضائه ومحبته وشقاوة للعبد[٥]، فهو سني.

وإن قال غيره، [٦] فهو معتزلي[٧] قدري.

دليلنا: قوله تعالى لآدم وحواء ـ عليهما السلام ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[٨] وأراد أن يأكلا منها فأكلا.

وأمر اللعين إبليس فقال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾[٩]، ولم يرد منه السجود فلم يسجد.

وقال لفرعون إخباراً عن موسى ـ عليه السلام ـ، ولنمرود عن إبراهيم[١٠]، فما آمنوا وهذا دليل على أن له إرادة بغير أمرٍ وأمراً بغير إرادة.

---

(١) في م: «الباري جل جلاله».

(٢) في م: «خلقه».

(٣) الصواب: «أو».

(٤) في م: فإن قال: أرادها فهو سني.

(٥) من قوله: «الخير بقاء الله وقدرة... إلى قوله وشقاوة للعبد «ليست في م».

(٦) في م: وإن قال: لم يردها.

(٧) في م«أو».

(٨) سورة الأعراف، آية: ١٩.

(٩) سورة ص، آية: ٧٥.

(١٠) لعل هنا سقط «آمنوا فما آمنوا» حتي يتم معنى الجملة.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[١].

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[٢][٣].

* * *

(١) سورة يونس، آية: ٩٩.

(٢) سورة هود، آية: ١١٨.

(٣) من قوله: «دليلنا... إلى قوله... ولا يزالون مختلفين» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة:

أن الله وإن كان يريد المعاصي إرادة كونية قدرية، فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها وينهى عنها.

فيفرقون بين إرادته الدينية الشرعية التي تتضمن محبته ورضاه، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1]، وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضا كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝٢٥٣﴾[2].

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية هل إرادة الله تعالى المعصية من خلقه أم لا؟

فأجاب: لفظ «الإرادة» مجمل له معنيان: فيقصد به المشيئة لما خلقه، ويقصد به المحبة والرضا لما أمر به.

فإن كان مقصود السائل: أنه أحب المعاصي، ورضيها، وأمر بها، فلم يردها بهذا المعنى، فإن الله لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء، بل قال لما نهى عنه: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨﴾[3]، وإن أراد أنها من جملة ما شاءه وخلقه فالله

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٣.
(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٨.

خالق كل شيء، وما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ولا يكون في الوجود إلا ما شاء.

وقد ذكر الله في موضع أنه يريدها، وفي موضع أنه لا يريدها، والمراد بالأول أنه شاءها خلقاً، وبالثاني أنه لا يحبها ولا يرضاها أمراً، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[1].

وقال نوح: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[2].

وقال في الثاني: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[3][4].

قال الإمام الصابوني: «ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله عزَّ وجل مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها، ولم يؤمن أحد إلا بمشيئته، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، ولو شاء أن لا يعصى لما خلق إبليس، فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين، بقضائه سبحانه وتعالى وقدره، وإرادته ومشيئته، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه، ويرضى الإيمان والطاعة، ويسخط الكفر والمعصية.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢٥.

(٢) سورة هود، آية: ٣٤.

(٣) سورة البقرة، اية: ١٨٥.

(٤) انظر: الفتاوى (٨/ ١٥٩).

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[١]»[٢].

وقالت المعتزلة القدرية: كل ما أراده الله وشاءه فقد أحبه ورضيه، فسووا بين إرادته ومشيئته وبين محبته، وقالوا: الكفر والفسوق والمعاصي لا يحبها ولا يرضاها فلا يريدها ولا يشاؤها، فجعلوا الإرادة والمشيئة والمحبة من باب واحد.

قال القاضي عبد الجبار: «وأحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يكون مريداً للمعاصي، هو أنه لو كان مريداً لها لوجب أن يكون محباً لها وراضياً بها، لأن المحبة والرضا والإرادة من باب واحد، بدلالة أنه لا فرق بين أن يقول القائل أحببت أو رضيت وبين أن يقول: أردت»[٣].

قال أبو القاسم الرسي: «والله ـ جل ثناؤه ـ لا يقضي جوراً ولا باطلاً ولا فجوراً، لأن المعاصي كلها باطل وفجور وجور، والله ـ تعالى ـ منزّه أن يكون لها قاضياً أو مقدراً»[٤].

قال شيخ الإسلام في إبطال شبهة المعتزلة: «وفصل الخطاب أن الأمر ليس مستلزماً لمشيئة أن يخلق الرب الآمر الفعل المأمور به، ولا

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧.

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٨٦).

(٣) شرح الأصول الخمسة (٤٦٤).

(٤) كتاب العدل والتوحيد ونفي التشبيه (١٣٩) ضمن رسائل العدل والتوحيد.

إرادة أن يفعله، بل قد يأمر بما لا يخلقه، وذلك مستلزم لمحبة الرب ورضاه من العبد أن يفعله، بمعنى أنه إذا فعل ذلك أحبه ورضيه، وهو يريد منه إرادة الآمر من المأمور بما أمره به لمصلحته، وإن لم يرد أن يخلق وأن يعينه عليه، لما له في ترك ذلك من الحكمة، فإن له حكمة بالغة فيما يخلقه وفيما لم يخلقه.

وفرق بين أن يريد أن يخلق هو الفعل ويجعل غيره فاعلاً يحسن إليه ويتفضل عليه بالإعانة له على مصلحته، وبين أن يأمر غيره بما يصلحه ويبين له ما ينفعه إذا فعله، وإن كان لا يريد هو نفسه أن يعينه لما في ترك إعانته من الحكمة، لكون الإعانة قد تستلزم ما يناقض حكمته، والمنهي عنه الذي خلقه هو يبغضه ويمقته، كما يمقت ما خلقه من الأعيان الخبيثة كالشياطين والخبائث، ولكنه خلقها لحكمة يحبها ويرضاها.

ونحن نعلم أن العبد يريد أن يفعل مالا يحبه لإفضائه إلى ما يحبه، كما يشرب المريض الدواء الكريه لإفضائه إلى ما يحبه من العافية، ويفعل ما يكره من الأعمال لإفضائه إلى مطلوبه المحبوب له، ولا منافاة بين كون الشيء بغيضاً إليه مع كونه مخلوقاً له لحكمة يحبها، وكذلك لا منافاة بين أن يحبه إذا كان ولا يفعله، لأن فعله قد يستلزم تفويت ما هو أحب إليه منه، أو وجود ما هو أبغض إليه من عدمه»[1].

ومما تقدم نعلم أن ما يقع في هذا الكون كله بقضاء الله وقدره،

---

(١) الفتاوى (٨/ ٤٧٧ـ ٤٧٨).

من الطاعات والمعاصي والإيمان والكفر، فالله أراد كفر الكافر كوناً وقدراً ولم يرده ديناً وشرعاً، مع كون الكفر مبغوضاً له، إذ المراد كما بيّن شيخ الإسلام نوعان مراد لنفسه، ومراد لغيره، فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته لما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد، والمراد لغيره قد لا يكون مقصوداً لما يريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، يجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما، وهذا كالدواء الكريه إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه، وقطع العضو المتآكل، إذا علم أن في قطعه بقاء جسده[١].

* * *

---

(١) انظر شرح الطحاوية (٢٨٠ـ ٢٨١).

يسأل: عن الباري جل جلاله[١] هل يُضل ويهدي[٢]؟

فإن قال: يُضل ويهدي، فهو سني.

وإن قال:[٣] يهدي ولا يُضل،[٤] فهو بدعي قدري[٥].

دليلنا: قوله تعالى إخباراً عن محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[٦]، إنك يا محمد تريد عمك أبا طالب، ونحن نريد بلال الحبشي[٧].

وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾[٨][٩].

* * *

---

(١) في م: «ذكره».
(٢) في م: زيادة «أم الضلالة إلى غيره».
(٣) في م: «وإن أنكر ذلك».
(٤) ليست في م: «يهدي ولا يضل».
(٥) «قدري» ليست في م.
(٦) سورة القصص، آية: ٥٦.
(٧) انظر تفسير ابن كثير (٣/٤٠٨).
(٨) سورة آل عمران، آية: ٢٦.
(٩) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: من تشاء» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن كل ما في الوجود فهو مخلوق لله، خلقه بمشيئته وقدرته، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله يُضل ويهدي ويسعد ويشقي لا معقب لحكمه سبحانه.

قال الإمام الصابوني: «ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء لدينه، ويضل من يشاء عنه، لا حجة لمن أضله الله عليه، ولا عذر له لديه»[١].

وقال الإمام ابن القيم: «اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه»[٢].

وقال الإمام ابن بطة: «باب ذكر ما أعلمنا الله تعالى في كتابه أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه لا يهدي بالمرسلين والكتب والآيات والبراهين، إلا من سبق في علم الله أنه يهديه»[٣] وقد دل على هذا الأصل الكتاب والسنة وإجماع السلف.

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٨٠).
(٢) شفاء العليل (٦٥) مطبعة الحسينية المصرية الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ.
(٣) الإبانة (١/ ٢٥٩) ت الأثيوبي.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾(١)، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾(٢).

وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(٣).

وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(٤).

قال الإمام ابن بطة: «ففي كل هذه الآيات يعلم الله عز وجل عباده المؤمنين أنه هو الهادي المضل، وأن الرسل لا يهتدي بها إلا من هداه الله، ولا يأبى الهداية إلا من أضله الله، ولو كان من اهتدى بالرسل والأنبياء مهتدياً بغير هدايته، لكان كل من جاءهم المرسلون مهتدين لأن الرسل بعثوا رحمة للعالمين، ونصيحة لمن أطاعهم من الخليقة أجمعين، فلو كانت الهداية إليهم، لما ضل أحد جاؤه»(٥).

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فلما انتهينا إلى بقيع الغرقد، قعد رسول الله ﷺ وقعدنا حوله، فأخذ عوداً فنكث به في الأرض، ثم رفع رأسه فقال: ما منكم من نفس منفوسة إلا قد علم مكانها من الجنة والنار وشقية أو سعيدة، فقال رجل

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٩٧.
(٢) سورة القصص، آية: ٥٦.
(٣) سورة المدثر، آية: ٣١.
(٤) سورة إبراهيم، آية: ٤.
(٥) الإبانة (١/ ٢٦٤) ت الأثيوبي.

من القوم: يارسول الله ﷺ! ألا ندع العمل ونعمل على كتاب ربنا، فمن كان من أهل الجنة، صار إلى السعادة ومن كان من أهل الشقوة، صار إلى الشقوة؟ فقال رسول الله ﷺ: بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فمن كان من أهل الشقوة، يسر لعملها ومن كان من أهل السعادة يسر لعملها ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾[1][2].

وعن النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين، فإذا شاء يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه»[3].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة هو المشهور من مذهبهم، قال الأشعري في المقالات: «وامتنعت المعتزلة أن تقول: إن الله سبحانه أضلّ عن الدين أحداً من خلقه»[4].

وقال أبو القاسم الرسي: في قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾[5].

---

(١) سورة الليل، ٥، ٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب: قوله: فأما من أعطى وأتقى (٤٩٤٥) ومسلم في كتاب القدر باب: كيفية خلق الآدمي (٢٦٤٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه المقدمة (١٩٩) وأحمد (١٧١٧٨) (٢٦١٣٩) والترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٢٢) وحسنه.

(٤) المقالات (١/٣٢٦).

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

«وقد يجوز أيضاً أن يكون معنى ذلك أن سماهم ضلالاً وشهد عليهم بالضلالة، ووصفهم به من غير أن يدخلهم في الضلالة ويقسرهم عليها، فإن رجعوا عن الضلالة وتابوا وصاروا إلى الهدى سماهم مهتدين وأزال عنهم اسم الضلالة والفسق»(١).

وقال: في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝ ﴾(٢): «فأمر نبيه ﷺ أن ينسب ضلاله، إن كان منه إلى نفسه، والهدى إلى ربه تبارك وتعالى وقد علم ـ جل ثناؤه ـ أن لا يكون من نبيه ضلالة أبداً، وأن لا يكون منه إلا الهدى، وإنما أمر بذلك تأديباً لخلقه، وأن نسبوا ضلالتهم إلى أنفسهم، وينزهوا منها ربهم، وأن ينسبوا هداهم إلى الذي به اهتدوا وبعونه وتوفيقه رشدوا»(٣).

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «والقدرية ترد هذا كله إلى المتشابه وتجعله من متشابه القرآن وتتأوله على غير تأويله بل تتأوله بما يقطع ببطلانه وعدم إرادة المتكلم له، كقول بعضهم المراد من ذلك تسمية الله العبد مهتدياً وضالاً، فجعلوا هداه وإضلاله مجرد تسمية العبد بذلك، وهذا مما يعلم قطعاً أنه لا يصح حمل هذه الآيات عليه، وأنت إذا تأملتها وجدتها لا تحتمل ما ذكروه البتة، وليس في لغة أمة من

---

(١) كتاب العدل والتوحيد ١٤١٠) من رسائل العدل والتوحيد.

(٢) سورة سبأ، آية: ٥٠.

(٣) العدل والتوحيد (٩١٤٢.

الإمم فضلاً عن أفصح اللغات وأكملها: هداه بمعنى سماه مهتدياً، وأضلّه سماه ضالاً وهل يصلح أن يقال علّمه إذا سماه عالماً...»[1].

* * *

(١) شفاء العليل (٨٢) مطبعة الحسينية ١٣٢٣هـ.

يسأل: عن المقتول هل مات[١] بأجله أم[٢] قطع[٣] القاتل أجله؟

فإن قال: يموت بأجله، فهو سني.

وإن قال: قطع[٤] عليه[٥] أجله، فهو معتزلي وقدري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٤﴾[٦].

وقوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾[٧] الآية.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[٨][٩] الآية[١٠].

* * *

---

(١) في م: «يموت».
(٢) الصواب «أو».
(٣) في م: «يقطع».
(٤) في م: «يقطع».
(٥) في م: «القاتل».
(٦) سورة الأعراف، آية: ٣٤.
(٧) سورة يونس، آية: ٤٩.
(٨) سورة الرعد، آية: ٤١.
(٩) قال ابن كثير (٢/٥٣٥): قال مجاهد: «نقصان الأنفس والثمرات وخراب الأرض». وقال الشعبي: «نقصان الأنفس والثمرات وقال عكرمة: لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكاناً تقعد فيه ولكن هو الموت».
(١٠) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله... الآية» ليست في م.

دراسة المسألة:

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن المقتول هل مات بأجله أو قطع القاتل أجله؟

فأجاب: المقتول كغيره من الموتى لا يموت أحد قبل أجله، ولا يتأخر أحد عن أجله، بل سائر الحيوان والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر، فإن أجل الشيء هو نهاية عمره، وعمره مدة بقائله فالعمر مدة البقاء، والأجل نهاية العمر بالإنقضاء.

وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»[١].

وثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض - وفي لفظ - ثم خلق السموات والأرض»[٢].

وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى (٢٦٥٣) من حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء (٧٤١٨) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٣٤.

والله يعلم ما كان قبل أن يكون، وقد كتب ذلك، فهو يعلم أن هذا يموت مقتولاً: إما بالسم وإما بالحجر وإما بغير ذلك، من أسباب القتل.

وعلم الله بذلك وكتابته له، بل مشيئته لكل شيء، وخلقه لكل شيء لا يمنع المدح والذم والثواب والعقاب، بل القاتل: إن قتل قتيلاً أمر الله به ورسوله؛ كالمجاهد في سبيل الله أثابه الله على ذلك، وإن قتل قتيلاً حرمه الله ورسوله كقتل القطاع والمعتدين عاقبه الله على ذلك، وإن قتل قتيلاً مباحاً ـ كقتيل المقتص ـ لم يثب ولم يعاقب إلا أن يكون له نية حسنة، أو سيئة في إحداهما.

والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ: «**من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأله في أثره، فليصل رحمه**»[1].

فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً وقال: «إن وصل رحمه زدته كذا وكذا» والملك لا يعلم أيزداد أم لا؟، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر.

ولو لم يقتل المقتول، فقد قال بعض القدرية، إنه كان يعيش، وقال بعض نفاة الأسباب: إنه يموت، وكلاهما خطأ، فإن الله علم أنه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب من أحب البسط في الرزق (٢٠٦٧) ومسلم في البر والصلة باب صلة الرحم (٢٥٥٧) وأبو داود من كتاب الزكاة (١٦٩٣)، وأحمد (١٣١٧٣).

يموت بالقتل، فإذا قدر خلاف معلومه كان تقديراً لما لا يكون لو كان كيف يكون، وهذا قد يعلمه بعض الناس، وقد لا يعلمه، فلو فرضنا أن الله علم أنه لا يقتل أمكن أن يكون قدر موته في هذا الوقت، وأمكن أن يكون قدر حياته إلى وقت آخر، فالجزم بأحد هذين على التقدير لا يكون إلا جهلاً[1].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة من القول بأن المقتول قطع عليه أجله ليس على إطلاقه فليسوا كلهم على هذا القول:

قال الأشعري: «واختلف المعتزلة في الآجال على قولين:

فقال: أكثرهم: الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه، أو يقتل، فإذا قتل قتل بأجله، وإذا مات مات بأجله.

وشذّ قوم من جهالهم فزعموا أن الوقت الذي في معلوم الله سبحانه، أن الإنسان لو لم يقتل لبقي إليه هو أجله، دون الوقت الذي قتل فيه»[2].

وقال القاضي عبدالجبار: «اعلم أن من مات حتف أنفه مات بأجله، وكذا من قتل فقد مات بأجله أيضاً، ولا خلاف في هذا.

والدليل عليه، أن الأجل ليس المراد بها هنا إلا وقت الموت،

---

(١) الفتاوى (٨/٥١٦ـ ٥١٨).
(٢) المقالات (١/٣٢١).

وهما قد مات جميعاً في وقت موتهما، وإنما الخلاف في المقتول لو لم يقتل كيف يكون حاله في الحياة والموت؟ فعند شيخنا أبي الهذيل أنه كان يموت قطعاً لولاه، وإلا يكون القتل قاطعاً لأجله وهذا غير ممكن، وعند البغدادية أنه كان يعيش قطعاً والذي عندنا أنه كان يجوز أن يحيا ويجوز أن يموت ولا يقطع على واحد من الأمرين فليس إلا التجويز»[١].

* * *

(١) شرح الأصول الخمسة (٧٨٢).

يسأل: عن الغلاء والرخص هل هما من الله(١) أم(٢) من الخلق؟

فإن قال: هما(٣) من الله، فهو سني.

وإن قال: من الخلق، فهو معتزلي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾(٤) الآية.

وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا﴾(٥). وأيضاً ما روي أن الصحابة رضي الله عنهم قالت يا رسول الله سعّر لنا فقال: «**إن الله هو المسعر والقابض والباسط**»(٦)(٧).

* * *

---

(١) في م: زيادة «تعالى».

(٢) الصواب: «أو».

(٣) «هما» ليست في م.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٣٢.

(٥) سورة الزخرف، آية: ٣٣.

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب البيع باب: التسعير ح (٣٤٥١) وابن ماجه في كتاب التجارات باب: من كره أن يستخرج (٢٢٠٠) والترمذي في كتاب البيوع باب: ما جاء في التسعير ح (١٣١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (١٣٦٤٣) (١٢١٨١) والدارمي في كتاب البيوع (٢٥٤٥) كلهم من حديث أنس بن مالك وإسناده صحيح.

(٧) من قوله: «دليلنا... إلى قوله... والباسط» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الغلاء والرخص هل هما من الله أو لا؟

فأجاب: «جميع ما سوى الله من الأعيان وصفاتها وأصولها مخلوقة لله، مملوكة، هو ربها وخالقها ومليكها ومدبرها، لا رب لها غيره، ولا إله لها سواه، له الخلق والأمر لا شريك له في شيء من ذلك» ولا معين، بل هو كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[1].

حتى قال: وحينئذ: فالغلاء بارتفاع الأسعار، والرخص بإنخفاضها، هما من جملة الحوادث التي لا خالق لها إلا الله وحده، ولا يكون شيء منها إلا بمشيئته وقدرته لكن هو سبحانه قد جعل بعض أفعال العباد سبباً في بعض الحوادث.

كما جعل قتل القاتل سبباً في موت المقتول، وجعل ارتفاع الأسعار قد يكون بسبب ظلم العباد، وانخفاضها قد يكون بسبب إحسان بعض الناس، ولهذا أضاف من أضاف من القدرية والمعتزلة وغيرهم الغلاء والرخص إلى بعض الناس.

---

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

وبنوا على ذلك أصولاً فاسدة:

أحدها: أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله.

والثاني: أن ما يكون فعل العبد سبباً له يكون العبد هو الذي أحدثه.

والثالث: أن الغلاء والرخص إنما يكون بهذا السبب.

ثم قال في إبطال هذه الأصول: «وهذه الأصول باطلة فإنه قد ثبت أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، ودلت على ذلك الدلائل الكثيرة السمعية والعقلية، وهذا متفق عليه بين سلف الأمة وأئمتها، وهم مع ذلك يقولون: إن العباد لهم قدرة ومشيئة، وأنهم فاعلون لأفعالهم، ويثبتون ما خلقه الله من الأسباب وما خلق من الحكم. . . . حتى قال:

والأصل الثاني: وهو أن ما كان فعل العبد أحد أسبابه: كالشبع الذي يكون بسبب الأكل، وزهوق النفس الذي يكون بالقتل، فهذا جعله أكثر المعتزلة فعلاً للعبد.

والجبرية لم يجعلوا لفعل العبد فيه تأثيراً، بل ما تيقنوا أنه سبب، قالوا: إنه عنده لا به، وأما السلف والأئمة فلا يجعلون العبد فاعلاً لذلك، كفعله لما قام به من الحركات، ولا يمنعون أن يكون مشاركاً في أسبابه، وأن يكون الله جعل فعل العبد مع غيره أسباباً في حصول مثل ذلك.

وقد ذكر الله في كتابة النوعين بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾(١).

والإنفاق والسير هو نفس أعمالهم القائمة، فقال فيها: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾، ولم يقل إلا كتب لهم به عمل صالح، فإنها نفسها عمل، فنفس كتابتها يحصل به المقصود، بخلاف الظمأ والنصب والجوع الحاصل بغير الجهاد، بخلاف غيظ الكفار بما نيل منهم، فإن هذه ليست نفس أفعالهم، وإنما هي حادثة عن أسباب منها أفعالهم فلهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾(٢).

فتبين أنما يحدث من الآثار عن أفعال العباد لهم بها عمل، لأن أفعالهم كانت سبباً فيها.

ثم قال: والأصل الثالث: أن الغلاء والرخص لا تنحصر أسبابه في ظلم بعض، بل قد يكون سببه قلة ما يخلق، أو يجلب من ذلك المال المطلوب، فإذا كثرت الرغبات في الشيء وقل المرغوب فيه: أرتفع سعره، فإذا كثرت قلت الرغبات فيه انخفض سعره، والقلة والكثرة قد لا تكون بسبب من العباد وقد تكون بسبب لا ظلم فيه، وقد تكون

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٠، ١٢١.
(٢) سورة التوبة، اية: ١٢٠.

بسبب فيه ظلم، والله تعالى يجعل الرغبات في القلوب فهو سبحانه كما جاء في الآثر: قد تغلوا الأسعار والأهواء غداء، وقد ترخص الأسعار والأهواء فقار[١].

أما ما استدل به المؤلف على أن الغلاء والرخص من الله فقوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا . .﴾[٢] أن يقال: إن في هذه الآية دليلاً على أن ما يحصل من رخاء العيش وسهولته وحصول الأرزاق، أن كل ذلك بيد الله فهو الذي يفعل ذلك كله، ومن ذلك الغلاء والرخص، فالغلاء والرخص إنما سببها قلة الشيء وكثرته، فإذا قل حصل الغلاء وإذا كثر حصل الرخص.

وقوله تعالى: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٣] أن يقال إنه يحصل بكثرة هذه الأمور الرخص والله أعلم.

ما نسبة المؤلف إلى المعتزلة قال به بعضهم.

قال القاضي أبو يعلى الحنبلي: «والغلاء والرخص من قبل الله، لا من قبل الخلق، خلافاً لبعض المعتزلة وغيرهم من الملحدة في قولهم: إن ذلك من قبلنا، وخلافاً للمنجمين في قولهم: إن ذلك من آثار

---

(١) الفتاوى (٨/ ٥١٩ـ ٥٢٣).
(٢) سورة الزخرف، آية: ٣٢.
(٣) سورة الزخرف، آية: ٣٣.

الكواكب»[١].

وقال الجويني: «والأسعار كلها جارية على حكم الله تعالى، وهي إثبات أقدار أبدال الأشياء إذ السعر يتعلق بما لا اختيار للعبد فيه، من عزة الوجود والرخاء، وصرف الهمم والدواعي وتكثير الرغبات وتقليلها، وما يتعلق فيها باختيار العباد، فهو أيضاً فعل الله تعالى، إذ لا مخترع سواه، وأطلقت المعتزلة القول بأن السعر من أفعال العباد»[٢].

ومما يدل أن المعتزلة ليس كلهم على هذا القول قول القاضي عبدالجبار: «إن الغلاء والرخص ربما يكون من قبل الله تعالى، وربما يكون من قبل السلطان، ما يكون من قبل الله تعالى هو أن يقل ذلك الشيء وتكثر حاجة المحتاجين إليه، أو يكثر ذلك الشيء وتقل حاجة المحتاجين إليه.

وأما ما يكون من قبل السلطان فهو أن يسوم رعيته أن لا يبيعوا إلا بقدر معلوم.

وإذا عرفتَ ذلك وسُئلتَ عن الأسعار أهي بقضاء الله وقدره أم لا؟ قلتَ: نعم ولم تحتج فيه إلى التقييد الذي مرّ في نظائره»[٣].

* * *

---

(١) المعتمد (١٥٢).

(٢) الإرشاد (٣٦٧).

(٣) شرح الأصول الخمسة (٧٨٨).

يسأل: عن المعراج[١] هل عرج[٢] بالنبي[٣] ﷺ يقظة[٤] أو[٥] مناماً؟

فإن قال: يقظة، فهو سني.

وإن قال: مناماً[٦]، فهو معتزلي.

دليلنا: قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٧] الآية.

وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝٩﴾[٨].

وقوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۝١١﴾[٩].

وقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۝١٧ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ۝١٨﴾[١٠].

يعني: ما كذب بما رأى عيناه أعياناً[١١] بلا ترجمان ولا واسطة فكلمه وقرّبه وأدناه لقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝٩ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا

---

(١) في م: «معراج».
(٢) «هل عرج» ليست في م.
(٣) في م: «النبي».
(٤) في م: «هل كان يقظة».
(٥) في م: «أم».
(٦) في م: «كان مناماً».
(٧) سورة الإسراء، آية: ١.
(٨) سورة النجم، آية: ٩.
(٩) سورة النجم، آية: ١١.
(١٠) سورة النجم، الآيتان: ١٧، ١٨.
(١١) الصواب: «عياناً: أي رأه بعينيه كما في مختار الصحاح مادة «عيا» (٢٢٣).

أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[(١)(٢)].

* * *

(١) سورة النجم، آية: ٩، ١٠.

(٢) من قوله: «دليلنا».. إلى قوله: «ما أوحى» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الإسراء والمعراج حق، وأنه أسري بالرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء بروحه وجسده يقظة لا مناماً.

قال الحافظ تقي الدين المقدسي: «وأجمع القائلون بالإخبار والمؤمنون بالآثار أن رسول الله ﷺ أُسْرِيَ به إلى فوق سبع سموات ثم إلى سدرة المنتهي، أُسْرِيَ به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم مسجد بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء بجسده وروحه جميعاً، ثم عاد من ليلته إلى مكة قبل الصبح»[١].

وقال الطحاوي ـ رحمه الله ـ: «والمعراج حق، وقد أسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلى، وأكرمه بما شاء، وأوحى ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، فصلى الله عليه في الآخرة والأولى»[٢].

قال الآجري: «ومما خص الله عز وجل به النبي ﷺ مما أكرمه به وعظم شأنه زيادة منه له في الكرامات، أنه أسرى بمحمد ﷺ بجسده وعقله حتى وصل إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السموات، فرأى

---

(١) عقيدة الحافظ تقي الدين عبدالغني المقدسي (٨٠) نشر دار الإفتاء.
(٢) شرح الطحاوية (٢٤٥).

من آيات ربه الكبرى، رأى ملائكة ربه ـ عز وجل ـ ورأى إخوانه من الأنبياء حتى وصل إلى مولاه الكريم، فأكرمه بأعظم الكرامات، وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات، وذلك في ليلة واحدة ثم أصبح بمكة سرّ الله الكريم به أعين المؤمنين، وأسخن به أعين الكافرين وجميع الملحدين»(١).

قال السفاريني: «والذي ذهب إليه أكثر أهل العلم من المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين أنهما كانا يقظة بالروح والجسد جميعاً لا في المنام»(٢).

ومن الأدلة الظاهرة في أن الإسراء والمعراج بالروح والجسد يقظة لا مناماً:

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾(٣).

قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: «قال بعض العلماء قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾.

سبحان ها هنا للتعجب، فوجب أن يعمل على ما هو أعجب، ولو كان عرج بروحه هنا دون بدنه لم يكن فيه كبير عجب، لأن الرجل قد يرى في منامه عرج به إلى السماء، فإذا أخبر به لم يتعجب منه ولم

(١) الشريعة (٢/ ٣٠٥) ت الوليد بن محمد الناصر. ط قرطبة.
(٢) لوامع الأنوار (٢/ ٢٨٨).
(٣) سورة الإسراء، آية: ١.

ينسب إلى الكذب.

وقال أبو حامد المقري: لو كان في النوم لما كان دلالة على النبوة إذ مثل ذلك جائز على غير الأنبياء أن يروها في النوم، ولا معنى لرد ما تظاهرت به الأخبار»[١].

قال الآجري: «أُسريَ بمحمد ﷺ بجسده وعقله، لا أن الإسراء كان مناماً وذلك أن الإنسان لو قال وهو بالمشرق، رأيت البارحة في النوم كأني بالمغرب لم يرد عليه قوله ولم يعارض، وإذا قال: كنت ليلتي بالمغرب، لكان قوله كذباً، وكان قد تقول بعظيم إذا كان مثل ذلك البلد غير واصل إليه في ليلته لا خلاف في هذا، فالنبي ﷺ لو قال لأبي جهل ولسائر قومه: رأيت في المنام كأني ببيت المقدس على المنام لقبلوا منه ذلك ولم يتعجبوا من قوله، ولقالوا له صدقت، وذلك أن الإنسان قد يرى في النوم كأنه في أبعد مما أخبرتنا ولكنه لما قال لهم ﷺ: أسري بي الليلة إلي بيت المقدس، كان خلافاً للمنام عند القوم وكان هذا في اليقظة بجسده وعقله»[٢].

لم أجد من نسب هذا القول إلى المعتزلة ولم أجد في كتبهم التصريح بوقوعه، ونسب أبو الخطاب بن دحية إلى المعتزلة القول بأن الإسراء بالروح فقط[٣].

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٥١١ـ ٥١٢).
(٢) الشريعة (٢/ ٣١٢ـ ٣١٣).
(٣) انظر الإبتهاج في أحاديث المعراج (١٤) ط الخانجي ت رفعة فوزي عبدالمطلب.

يسأل: عن حوض نبينا ـ عليه السلام ـ هل يكون في الساهرة[(١)].

فإن قال يكون في عرصات القيامة، فهو سني.

وإن أنكره، فهو معتزلي شكاك طاغ[(٢)].

دليلنا: قوله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٥٠﴾[(٣)] وأيضاً قوله ﷺ: «**حوضي ما بين عدن وعمّان**»[(٤)(٥)].

* * *

(١) كتب في الهامش: «في الساهرة قبل جواز الصراط وقيل بعد جواز على الصراط».

(٢) في م: «يسأل عن الحوض المكرم به نبينا ﷺ هل هو في الموقف أم لا؟ فإن آمن به، فهو سني. وإن أنكره فهو بدعي».

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٠. وليس في الآية دليل على إثبات الحوض فهي ذكر حال أهل النار إذا دخلوها.

(٤) أخرجه أحمد في المسند من حديث ثوبان (٢١٨٦٢) ومن حديث ابن عمر (٦١٢٧) بإسناد صحيح والطيالسي (٩٩٥) من حديث ثوبان والحاكم (٧٣٤٧) وصححه من حديث ثوبان وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤٥٩) والطبراني في الأوسط (٣٩٨) والكبير (١٤٤٣) من حديث ثوبان وفي الكبير (٧٥٤٦) من حديث أبي أمامة.

(٥) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: وعمان» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن للنبي ﷺ حوضاً ترده أمته كما صحت الأحاديث بذلك، ماؤه أشدُ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبداً، وأنه يكون في عرصات يوم القيامة.

قال ابن حجر العسقلاني: «روى أحاديث الحوض عن النبي ﷺ من الصحابة ما ينيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين ما يزيد على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك»[١].

وقال الزبيدي في «لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواتر»: «رواه من الصحابة خمسون نفساً ثم ذكرهم..»[٢].

وقال السيوطي: «ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً، منهم الخلفاء الأربعة الراشدون وحفاظ الصحابة المكثرون ـ رضي الله عنهم ـ، ثم ذكر الأحاديث..»[٣].

منها: قوله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه

---

(١) الفتح (١١/٧٤٥).
(٢) لقط اللآلى المتناثرة (٢٥١).
(٣) البدور السافرة (١٦٤).

لا يظمأ أبداً»[١].

ومنها: ما روى مسلم في صحيحه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغفى إغفائه ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، وهو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، يختلج العبد منهم، فأقول: يارب! إنه من أمتي، فيقال: أما تدري ما أحدثوا بعدك»[٢].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة من إنكار الحوض في عرصات يوم القيامة، وافقه على هذه النسبة السفاريني في لوامع الأنوار فقال: «خالفت المعتزلة فلم تقل بإثبات الحوض مع ثوبته بالسنة الصحيحة الصريحة فكل من خالف في إثباته فهو مبتدع»[٣].

والإسفراييني في التبصرة فقال: «فأنكروا ـ المعتزلة ـ من مفاخر رسول الله ﷺ ما كان مختصاً به زائداً على الأنبياء كوجود المعراج، وثبوت الشفاعة له يوم القيامة ووجود حوض الكوثر»[٤].

ولم أجد في كتبهم التصريح بإنكاره أو إثباته.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض (٦٥٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات الحوض (٢٢٩٢) كلهم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية. (٤٠٠).
(٣) لوامع الأنوار (٢٠٢).
(٤) التبصرة في أصول الدين (٦٣) ط الخانجي ١٣٧٤هـ.

يسأل[(١)] عن سنن النبي ﷺ هل هو[(٢)] وحي من الله تعالى أم[(٣)] قاله[(٤)] من تلقاء نفسه؟؟

فإن قال: من الله فهو سني، وإن قال: غيره، فهو أشعري زنديق[(٥)].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ﴾[(٦)].

وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[(٧)].

وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[(٨)(٩)].

---

(١) في م: يسأل عن سنة الرسول ﷺ هل هي مخلوقة أو منزلوة [الأصح منزلة] غير مخلوقة؟ فإن قال: منزلة غير مخلوقة، فهو سني. وإن قال: مخلوقة فهو بدعي. وإن قال: لفظها مخلوق ومعناه قديم فهو أشعري».

(٢) هكذا في الأصل ولعل الصواب: «هي».

(٣) الصواب: لغة «أو».

(٤) هكذا في الأصل ولعل الصواب: (قالها).

(٥) نسبة الزندقة إلى الأشاعرة ليست من العدل فالزنادقة: اسم يطلق على المجوس في أول الأمر ثم بعد ذلك صار يطلق على من ادعى الإسلام ظاهراً وأبطن غيره، قال الإمام أحمد: الزنادقة الذين ينتحلون الإسلام وهم على غير ذلك.
انظر أحكام الملل (٢٠٤) الخلال، وفتح الباري (١٢/ ٢٧٠).

(٦) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

(٧) سورة الحشر، آية: ٧.

(٨) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٩) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: ... فقد أطاع الله» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن أقوال النبي ﷺ وأفعاله وحي من الله ـ تعالى ـ كما أخبر الله بذلك فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[١].

وقوله ﷺ: «ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك أن يقعد الرجل متكئاً على أريكته، يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمنا، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة (٤٦٠٤) والترمذي في كتاب العلم (٢٦٦٤) وابن ماجه في المقدمة (١٢) وأحمد (١٦٧٢٢) من حديث المقدام بن معدي كرب وإسناده صحيح.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٥.

ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾(٢).

وأهل العلم على أن الرد إلى الله في الآية هو إلى كتابه والرد إلى رسوله هو الرد إلى سنته ﷺ.

قال ابن حزم: «المراد بالرد المذكور في الآية: إنما هو إلى كلام الله ـ تعالى ـ وهو القرآن وإلى كلام نبيه ﷺ المنقول على مرور الدهر إلينا جيلاً بعد جيل»(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾(٥).

قال ابن القيم: «أخبر سبحانه: أنه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله، ومن تخير بعد ذلك، فقد ضل ضلالاً مبيناً»(٦).

---

(١) سورة النساء، آية: ٦١.
(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.
(٣) الإحكام (١/ ٩٧).
(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.
(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.
(٦) إعلام الموقعين (١/ ٥٧).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

وقد أجمع الصحابة ومن بعدهم من سلف هذه الأمة على العمل بسنة الرسول ﷺ، في وقائع كثيرة لا تحصى من غير خلاف بينهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقاً على وجوب اتباع الرسول، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله»[2].

ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة ليس بصواب فيما يوجد في كتبهم من الاستدلال بسنة الرسول ﷺ القولية والعملية.

قال الباقلاني: «ومما يدل على جواز الغفران لعصاة أهل الملة ما ورد من الأخبار الثابتة المتظاهرة في إثبات شفاعة الرسول ﷺ في أهل الكبائر..»[3].

وقال الجويني: «.. وقد تواترت الأخبار باستعاذة الرسول ﷺ بربه من عذاب القبر ونقل آحاد من الأخبار في ذلك تكلف، ثم لم يزل ذلك مستفيضاً في السلف الصالحين قبل ظهور أهل

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.
(٢) رفع الملام عن الأئمة الأعلام (٢٢).
(٣) التمهيد (٣٦٥) ط مكارثي.

البدع»(١).

فمن هذه النقول نعلم أن الأشاعرة يقولون بحجية السنة وأنها من الوحي.

وإنما فارق الأشاعرة السلف في أخبار الآحاد فقالوا إنها لا توجب العلم.

قال الجويني: «وكل خبر لم يبلغ مبلغ التواتر فلا يفيد علماً بنفسه إلا أن يقترن به ما يوجب تصديقه ـ مثل أن يوافق دليلاً عقلياً ـ أو تؤيده معجزة..»(٢).

فيرى الأشاعرة أنه يوجب العمل ولا يوجب العلم قال الجويني: «خبر الآحاد هو الذي يوجب العمل، ولا يوجب العلم لاحتمال الخطأ فيه»(٣).

وقال الباقلاني: «.. إن الفقهاء والمتكلمين قد تواضعوا على تسمية كل خبر قصر عن إيجاب العلم بأنه خبر واحد، وسواء عندهم رواه الواحد أو الجماعة التي تزيد على الواحد، وهذا الخبر لا يوجب العلم على ما وصفناه أولاً ولكن يوجب العمل»(٤).

ويترتب على قولهم بأن خبر الآحاد لا يفيد العلم بنفسه عدم قبول

---

(١) الإرشاد (٣٧٥) م الخانجي.
(٢) الإرشاد (٤١٦).
(٣) الورقات (١١) مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر.
(٤) التمهيد (٣٨٦) ط مكارثي.

الاحتجاج به في قضايا العقيدة، التي يزعمون أن أخبار الآحاد فيها تخالف العقل.

وعلى هذا الأصل الباطل قال الجويني:

«وأما الصفات التي يتمسكون بها فآحاد لا تفضي إلى العلم، ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغاً، لكنا نومىء إلى تأويل ما دوّن منها في الصحاح»[١].

* * *

---

(١) الإرشاد (١٦١).

يسأل: عن [أسماء الله ـ تعالى ـ هل هي][١][٢] قديمة[٣] أم محدثة؟

فإن قال: قديمة، فهو سني[٤].

وإن قال: محدثة، فهو معتزلي،[٥] وجهمي[٦].

وإن قال: أسماء الذات قديمة وأسماء الأفعال محدثة،[٧] فهو أشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[٨]، ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ

---

(١) ما بين قوسين شُطب من أصل المخطوطة، وأثبته، لأن المعنى لا يتم إلا به.
(٢) في م: «أسماء الباري جل جلاله».
(٣) في م: «هل هي قديمة».
(٤) «فإن قال: قديمة، فهو سني» ليست في م.
(٥) في م: «فهو بدعي».
(٦) «جهمي» ليست في م.
(٧) في الهامش: كتب «وأسماء الذات مثل الصمد.. وأسماء الأفعال مثل الخالق والرازق» وكتب «بن مندة» [يعني أن هذا مستفاد من كلام ابن مندة].
في المخطوطة م: كتب «كقوله أحد فرد صمد وغير ذلك وأسماء الأفعال كقولك خالق ورازق ومحي ومميت وما كان في معناه» تبصره [يعني أن هذا من كلام المؤلف في التبصرة].
(٨) سورة طه، آية: ٨.
(٩) سورة الحشر، آية: ٢٤.

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾[١].

والأسماء كلها قديمة وما[٢] فيها محدثة[٣].

* * *

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١١٠.
(٢) كتب في أصل المخطوطة «جحد» ولم أتبين معناها.
(٣) من قوله: «دليلنا... إلى قوله... محدثة» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف من أن أسماء الله تعالى قديمة، يعني بذلك أنها غير مخلوقة وأن الله لم يزل مسمى به في الأزل.

ووصفها بالقدم في باب المقابلة لمن قال: إنها لم يكن مسمى بها حتى خلقها فسمى بها نفسه، الذي يظهر لي أنه لا شيء فيه.

قال شيخ الإسلام: «إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك، فقيل في تحقيق الإثبات بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل ليس بشيء، فقيل بل هو شيء، فهذا سائغ»[١].

وقد أنكر السلفُ على من قال إن أسماء الله مخلوقة.

قال أبو داود السجستاني: «سمعت أحمد ذكر له رجل أن رجلاً قال: إن أسماء الله مخلوقة والقرآن مخلوق، قال: أحمد: كُفر بيِّن»[٢].

وقال الإمام الشافعي:

«من حلف باسم من أسماء الله فحنث، فعليه الكفارة، لأن اسم الله غير مخلوق»[٣].

---

(١) الفتاوى (٩/ ٣٠١).

(٢) عقائد السلف ص١٠٤ جمع النشار والطالبي.

(٣) مناقب الشافعي (١/ ٤٠٣ـ ٤٠٤) دار التراث ١٣٩١هـ.

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي: «أرأيتم قولكم: إن أسماء الله مخلوقة، فمن خلقها؟ أو كيف خلقها؟ أجعلها أجساماً وصوراً تشغل أعيانها أمكنة دونه من الأرض والسماء؟ أم موضعاً دونه من الهواء؟

فإن قلتم: لها أجسام دونه، فهذا مما تنقمه عقول العقلاء.

وإن قلتم: خلقها على ألسنة العباد، فدعوه بها، وأعاروه إياها، فهو ما ادعينا عليكم: أن الله كان بزعمكم مجهولاً لا اسم له حتى أحدث الخلق، وأحدثوا له اسماً من مخلوق كلامهم، فهذا هو الإلحاد بالله وأسمائه والتكذيب بها...»(١).

والرد على الجهمية الذين يقولون الأسماء مخلوقة جر إلى البحث في مسألة الاسم هل هو عين المسمى أو غيره؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود هنا أن المعروف عن أئمة السنة إنكارهم على من قال أسماء الله مخلوقة، وكان الذين يطلقون القول بأن الاسم غير المسمى هذا مرادهم...، ولم يعرف أيضاً عن أحد من السلف أنه قال الاسم هو المسمى، بل هذا قاله كثير من المنتسبين إلى السنة بعد الأئمة وأنكره أكثر أهل السنة عليهم.

ثم منهم من أمسك عن القول في هذه المسألة نفياً وإثباتاً، إذ كل

---

(١) رد الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد (١٠ ـ ١٢) دار الكتب العلمية. ت/ محمد الفقي.

من الإطلاقين بدعة كما ذكره الخلال عن إبراهيم الحربي وغيره، وكما ذكره أبو جعفر الطبري..»[١].

قال الإمام ابن جرير الطبري: «أما القول في الاسم أهو المسمى أم غير المسمى؟ فإنه من الحماقات الحادثة، التي لا أثر فيها فيتبع، ولا قول من إمام فيستمع، فالخوض فيه شين، والصمت عنه زين»[٢].

والتحقيق في هذه المسألة: ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وأما الذين يقولون: إن الاسم للمسمى كما يقوله أكثر أهل السنة فهؤلاء وافقوا الكتاب والسنة والمعقول قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٣].

وقال: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٤].

وقال النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً**»[٥].

وقال النبي ﷺ: «**إن لي أسماء: أنا محمد، وأحمد، والماحي، والعاقب، والحاشر**»[٦][٧].

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٧).
(٢) صريح السنة (٢٦) ت بدر المعتوق دار الخلفاء، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
(٣) سورة الأعراف، آية: ١٨٠.
(٤) سورة الإسراء، آية: ١١٠.
(٥) أخرجه البخاري باب ما يجوز من الاشتراط (٢٧٣٦) ومسلم في كتاب الذكر باب: في أسماء الله تعالى (٢٦٧٧).
(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب: في أسمائه (٢٣٥٤).
(٧) الفتاوى (٦/ ٢٠٧).

وهذا القول الذي قرره شيخ الإسلام يوافق منهج أهل السنةوالجماعة في عدم إطلاق الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة وتحمل معنيين حقاً وباطلاً، فإذا سأل سائل: الاسم هو المسمى أم غيره؟ أجابوا.

أولاً: أن هذه المسألة حادثة لم ترد في الكتاب والسنة، ولم ترد عن السلف الصالح.

ثانياً: أن هذا السؤال فيه إجمال، فلا يجاب بإطلاق، وإنما يفصل في ذلك ويقال: «الاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك، فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله: اسم عربي، والرحمن: اسم عربي، والرحمن من أسماء الله ـ تعالى ـ، ونحو ذلك، فالاسم هنا للمسمى، ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال، فإذا أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى»:[(١)].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة والجهمية من القول بأن الأسماء مخلوقة وافقه على هذه النسبة جمع من أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والجهمية يقولون كلامه مخلوق

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (١٣١) ومجموع الفتاوى (٦/ ٢٠٧).

وأسماؤه مخلوقة»[١].

قال الأشعري: «قال قائلون: أسماء الباري هي غيره وكذلك صفاته، وهذا قول المعتزلة والخوارج وكثير من المرجئة وكثير من الزيدية»[٢].

وقال القاضي أبو يعلى: «.. خلافاً للمعتزلة في قولهم أسماء الله تعالى غيره وهي مخلوقة»[٣].

وقال ابن القيم: «... وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون غيره وهي مخلوقة»[٤].

ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة اختلفت أقوال الأشاعرة فيه على قولين:

الأول قال به أبو الحسن الأشعري والجويني.

قال الجويني: «قسم شيخنا ـ رضي الله عنه ـ، أسماء الرب ـ سبحانه وتعالى ـ ثلاثة أقسام.

وقال من أسمائه ما نقول: إنه هو هو، وهو كل ما دلت التسمية به على وجوده، ومن أسمائه ما نقول إنه غيره، وهو كل ما دلت التسمية به على فعل كالخالق والرازق، ومن أسمائه مالا يقال إنه هو ولا يقال

---

(١) الفتاوى (٦/ ١٨٦).
(٢) المقالات (١/ ٢٥٣).
(٣) المعتمد (٧٠).
(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٤).

إنه غيره، وهو كل ما دلت التسمية به على صفة قديمة كالعالم والقادر.

وذكر بعض أئمتنا أن كل اسم هو المسمى بعينه، وصار إلى أن الرب ـ سبحانه وتعالى ـ إذا سمي خالقاً فالخالق هو الاسم، وهو الرب ـ تعالى ـ، وليس الخالق اسماً للخلق، ولا الخلق اسماً للخالق، وطرد ذلك في جميع الأقسام، والمرتضى عندنا طريقة شيخنا»[١].

الثاني: قال به الباقلاني وابن فورك أن الاسم هو المسمى بذاته وعينه.

قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن الاسم هو المسمى بعينه وذاته، والتسمية الدالة عليه تسمى اسماً على سبيل المجاز»[٢].

وقال: «قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين أسماً من أحصاها دخل الجنة**»[٣] فالعدد في ذلك راجع إلى التسميات التي هي عبارات الاسم»[٤].

قال ابن فورك: «والذي هو الحق عندنا قول من قال: اسم الشيء هو عينه وذاته، واسم الله هو الله، وتقدير قول القائل: بسم الله أفعل، أي بالله أفعل وأن اسم هو هو»[٥].

---

(١) الإرشاد (١٤٣ـ ١٤٤) م الخانجي.
(٢) الإنصاف (٦٠).
(٣) تقدم تخريجه ٣٣٠.
(٤) الإنصاف (٦١).
(٥) انظر: مجموع الفتاوى شيخ الإسلام (٦/ ١٩٠)، ولم أجد كلامه في كتبه المطبوعة.

وأنت ترى من هذه النقول أن منهم من يفرق بين أسماء الذات فيقول الاسم هو المسمى، وأسماء الفعل فيقول الاسم غير المسمى، إلا أني لم أر منهم التصريح بأن أسماء الأفعال مخلوقة إلا البغدادي في كتابه أصول الدين، فقد قال كلاماً يفهم منه أن أسماء الفعل مخلوقة.

فقال «وجملة أسمائه قسمان مشتق وغير مشتق، فالمشتق منها نوعان: أحدهما مشتق من صفة له قائمة بذاته، وهذا النوع منه اسم له أزلي كالقادر والعالم والحي والسميع والبصير والمريد والمتكلم، والثاني مشتق له من فعله كالخالق والرازق والمنعم ونحو ذلك، والثاني مشتق له من فعل غيره كمعبود ومشكور ونحو ذلك، وكل ما كان مشتقاً من فعل فليس من أسمائه الأزلية»[1].

* * *

---

(١) أصول الدين (١١٧ـ ١١٨) ط التركية ١٣٤٦هـ.

يسأل: عن المبتدعة هل هم كفار أم[١] فساق؟

فإن قال: كفار، فهو سني.

وإن قال: فساق، فهو أشعري، وبدعي، ومن شك أيضاً في كفرهم فهو أيضاً كافر[٢].

دليلنا: ما روى أبو سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لعن أربعة على لسان سبعين نبياً قلنا: من هم يارسول الله؟ قال: القدرية والمرجئة والجهمية والرافضة»**[٣][٤][٥].

---

(١) في م: «أو».

(٢) «من شك في كفرهم فهو أيضاً كافر» ليست في م.

(٣) كتب في الهامش: «قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ قال.. هم أهل البدع. «معالم» قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال ابن عباس هو تبييض وجوه أهل السنة وتسويد وجه أهل البدع. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ قال بعضهم المبتدعة من هذه الأمة.
وقال أبو أمامة وعبدالله بن شداد هم الحرورية، كتب في الهامش: والجهمي منسوب إلي جهم بن صفوان، لعنه الله.؟!
وقال أبو أمامة: كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم، وقراء ﴿... أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ...﴾ كتب في الهامش: معالم التنزيل للبغوي. [انظر: معالم التنزيل (١/ ٣٣٩) ط دار المعرفة].

(٤) قال رسول الله ﷺ: كل الناس ناجون يوم القيامة غير آمن من سب أصحابي وأهل الموقف يلعنونه وقال ﷺ النجاة الصلاة على الميت فرض على الكفاية. الرد على المبتدعة من كتاب. [هكذا في المخطوطة].

(٥) أخرجه الطبراني (٢٣٢) (٢٠/ ١١٧) في المعجم الكبير وفي مسند الشاميين رقم (٤٠٠) (١/ ٢٢٤) والخطيب في الموضح (٢/ ٦) وابن أبي عاصم في السنة (٣٢٥) والبيهقي في الاعتقاد (٢٣٧) كلهم من حديث معاذ قال الهيثمي في المجموع (٧/ ٢٠٤) فيه بقية بن الوليد وهو لين ويزيد بن الحصين لا أعرفه).

=

وقال ﷺ: «القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة»[١].

وقال: «ستفترق أمتي بعدي على ثلاث وسبعين، فرقة منها ناجية، والباقون في النار لا يخرجون أبداً»[٢].

= وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه الآجري في الشريعة (١٤٨) والبيهقي في الاعتقاد وهو ضعيف، وليس في طرقه ذكر للجهمية والرافضة».

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩١) وأحمد (٦٠٧٧) (٢٣٥٠٣) والحاكم (٢٨٦) والبيهقي في السنن (٢٠٦٥٨) كلهم من حديث عبدالله بن عمر، وأخرجه البيهقي في السنن (٢٠٦٥٩) من حديث حذيفة بن اليمان والطبراني في مسند الشاميين (٥٦٦) من حديث أبي هريرة وليس في طرقه ذكر للمرجئة؟ قال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٧/ ٥٨) «إسناده منقطع أبو حازم سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر وقد روي هذا الحديث من طرق عن ابن عمر ليس فيها شيء يثبت».

(٢) حديث الافتراق روي من طرق عدة فقد أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٢٨) وابن بطة في الإبانة (٢٦٤) والحاكم (١/ ٢٩) والتيمي في الحجة (١/ ١٠٦) واللالكائي في شرح السنة (١٤٦، ١٤٧) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص وأخرجه أبو داود (٤٥٩٧) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥٤٢) والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٧٦) وفي مسند الشاميين (١٠٠٥) والحاكم (١/ ١٢٨) من حديث معاوية.

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) (١٢٠٧٠) والخطيب في شرف أصحاب حديث (٤١) ص٢٤ من حديث أنس وأخرجه أبوداود (٤٥٩٦) وابن ماجه (٣٩٩١) وأحمد (٢٧٥١٠) من حديث أبي هريرة.

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢) وابن أبي عاصم في السنة (٦٣) وابن بطة في الإبانة (٢٧٢) من حديث عوف بن مالك.

وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٥٤) وأبونعيم في أخبار أصفهان (١/ ٢٨٦) وأبو عمر الداني في الفتن (٢٨٥) من حديث أبي أمامة.

وأخرجه الدورقي في مسند سعد بن أبي وقاص (٨٦) وعبدبن حميد في المنتخب (١٤٨)، والبزار (١١٩٩) من حديث سعد بن أبي وقاص.

قال شيخ الإسلام في الفتاوى (٣/ ٣٤٥) حديث صحيح مشهور مستفيض.

أما زيادة «الباقون في النار لا يخرجون أبد» فلم أجدها ولا شك أنها زيادة منكرة تعارض قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ وما =

والدليل على تكفيرهم أكثر من أن يحصى؛ لأنهم ردوا آيات الله، وردوا أخبار الرسول ﷺ، وخرجوا عن الجماعة لعنهم الله[١].

* * *

= عليه إجماع أهل السنة أن أهل التوحيد لا يخلدون في النار.

(١) من قوله: «دليلنا...: إلى قوله.. لعنهم الله» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

أطلق المؤلف ـ رحمه الله ـ التكفير على المبتدعة وهذا يخالف ما عليه معتقد أهل السنة والجماعة: أنه لا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله أو بخطأ أخطأ فيه، والبدع داخل تحت هذا الأصل ما دامت هذه البدع لم تصل إلى حد الكفر.

فلا بد من التفصيل فلا يطلق التكفير على المبتدعة بل يقال: إن من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، وأقيمت عليه الحجة، ووضحت له المحجة، فهو كافر وإلا فلا يطلق عليه حكم الكفر.

قال شارح الطحاوية: «إن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول ﷺ أوْ إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها فهو كافر... وأما الشخص المعين، إذا قيل هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمأثور عن السلف والأئمة إطلاق أقوال بتكفير «الجهمية المحضة» الذين ينكرون الصفات، وحقيقة قولهم: أن الله لا يتكلم ولا يرى ولا يباين الخلق، ولا له علم ولا قدرة، ولا سمع ولا بصر ولا حياة، بل القرآن مخلوق، وأهل الجنة لا

---

(١) شرح الطحاوية (٣٥٧).

يرونه كما لا يراه أهل النار، وأمثال هذه المقالات.

وأما الخوارج والروافض ففي تكفيرهم نزاع وتردد عن أحمد وغيره.

وأما القدرية الذين ينفون الكتابة والعلم فكفروهم، ولم يكفروا من أثبت العلم ولم يثبت خلق الأفعال.

وفصل الخطاب بذكر أصلين:

أحدهما: أن يعلم أن الكافر في نفس الأمر من أهل الصلاة لا يكون إلا منافقاً فإن الله منذ بَعَثَ محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن وهاجر إلى المدينة صار الناس ثلاثة أصناف: مؤمن به، وكافر به مظهر الكفر، ومنافق مستحق بالكفر، ولهذا ذكر الله هذه الأصناف في أول سورة البقرة...

وإذا كان كذلك فأهل البدع فيهم المنافق والزنديق فهذا كافر...

ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطن وظاهر، لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة، فهذا ليس بكافر ولا منافق، ثم قد لا يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقاً أو عاصياً، وقد يكون مخطئاً متأولاً مغفوراً له خطؤه، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، فهذا أحد الأصلين.

والأصل الثاني: أن المقالة تكون كفراً: كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتحليل الزنا والخمر والميسر ونكاح ذوات

المحارم، ثم القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب وكذا لا يكفر به جاحده، كمن هو حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام، فهذا لا يحكم بكفره بجحد شيء مما أنزل على الرسول إذا لم يعلم أنه أنزله على الرسول، ومقالات الجهمية هي من هذا النوع، فإنهاجحد لما هو للرب ـ تعالى ـ ولما أنزل الله على رسوله»[١].

أما قول المؤلف ومن شك في كفرهم فهوكافر فيقال: من لم يكفر الكافر المعلوم كفره بنصوص الشرع من اليهود والنصارى والمشركين، فهو كافر ولذا عدَّ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب عدم تكفير الكافر من نواقض الإسلام فقال: «إعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض... الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كَفَر»[٢].

أما المبتدعة فلا يقال أن من لم يكفرهم فهو كافر، لأن غلاة أهل البدع من الخوارج والروافض ذكر شيخ الإسلام أنّ في تكفيرهم نزاعاً كما تقدم.

وعليه فلا يطلق أن من لم يكفرهم أو شك في كفرهم أنه كافر، بل يقال من أنكر منهم معلوماً من الدين بالضرورة وانتفت عنه موانع التكفير من الجهل والتأويل وعدم قيام الحجة إليه فإنه يكفر ولهذا

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٢، ٣٥٤).
(٢) مجموعة التوحيد (٢٧١).

فالإمام أحمد ـ رحمه الله ـ مع أنه يقول: «من قال القرآن مخلوق فهو كافر»، وكان الخليفة المعتصم وغيره ممن ضربه وحبسه وامتحن الناس بهذا القول، لم يكفره الإمام أحمد بل استغفر له وحلله، ولو كان مرتداً لم يجز الاستغفار له.

وعلى هذا فيقال: إن إنكار ما جاء به الرسول ﷺ كفر على الإطلاق فنفي الصفات كفر، والتكذيب بأن الله يرى في الآخرة وأن القرآن كلامه كفر، فالتكفير العام كالوعيد العام يجب القول بإطلاقه وعمومه.

وأما الحكم على المعين بأنه كافر، أو مشهود له بالنار، فهذا يقف على الدليل المعين فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله فوق العرش لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم، كنت كافراً، لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون، لأنكم جهال»[٢].

---

(١) الفتاوى (١٢/٥٠١).
(٢) الرد على البكري (٢٥٩).

ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة قال به بعضهم كما حكى ذلك عنهم القاضي أبو يعلى: «... خلافاً لعبيد الله بن الحسن العنبري في قوله: لا يكفر أحد من المتأولين، وقال: كل مجتهد مصيب، وخلافاً لبعض الأشعرية في قولهم: كل من اعتقد مذهباً يؤدي به إلى عدم العلم بالله ـ تعالى ـ ولا يلتزم الكفر ليس بكافر بل هو فاسق»[١].

ولم أجد لهم حسب مطالعتي لكتبهم الموجودة بين يدي التصريح بأن الخوارج والرافضة والجهمية والمرجئة فساق إلا كلاماً للبغدادي فيه تفصيل في الحكم عليهم فقد قال: «... وإن كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أو الخوارج أو الرافضة الإمامية، أو الزيدية، أو من بدع النجارية، أو الجهمية أو الضرارية أو المجسمة فهو من الأمة في بعض الأحكام وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين، وفي أن لا يمنع حظه من الفيء والغنيمة إن غزا مع المسلمين، وفي أن لا يمنع من الصلاة في المساجد، وليس من الأمة في أحكام سواها، وذلك أن لا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه، ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سُنية، ولا يحل للسني أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم»[٢].

* * *

(١) المعتمد (٦٧).
(٢) الفرق بين الفرق (١٤).

يسأل: عن الموت هل يؤتى به ويُذبح أم[١] لا؟

فإن قال: يذبح بين الجنة والنار، فهو سني.

وإن أنكره فهو سالمي طاغ[٢].

دليلنا: قوله ﷺ: «إذا أستقر أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يؤتى بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بينهما، فينادي مناد من قبل الله، يا أهل الجنة فيجيبون جميعاً، فيقال لهم أتعرفون هذا، هذا هو الموت، يا أهل النار فيجيبون جميعاً، فيقال لهم أتعرفون هذا، هذا هو الموت، فيذبح بين الجنة والنار، ثم نودي يا أهل الجنة أبشروا بخلود لا موت، ويا أهل النار فويل لكم خلود بلا موت، فلا يكون على أهل الجنة كلام أحب إليهم، ولا على أهل النار كلام أغلظ عليهم من هذا النداء، لأنهم أيسوا من رحمة الله ومن الخروج والموت لقوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾[٣][٤][٥].

---

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) في م: يسأل عن قوله ﷺ: سيؤتي بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، وينادي مناد من قبل الله عز وجل يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت» فإن آمن بذلك، فهو سني، وإن أنكر ذلك فهو بدعي.

(٣) سورة الأعلى، آية: ١٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ (٤٧٣٠) مسلم في كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون (٢٨٤٩) والترمذي في كتاب صفة الجنة (٢٥٥٨) وأحمد (١٠٦٨٢) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.

(٥) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله:.. ولا يحيى» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الموت يذبح بين الجنة والنار كما جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك قال ابن القيم: «وهذا الكبش، والإضجاع، والذبح، ومعاينة الفريقين، ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً، وقال: الموت عرض، والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح، وهذا لا يصح، فإن الله سبحانه ينشىء من الموت صورة كبش يذبح، كما ينشىء من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب، والله تعالى ينشىء من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها، وينشىء من الأجسام أعراضاً، ومن الأجسام أجساماً فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تبارك وتعالى، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال، ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول من كلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث دل على أن نفس العرض يذبح، وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول، ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه، وأن الله سبحانه ينشىء من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها كما في الصحيح عنه ﷺ «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان. .».

. . فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص، فورود النص به من باب

تطابق السمع والعقل»[١].

ما نسبه المؤلف إلى السالمية من إنكار هذا الحديث لم أجد من وافقه على نسبة هذا المذهب لهم.

* * *

(١) حادي الأرواح (٢٨٨ـ٢٩٠) ط الثانية ١٣٥٧هـ تصحيح محمود حسن ربيع ـ مكتبة الأزهر مصر.

يسأل: عن كرامات الأولياء وعن معجزات الأنبياء[١]؟

فإن أقرَّ بها، فهو سني.

وإن أنكر ذلك، فهو مبتدع[٢] ضال[٣].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[٤] وقوله لأصحاب الكهف: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾[٦].

وعصى لموسى، وإحياء الموتى لعيسى وأشياء يطول الكتاب بذكرها والدلائل أكثر من أن تحصى[٧].

* * *

(١) في م: «يسأل عن كرامات الصالحين والأولياء؟».
(٢) في م: «بدعي».
(٣) «ضال» ليست في م.
(٤) سورة النحل، آية: ٩٧.
(٥) سورة الكهف، آية: ١٣.
(٦) سورة القمر آية: ١.
(٧) من قوله: «دليلنا... إلى قوله:.. من أن تحصى» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

يؤمن أهل السنة والجماعة بمعجزات الأنبياء: فاسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة في عرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها: الآيات، لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما: فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة: للولي(١).

فالمعجزات علامات من الله ـ تبارك وتعالى ـ يعلم بها عباده أنه أرسل إليهم هذا الرسول المؤيد بتلك المعجزات وأمرهم بطاعته، ومن لوازمها أن تكون خارقة لعادة جميع الثقلين الإنس والجن، ولا يستطيع أحد أن يعارضها إلا أن يأتي بمثلها(٢).

والمعجزة وإن كانت دليلاً صحيحاً على إثبات النبوة، لكن الدليل غير محصور فيها، إذ المقصود معرفة صدق مدعي النبوة أو كذبه، فمن قال: إني رسول، فهذا خبر: إما أن يكون مطابقاً للمخبر به وإما أن يكون مخالفاً له.

والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثير فيما هو دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟(٣).

استدل المؤلف على وقوع المعجزات للأنبياء.

---

(١) انظر: مجموع الرسائل والمسائل (٥/ ٢) لابن تيمية.
(٢) انظر: النبوات (١٠٦ـ ١٠٧) ط المنيرية.
(٣) انظر شرح الأصفهانية (٨٨ـ ٨٩) وشرح الطحاوية (١٥٨).

بقوله تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾[١].

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال لنا النبي ﷺ: «**اشهدوا**»[٢].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «**أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين**»[٣].

أما عصى موسى فقد جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ۝٢١ ﴾[٤].

قال تعالى: ﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ۝١٠٧ ﴾[٥].

وقال: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ۝٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ۝٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ۝٦٩ ﴾[٦].

---

(١) سورة القمر، آية: ١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية (٣٦٣٦).

(٣) أخرجه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب انشقاق القمر (٢٨٠٢).

(٤) سورة طه، الآيات: ١٧، ٢١.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٠٧.

(٦) سورة طه، الآيات: ٦٥، ٦٩.

أما إحياء الموتى فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾[١].

وقد خالف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة المعتزلة والأشاعرة.

فقالت المعتزلة: المعجزة تكون من فعل الله تعالى، ويحدث عند ادعاء النبي النبوة، وتكون خارقة للعادة، فيعلم أنه تعالى فعله على سبيل التصديق للنبي فيما ادعاه من النبوة[٢].

وقد اشترطوا له شروطاً: فقال القاضي عبد الجبار «واعلم أن من حق المعجز أن يكون واقعاً من الله تعالى حقيقة وتقديراً، وأن يكون ما تنتقض به العادة المختصة بمن أظهر المعجز فيه، وأن يتعذر على العباد فعل مثله في جنسه أو صفته، وأن يكون مختصاً بمن يدعي النبوة على طريقة التصديق له، فما اختص بهذه الصفات وصفناه بأنه معجز من جهة الإصطلاح»[٣].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٤٩.

(٢) انظر المختصر في أصول الدين (١/ ٢٦٥) القاضي عبدالجبار رسائل العدل والتوحيد.

(٣) المغني (١٥/ ١٩٩) ط/ الدار المصرية.

فالمعتزلة جعلوا الخوارق خاصة بالأنبياء، وهذا الذي دعاهم إلى إنكار كرامات الأولياء وخوارق السحرة والكهان.

قال شيخ الإسلام: «وهؤلاء كذبوا بما تواتر من الخوارق لغير الأنبياء، والمنازع لهم يقول: هي موجودة مشهودة لمن شهدها متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء، وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء فكيف يكذبون بما شهدوه، ويصدقون بما غاب عنهم، ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره»[١].

وقد صح في كتاب الله ذكر خوارق العادات لغير الأنبياء فهذه مريم تجد فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[٢].

وأما الأشاعرة فقالوا:

المعجزات: هي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المستمرة المقرونة بدعوى النبوة التي يتحدى ويعجز عن الإتيان بأمثالها[٣].

وهذا التعريف منتقض، ولا يصلح حداً مطابقاً للمعجزة؛ فإن من

(١) النبوات (٢) ط/ المنيرية.
(٢) سورة آل عمران: آية: ٣٧.
(٣) انظر لمع الأدلة للجويني (١٢٤)، والإنصاف للباقلاني (١٦).

ادعى النبوة كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي وغيرهم أتوا بخوارق للعادات ولم يعارضهم أحد، فهل يسمى ما أتوا به معجزات وآيات.

ثم إن من آيات الأنبياء ما كان قبل مولدهم، وما كان قبل بعثتهم وما يكون بعد وفاتهم كأشراط الساعة.

وكذلك آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النبي بها ولا تحديه بالإتيان بمثلها بل هي دليل على نبوته وإن خلت من هذين القيدين، فنبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ وتكثير الطعام، إنما ظهرت لحاجة المسلمين في ذلك الوقت[١].

كرامات الأولياء:

إعتقاد أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة ـ وهي موجود فيها إلى يوم القيامة[٢].

قال شيخ الإسلام: «فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم، ولكن قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم، وكرامات الصالحين تدل على صحة

---

(١) انظر النبوات (١٠٦).

(٢) العقيدة الواسطية بشرح ابن فوزان (٢٠٧).

الذي جاء به الرسول لا تدل على أن الولي معصوم ولا على أنه يجب طاعته»[١].

وقد استدل المؤلف ـ رحمه الله ـ على وقوع الكرامات بقوله تعالى: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ ووجه الاستدلال: أن من أعظم الكرامات الحياة الطيبة في الدنيا.

وبقصة أصحاب الكهف وقد جاءت في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾[٢].

وقد أنكر المعتزلة كرامات الأولياء لأن خوارق العادات لا تظهر إلا على يد الأنبياء[٣].

قال شيخ الإسلام: «والمعتزلة ظنوا أن مجرد كون العقل خارقاً للعادة هو الآية على صدق الرسول، فلا يجوز ظهور خارق إلا طرد هذا فأنكروا أن للسحر تأثيراً خارجاً عن العادة، وأنكروا الكهانة وأن تكون الجن تخبر ببعض المغيبات، وأنكروا كرامات الأولياء»[٤].

---

(١) النبوات (٤) (٥).
(٢) سورة الكهف، الآيات: ٩ـ ١٢.
(٣) انظر المغني (١٥/ ٢٤١).
(٤) النبوات (١٠٢).

ولا شك في بطلان مذهبهم هذا فقد صحت النصوص بوقوع الكرامات وتواتر وقوعها للصالحين من عباده.

أما الأشاعرة فيوافقون أهل السنة والجماعة في الاعتقاد بوقوع كرامات الأولياء إلا أنهم يقولون: إن الكرامة وخوارق السحرة من جنس واحد[١].

ولهذا قال شيخ الإسلام في بيان هذا القول وإبطاله: فأتى هؤلاء ـ يعني الأشاعرة ـ فأثبتوا ما أثبته الفقهاء وأهل الحديث من السحر والكهانة والكرامات، لكن قيل لهم فميزوا بين هذ وبين المعجزات فقالوا لا فرق في نفس الجنس، وليس في جنس مقدورات الرب ما يختص بالأنبياء، لكن جنس خرق العادة واحد»[٢].

وقال في موضع آخر: «والمقصود هنا الكلامُ على الفَرْق بين آيات الأنبياء وغيرهم، وأن من قال: إن آيات الأنبياء والسحر والكهانة والكرامات وغير ذلك من جنس واحد فقد غلط»[٣].

* * *

(١) انظر حاشية الأمير على شرح الجوهرة (١٥٤) وانظر أصول الدين (١٧٠ـ ١٧٥) عبدالقاهر البغدادي.
(٢) النبوات (١٠٢).
(٣) النبوات (٢٧٥).

يسأل: عن[١] هل يجوز أن يقول لله يا قديم الإحسان؟

فإن قال: بلى[٢] يجوز، فهو سني.

وإن أنكره[٣]، فهو أشعري وبدعي.

دليلنا: قوله تعالى في الذرِّ إذ نادى الأرواح حيث قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[٤]، وقوله: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾[٥].

والهداية والإيمان رأس كل نعمة وغاية كل نعمة[٦].

* * *

---

(١) هذه الكلمة ليست مناسبة في هذا الموضع ولا يقتضيها سياق الكلام. وفي م: «عن» وصححت فكتب: «عنهم» وأعلاها صح. يعني بعد التصحيح.

(٢) «بلى» ليست في م.

(٣) في م: «وإن قال: لا يجوز».

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٧٢.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٨٤. الصواب ما أثبته فقد كتب آية: ﴿وكلا هدينا من قبل﴾ وهذا غلط.

(٦) من قوله: «دليلنا.. حتى قوله: كل نعمة» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

وصف الله تعالى بأنه قديم الإحسان لا شيء في ذلك، فقد جاء في النصوص أن من أسمائه تعالى «المحسن».

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حكمتم فاعدلوا، وإذ قلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب الإحسان**»[1].

وعن شداد بن أوس قال حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين أنه قال: «**إن الله ـ عز وجل ـ محسن يحب الإحسان، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، ثم ليرح ذبيحته**»[2].

فالمحسن يتضمن إثبات المحسن اسماً لله تعالى، وإثبات الإحسان صفة له وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو أن الله أحسن خلق كل شيء وأنه قديم الإحسان على خلقه قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾[3][4].

قال القاضي أبويعلى: «ويجوز وصفه بأنه قديم الإحسان وقد ذكر

---

(١) ابن أبي عاصم في الديات (٥٦) وابن عدي في الكامل (٦/ ٢١٤٥) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٢١٣) وذكره الألباني ـ رحمه الله ـ في الصحيحة (٤٧٠).

(٢) خرجه عبدالرازق في المصنف (٨٦٠٣) والطبراني في الكبير (٧/ ٧١٢١).

(٣) سورة الإنسان، آية: ١.

(٤) انظر: القواعد المثلى (١٠) لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين ـ رحمه الله ـ.

أبو إسحاق هذا ونص عليه في أثناء مسألة عملها، ذكر فيها أنه موصوف بالخلق والرزق في القدم، فهذا مبني على ذلك الأصل وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾[1] فوصف إحسانه إليهم بالسبق في القدم فدل على قدمه... ولأن هذا مستفيض على ألسنة المسلمين في دعائهم عصراً بعد عصر، ولا يجوز أن يجمعوا على منكر»[2].

أما ما استدل به المؤلف وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾[3].

لعل وجه الدلالة: أن الله تعالى أحسن في القدم إلى الخلق حينما أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنه هو ربهم سبحانه، وأخذ عليهم هذا الميثاق حتى تقوم عليهم الحجة وهذا من إحسانه القديم والله أعلم.

أما قوله: ﴿كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ﴾[4] فلا يظهر لي وجه استدلاله بها والمعنى في الآية كما قال ابن جرير: نوحاً هدينا من قبل؛ أي هديناه لمثل الذي هدينا إليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب من

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠١.

(٢) المعتمد (٦٨).

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٧٢.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٨٤.

الحق والصواب فوفقناه له نوحاً من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب[١].

أما ما نسبه إلى الأشاعرة فلم أقف على كلام للأشاعرة في منع وصف الله بأنه قديم الإحسان.

* * *

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (٥/ ٢٦٠) ط دار الفكر.

يسأل[١] عن المسح على الخفين؟

فإن قال: يجوز[٢]، فهو سني.

وإن أنكر ذلك[٣]، فهو رافضي.

دليلنا: ما روى المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ مسح على الخفين فقلت: «**يارسول الله أنسيت؟ فقال: بل أنت نسيت هذا أمر ربي**»[٤][٥].

* * *

(١) بحث هذه المسألة مع التي تليها في دراسة واحدة انظر ص ٣٣١.

(٢) في م: «فإن أجازه».

(٣) في م: «وإن أنكره».

(٤) أخرجه أبوداود (١٥٦) وأحمد في المسند (١٨٢٤٥) والحاكم في المستدرك (٦٠٦) والطبراني في الكبير (٨٧٢) (١٠٠١) (١٠٠٢) قال الحاكم: «قد اتفق الشيخان على إخراج طرق حديث المغيرة بن شعبة في المسح ولم يخرجا قوله ﷺ بهذا أمرني ربي وإسناده صحيح» انظر المستدرك (١/٢٧٦).

(٥) من قوله: دليلنا... إلى قوله: أمر ربي» ليست في م.

يسأل: عن المسح على القدمين هل يقوم مقام الغَسلِ أم[١] لا؟

فإن قال: لا، فهو سني[٢].

وإن قال: غيره، فهو رافضي[٣].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[٤] أي مع الكعبين[٥].

* * *

---

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) في م: «وإن فإن قال: يقوم مقامه، فهو رافضي».

(٣) في م: «وإن قال: لا يقوم مقامه، فهو سني».

(٤) سورة المائدة، آية: ٦.

(٥) من قوله: «دليلنا إلي قوله: مع الكعبين» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين، وقد اشتهر جواز المسح على الخفين عند أهل السنة والجماعة حتى عُد شعاراً لأهل السنة، وعُدّ إنكاره شعاراً لأهل البدع، وأوردوا هذه المسألة الفقهية في كتب العقائد كما فعل المصنف والطحاوي في عقيدته وغيرهم من العلماء.

قال الإمام إسحاق بن راهوية: «مضت السنة من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من التابعين في المسح على الجوربين، لا اختلاف بينهم في ذلك»[1].

قال ألحافظ ابن حجر: «وقد صرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر، وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين ومنهم العشرة»[2].

قال ابن القيم: «صح عنه ﷺ أنه مسح في الحضر والسفر، ولم ينسخ ذلك حتى توفي»[3].

قال النووي: «أجمع من يعتد به في الإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر، سواء كان لحاجة أو لغيرها، حتى

---

(١) انظر: المحلى (٢/ ١١٨) لابن حزم.
(٢) فتح الباري (١/ ٣٦٦) ط/ دارالريان.
(٣) زاد المعاد (١/ ٥٠).

يجوز للمرأة الملازمة بيتها والزمن الذي لا يمشي، وإنما أنكرته الشيعة والخوارج ولا يعتد بخلافهم»(١).

ومن تلك النصوص التي تدل على جواز المسح على الخفين.

ما روى البخاري عن المغيرة بن شعبة قال: «ذهب النبي ﷺ لبعض حاجته فقمت أسكب عليه الماء ـ قال عروة بن المغيرة ـ لا أعلمه إلا قال: في غزوة تبوك ـ فغسل وجهه، وذهب يغسل ذراعيه، فضاق عليه كُمَّا الجبة، فأخرجهما من تحت جبته فغسلهما، ثم مسح على الخفين»(٢).

قال الإمام ابن نصر المروزي: «وقد أنكرت طوائف من أهل الأهواء والبدع من الخوارج والروافض المسح على الخفين، وزعموا أن ذلك خلاف لكتاب الله، ومن أنكر ذلك لزمه إنكار جميع ما ذكرنا من السنن وغير ذلك ما لم نذكر، وهذا خروج من جماعة أهل الإسلام»(٣).

وعن همام بن الحارث قال: «رأيت جرير بن عبدالله بال، ثم توضأ ومسح على خفيه ثم قام فصلى، فسئل فقال: رأيت النبي ﷺ صنع مثل هذا فكان يعجبهم لأن جريراً كان آخر من أسلم»(٤).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ١٦٤) ط دار الريان.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب نزول النبي ﷺ الحجر ح (٤٤٢١).
(٣) السنة (١٠٦) دار الثقافة الإسلامية.
(٤) أخرجه البخاري كتاب أبواب الصلاة في الثياب باب الصلاة في الخفاف ح (٣٨٧) ومسلم كتاب الطهارة باب المسح على الخفين ح (٢٧٢).

وعن عمرو بن أمية الضمري، قال: «رأيت رسول الله ﷺ يمسح على عمامته وخفيه»[١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾[٢].

استدل بهذه الآية الرافضة بقراءة الجر على أن فرض الرجل هو المسح عليها قال ابن المطهر الحلي: «كمسح الرجلين الذي نص الله تعالى عليه في كتابه العزيز فقال: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾[٣].

وقال ابن عباس: «عضوان مغسولان، وعضوان ممسوحان فغيروه وأوجبوا الغسل»[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذه الآية فيها قراءتان مشهورتان: الخفض والنصب فالذين قرؤوا بالنصب، قال غير واحد منهم: أعاد الأمر إلى الغسل، أي: وامسحوا برؤوسكم، واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، والقراءتان كالآيتين، ومن قال: إنه عطف على محل الجار والمجرور، يكون المعنى، وامسحوا برؤوسكم، وامسحوا أرجلكم

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الوضوء، باب: المسح على الخفين، ح (٢٠٥).

(٢) سورة المائدة، آية: ٦.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦.

(٤) نقلاً عن منهاج السنة النبوية (٣/ ١٧٠).

إلى الكعبين، وقولهم: مسحت الرجل، ليس مرادفاً لقوله: مسحت بالرجل، فإنه إذا عُدِّي بالباء أريد به معنى الإلصاق، أي ألصقت به شيئاً وإذا قيل: مسحته لم يقتض ذلك أن يكون ألصقت به شيئاً، وإنما يقتضي مجرد المسح، وهو لم يرد مجرد المسح باليد بالإجماع، فتعين أنه إذا مسحه بالماء، وهو مجمل، فسرته السنة كما في قراءة الجر.

وفي الجملة فالقرآن ليس فيه نفي إيجاب الغسل، بل فيه إيجاب المسح، فلو قدِّر أن السنة أوجبت قدراً زائداً على ما أوجبه القرآن لم يكن في هذا رفع لموجب القرآن، فكيف إذا فسرته وبينت معناه؟»(١).

وقد بينت فيما سبق أن ما نسبه المؤلف إلى الرافضة من إنكار سنة المسح على الخفين والقول بأن فرض الرجل هو الغسل صواب.

* * *

---

(١) منهاج السنة (٣/ ١٧٦).

يسأل: عن خلافة الصحابة[١] هل ثبتت بقول[٢] الرسول ﷺ أم[٣] لا؟

فإن قال: ثبتت بنص النبي ﷺ[٤]، ـ أي بنص خفي ـ[٥]، فهو سني.

وإن أنكره[٦]، فهو رافضي[٧] ملعون على لسانِ سبعينَ نبياً[٨].

دليلنا: قوله عليه السلام: «**الخلافة من بعدي ثلاثون سنة حقاً وعدلاً، ثم من بعدي خَلْفُ ومُلكُ وملوكُ**.

سنتين لأبي بكر حقاً، وعشر سنين لعمر حقاً، واثنتا عشرة[٩] سنة لعثمان حقاً، وست سنين لعلي حقاً، ثم من بعد ذلك ملك وملوك[١٠]، والأخبار على هذا أكثر من أن تحصى[١١].

---

(١) في م: «أبي بكر».

(٢) في م: «بنص رسول ﷺ أي بنص خفي».

(٣) الصواب لغة: «أو».

(٤) في م: «رسول الله ﷺ».

(٥) «أي بنص خفي» ليست في م.

(٦) في م: «وإن أنكر ذلك».

(٧) في م: «فهو بدعي».

(٨) «ملعون على لسان سبعين نبياً» ليست في م.

(٩) لعل الصواب (اثنتي عشرة) وهو الذي في صحيح ابن حبان (٦٦٥٧).

(١٠) أخرجه ابن حبان في صحيحه «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم بعد ذلك ملكا» (٦٦٥٧) وأبو داود (٤٦٤٦) وأحمد (٢١٩٦٩) والطبراني في المعجم (٦٤٤٣) أما تسمية سنوات الخلفاء فهذا من قول سفينة رواي الحديث فقد أخرجه ابن حبان (٦٦٥٧) وأبوداود (٤٦٤٦) وأحمد (٢١٩٦٩) والطبراني في المعجم الكبير (١٣) وابن الجعد في مسنده (٣٣٢٣) موقوفاً عليه.

(١١) من قوله: «دلينا.. إلى قوله أكثر من أن تحصى» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة فهم يرون أن خير الناس في هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق وهو أولاهم بالخلافة، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ.

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً فهو مبتدع رافضي.

حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآرائهم فضيلة.

وخير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ: أبو بكر، وخيرهم بعد أبي بكر عمر، وخيرهم بعد عمر عثمان، وخيرهم بعد عثمان علي رضوان الله عليهم، خلفاء راشدون مهديون»[١].

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين

---

(١) السنة للإمام أحمد (٣٨) ضمن مجموع مع كتاب الرد على الجهمية، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر.

وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[١].

والأدلة تدل على قول السلف وهي متكاثرة في الدلالة على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، منها:

ما جاء عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فتخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان ـ رضي الله عنهم ـ**»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «خلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسول الله ﷺ له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختياراً استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله بها، وأنها حق، وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختارونها، وكان أبلغ من مجرد العهد بها، لأنه حينئذ يكون طريق ثبوتها العهد، وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك كان ذلك دليلاً على أن الصِّدِّيق كان فيه من الفضائل التي بانت بها عن غيره ما علم المسلمون أنه أحقهم بالخلافة، فإن ذلك لا يحتاج إلى عهد خاص»[٣].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٢٨).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ح (٣٦٥٥).
(٣) منهاج السنة (١/ ١٤٠ـ ١٤١).

ومن الأدلة على خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ما روى البخاري من حديث جبير بن مطعم قال: «أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر»[١].

أما خلافة عمر فثبتت بتفويض أبي بكر الصديق الخلافة إليه واتفاق الأمة بعده عليه، أما عثمان فثبتت له الخلافة باتفاق أهل الشورى من الصحابة الذين أقامهم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ليختاروا خليفة للمسلمين لما أصيب، فاتفقوا على عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف[٢].

وأما علي ـ رضي الله عنه ـ فثبتت له الخلافة بعد قتل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فبايع الناس علياً فصار إماماً حقاً واجب الطاعة وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة.

كما دل عليه حديث سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك**» قال سفينة:[٣] أمسك خلافة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الأحكام التي تعرف بالدلائل ح (٧٣٦١).

(٢) انظر صحيح البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ح (٣٥٥٣).

(٣) سفينة مولى رسول الله ﷺ كان اسمه مهران وقيل: بحران وقيل: رومان قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول اشتراه النبي ﷺ فأعتقه روى عن النبي ﷺ.

=

أبي بكر الصديق وخلافة عمر، وخلافة عثمان ثم أمسك خلافة علي قال، سعيد بن جهمان: فوجدناها ثلاثين سنة فقلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم قال: كذبوا بنو الزرقاء، بل هم ملوك من شر الملوك[١].

أما الرافضة فهم يقدحون في صحابة الرسول ﷺ إلا نفراً قليلاً من الصحابة ويغلون في علي ـ رضي الله عنه ـ ويزعمون أنه هو الإمام بعد الرسول ﷺ وأن أبا بكر وعمر وعثمان اغتصبوه حقه.

قال أحد الروافض: «... أبا بكر كان جاهلاً بأكثر أحكام الدين..»[٢].

«وأما عمر فكان يعطي من بيت المال مالا يجوز..»[٣].

وأما عثمان فقال فيه: «وأما مثالب عثمان فهي لا تحصى ولا تستقصى...»[٤].

قال السكسكي: «وقالوا: الرافضة بتفضيل علي على سائر الصحابة وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ وتبرؤوا من أبي بكر وعمر وكثير

= انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ١٢٥).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في الخلافة ح (٢٢٢٦) وقال حديث صحيح، وأبوداود في كتاب السنة باب في الخلفاء (٤٦٤٦).

(٢) حق اليقين في معرفة أصول الدين (١/ ٣١٥) عبدالله شبر، ط الأولى ١٤٠٤هـ نشر دار الأضواء بيروت.

(٣) المصدر نفسه (١/ ٣٢٣).

(٤) المصدر نفسه (١/ ٣٢٥).

من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلا فرقة الزيدية»[١].

بل نصوا في كتبهم على كفر الصحابة وارتدادهم بعد رسول الله ﷺ سوى نفر منهم وعدوهم، كما جاء في كتابهم المعظم عندهم (الكافي):

«كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي»[٢].

وقول المؤلف: إنها ثبتت بالنص أي النص الخفي، فقد اختلف أهل السنة في خلافة الصديق ـ رضي الله عنه ـ: هل كانت بالنص أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة ومنهم من قال بالنص الجلي.

وذهب جماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالاختيار[٣].

وقد استدل من قال بثبوتها بالنص بقصة المرأة التي جاءت النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه فقالت: إن لم أجدك قال ائتي أبا بكر[٤].

وما جاء عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخل علي رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدىء فيه، فقال: ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب

---

(١) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٦٥).

(٢) الروضة من الكافي (٨/ ٢٤٥) الكليني الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ نشر محمد الأخوندي ظهران.

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية (٥٣٣).

(٤) سبق تخريجه ص ٣٦٧.

لأبي بكر كتاباً ثم قال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر[١]، وغير ذلك من النصوص.

أما من قال: إنها ثبتت بالاختيار فاستدل بما جاء عن عبدالله بن عمر عن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر، وإن لا أستخلف فلم يستخلف من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ قال عبدالله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف[٢].

قال القاضي أبو يعلى: «... ثبتت بالاختيار لا بالنص الخفي، وقد حكينا عن أحمد ـ رضي الله عنه ـ في ذلك روايتين أحداهما بالاختيار والثانية بالنص»[٣].

قال شارح الطحاوية: «والظاهر والله أعلم أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهداً لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه وقال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[٤] فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أن

---

(١) أخرجه مسلم فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق (٢٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب الاستخلاف ح (٧٢١٨)، مسلم كتاب الإمارة، باب الاستخلاف (١٨٢٣).

(٣) المعتمد (٢٢٦).

(٤) تقدم تخريجه.

المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك..»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والتحقيق في خلافة أبي بكر وهو الذي يدل عليه كلام أحمد أنها انعقدت باختيار الصحابة ومبايعتهم له، وأن النبي ﷺ أخبر بوقوعها على سبيل الحمد لها والرضى بها، وأنه أمر بطاعته وتفويض الأمر إليه، وأنه دل الأمة وأرشدهم إلى بيعته، فهذه الأوجه الثلاثة: الخبر والأمر، والإرشاد ثابت من النبي ﷺ»[٢].

* * *

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٣٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/٤٨).

يسأل[١]: عن العَالم هل هو قديم أم[٢] محدث أم كان شيئاً ثم زاده فيه.

والعَالم عبارة عن كلِّ شيء دون الله من العرش إلى الثرى.

فإن قال: محدث، فو سني.

وإن قال: غيره، فهو كافر.

وفي هذه المسألة رد على عشرةَ أصنافٍ من أهل البدع؛ الكفار[٣]، والفجار[٤]، والباطني[٥]، والقرمطي[٦]،

---

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) الصواب لغة: «أو».

(٣) أصل الكفر لغة الستر والتغطية، والكفر في الشرع: ينقسم إلى أصغر وأكبر، فالأكبر يخرج من الملة، والأصغر لا يخرج من الملة. فالأكبر كجحود ما أنزل الله على رسوله، والأصغر ما جاء في النصوص تسميته كفراً ولا يخرج من الملة باتفاق أهل السنة، كالطعن في الأنساب، والنياحة على الميت. انظر الصلاة (٢٥) لابن القيم ومجموعة التوحيد (٣٤٨) رسالة أنواع التوحيد.

(٤) الفجور كالكفر، والفسوق، والظلم قسمان: أكبر، يخرج من الملة، منافي لأصل الدين، وأصغر ينقص الإيمان وينافي كماله، لا يخرج صاحبه من الملة، انظر معارج القبول (٤١٩/٢).

(٥) الباطنية: اسم عام يجمع كل من يدعي أن للنصوص ظاهراً وباطناً، وهذا الاسم يدخل تحته طوائف كثيرة كغلاة الصوفية وغلاة الرافضة، وغلاة الفلاسفة وكلهم زنادقة.
انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/ ٢٥٩ـ ٢٦٠) والتبصير في الدين للإسفراييني (٨٣) واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٧٦).

(٦) القرامطة: طائفة من طوائف الباطنية تنسب إلى حمدان قرمط خرجوا عام ٢٨١هـ أيام المعتضد فاستولوا على بعض الممالك الإسلامية، واستفحل أمرهم حتى استحلوا البيت العتيق، وقتلوا فيه خلقاً كثيراً، وراموا نقض الكعبة، واقتلعوا الحجر الأسود، لهم بدع كثيرة: استحلال المحارم، وجحد الشرائع، وإنكار ما علم من الدين =

والجـرهّـي[١]، والمـزدكـي[٢]، والبـابكـي[٣]، والفلسفـي[٤]، والتَطَبايعي[٥]، وأصناف المجوس[٦] كلهم يزعمون بقدم العالم، فمن زعم أن العالمَ كله محدث والمحدث هوأن لم يكن شيئاً قط، ثم كوّنه بقدرته القديمة، فهو سني.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى

= بالضرورة انظر التنبيه (٢٠) للملطي، والتبصير في الدين (٨٣) للإسفراييني الفرق بين الفرق (٢٦٦) للبغدادي.

(١) لم أجد فرقة تسمى بهذا المسمى.

(٢) المزدكية أصحاب مزدك من فرق الثنوية القائلين بأن الكون له مدبران النور والظلمة أزليان، يقولون بالإباحية المطلقة واشتراك الناس في النساء والأموال. انظر الملل والنحل (١/ ٢٩٤) للشهرستاني.

(٣) البابكية: أتباع بابك الخرمي: ظهر في أذربيجان وكثر أتباعه واستباحوا المحرمات، صلب في أيام المعتصم في سُرَّ من رأي وهم من المجوس. انظر الفرق بين الفرق (٢٣٩) للبغدادي.

(٤) أصل كلمة الفلاسفة مكون من كلمتين «فيلا» «سوف» ومعناه محب الحكمة، ثم أصبحت علماً على طوائف تنكر وجود الله وتنكر المعاد والرسل والملائكة والكتب، وهم طوائف شتى، وأصل الفلسفة نشأت في بلاد اليونان. انظر إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٥) لابن القيم.

(٥) فرقة من فرق الدهرية لا يؤمنون بالبعث،ولا عالم وراء هذا المحسوس، وينكرون وجود الخالق انظر الملل والنحل (١/ ٣٠٥) للشهرستاني.

(٦) المجوسية: إحدى النحل الوثنية القديمة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، وتنسب إلى رجل يقال له: مجوس، ويقولون بخالقين: خالق الخير وهو النور، وخالق الشر وهو الظلمة، كانوا يعبدون النار، عدهم بعض العلماء من أهل الكتاب، والصحيح أنهم ليسوا أهل كتاب. انظر الملل والنحل الشهرستاني (١/ ٣٢٠) تلبيس إبليس (٥٤) لابن الجوزي.

سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾[1]، وقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[2] الآية.

* * *

(١) سورة ق، آية: ٣٨.

(٢) سورة فصلت، آية: ٩.

. . . .

دراسة المسألة:

هذه المسألة متفق عليها عند أهل الإسلام أن العالم محدث، وأن الله خالق كل شيء بقدرته ومشيئته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الخالق وحده، وهذا الذي تدل عليه جميع الكتب المنزلة، وأخبرت به جميع الرسل، وعليه سلف الأمة وأئمتها، بل وعليه جماهير العقلاء من جميع الطوائف.

قال الشهرستاني: «مذهب أهل الحق من أهل الملل كلها أن العالم محدث ومخلوق أحدثه الباري تعالى وأبدع، وكان الله تعالى ولم يكن معه شيء»(١).

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(٢). وقال ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**»(٣).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «أول من عرف عنه القول بقدم العالم أرسطو وكان ضالاً مشركاً يعبد الأصنام»(٤).

ثم إن طوائف أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، لما

---

(١) نهاية الإقدام على الكلام (٥) مكتبة المثنى بغداد، حرره وصححه الفرد جيوم رقم الصفحة.
(٢) سورة الحديد، آية: ٤.
(٣) أخرجه مسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى ح (٦٦٩٤).
(٤) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٩) ط البابي الحلبي.

قالوا بحدوث العالم استدلوا على حدوثه بدليل مبتدع وهو: أنه لا يعرف صدق الرسول حتى يعرف إثبات الصانع، ولا يعرف إثبات الصانع، حتى يعرف حدوث العالم، ولا يعلم حدوث العالم إلا بما يعلم به حدوث الأجسام، ثم استدلوا على حدوث الأجسام، بأنها لا تخلو من الحوادث، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث، ثم منهم من علم أن هذا لا يكفي في إثبات الصانع فقال بإبطال حوادث لا أول لها[(١)].

وهذا الدليل أدى بهم إلى نفي صفات الله تعالى، وأن الله ليس له علم ولا قدرة ولا كلام يقوم به، بل كلامه مخلوق منفصل عنه، وأن الله لا يرى في الآخرة، أما الأشاعرة: فقد التزموا نفي الصفات الفعلية عن الله تعالى بناء على أنها حوادث، وما حلت به الحوادث فهو حادث.

قال شيخ الإسلام: «ولأجل هذه الطريق أنكرت الجهمية والمعتزلة الصفات والرؤية، وقالوا: القرآن مخلوق، ولأجلها قالت الجهمية بفناء الجنة والنار، ولأجلها قال العلاَّف بفناء حركاتهم، ولأجلها فرّع كثير من أهل الكلام.

فقال لهم الناس: أما قولكم إن هذه الطريق هي الأصل في معرفة دين الإسلام ونبوة الرسول ﷺ، فهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام، فإنه من المعلوم لكل من علم حال الرسول ﷺ

(١) انظر درء التعارض (١/ ٣٠٢ـ ٣٠٣).

وأصحابه، وجاء به من الإيمان والقرآن، أنه لم يَدْعُ الناس بهذا الطريق أبداً، ولا تكلم بها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، فكيف تكون هي أصل الإيمان؟ والذي جاء بالإيمان وأفضل الناس إيماناً لم يتكلموا بهذا البتة ولا سلكها منهم أحد»[١].

قال شيخ الإسلام مبيناً أن الفلاسفة القائلين بقدم العالم ليس معهم دليل على قولهم وأن جملة ما استدلوا إنما يدل على مذهب السلف.

«. . . وهذه مسألة حدوث العالم وقدمه، لا يقدر أحد من بني آدم أن يقيم دليلاً على قدم الأفلاك أصلاً، وجميع ما ذكروه ليس فيه ما يدل على قدم شيء بعينه من العالم أصلاً، وإنما غايتهم أن يدلوا على قدم نوع الفعل، وأن الفاعل لم يزل فاعلاً، وأن الحوادث لا أول لها، ونحو ذلك مما لا يدل على قدم شيء بعينه من العالم، وهذا لا يخالف شيئاً من نصوص الأنبياء، بل يوافقها، وأما النصوص المتواترة عن الأنبياء بأن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وأن الله خالق كل شيء، فكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن، فلا يمكن أحداً أن يذكر دليلاً عقلياً يناقض هذا. .»[٢].

* * *

(١) الفتاوى (٥/٥٤٢ـ ٥٤٣).
(٢) درء التعارض (٨/ ٢٧٩ـ ٢٨٠).

يسأل: عن الله تعالى هل كان عالماً بالأشياء قبل كونها في أوصافها وأجناسها وذاتها وألوانها وأعدادها، فجاءت بعد كونها على ما سبق في علمه بلا زيادة ولا نقصان؟

فإن قال: عَلِم بها قبلَ كونها فجاءت على ما علم، فهو سني.

وإن أنكر ذلك، فهو معتزلي[(١)].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[(٢)]، إلى قوله: ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[(٣)]، وأيضاً قوله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[(٤)]، الآية إلى قوله: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾[(٥)]، ودلائلنا[(٦)] أكثر من أن تحصى[(٧)].

---

(١) في م: «يسأل عن الباري جل جلاله هل علم بالأشياء قبل كونها أم علم بها بعد كونها؟
فإن قال: علم قبل كونها، فهو سني، وإن قال: لم يعلم بها إلا بعد كونها، فهو معتزلي».

(٢) سورة البقرة، اية: ٣٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٧.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٢٨.

(٦) كتب أعلاها «على هذا» [صح] مما يشعر إلى أن الصواب «دلائلنا على هذا أكثر من أن تحصى».

(٧) من قوله: «دليلنا إلى قوله أكثر من أن تحصى» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف ـ رحمه الله ـ هو معتقد السلف الصالح، فالله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها، على ما اقتضته حكمته البالغة فكانت كما علم، فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[(١)] . وقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[(٢)] .

وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[(٣)] .

وقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾[(٤)] وعلم الله تعالى بالأشياء قبل كونها هو المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر.

قال شارح الطحاوية: «والقدر الذي هو التقدير المطابق للعلم يتضمن أصولاً عظيمة:

أحدها: أنه عالم بالأمور المقدرة قبل كونها، فيثبت علمه القديم وفي ذلك الرد على من ينكر علمه القديم.

الثاني: أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات، ومقاديرها هي

---

(١) سورة الملك، آية: ١٤.
(٢) سورة الحج، آية: ٧٠.
(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٩.
(٤) سورة الطلاق، آية: ١٢.

صفاتها المعينة المختصة بها، فإن الله قد جعل لكل شيء قدراً قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[١].

فالخلق يتضمن التقدير، تقدير الشيء في نفسه، بأن يجعل له قدراً، وتقديره قبل وجوده، فإذا كان قد كتب لكل مخلوق قدره الذي يخصه في كميته وكيفيته، كان ذلك أبلغ في العلم بالأمور الجزئية المعينة، خلافاً لمن أنكر ذلك، وقال: إنه يعلم الكليات دون الجزئيات، فالقدر يتضمن العلم القديم والعلم بالجزئيات.

الثالث: أن يتضمن أنه أخبر بذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخباراً مفصلاً، فيقضي أنه يمكن أن يَعلم العبادُ الأمورَ قبل وجودها علماً مفصلاً، فيدل ذلك بطريق التنبيه على أن الخالق أولى بهذا العلم، فإنه إذا كان يعلِّم عباده بذلك فكيف لا يعلم هو؟

الرابع: أن يتضمن أنه مختار لما يفعله، محدث له بمشيئته وإرادته، ليس لازماً لذاته.

الخامس: أنه يدل على حدوث هذا المقدور، وأنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يقدره ثم يخلقه[٢].

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي: «إن الله عز وجل لم يزل عالماً بالخلق وأعمالهم، قبل أن يخلقهم، ولا يزال عالماً بهم، ولم

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٢.
(٢) شرح الطحاوية (٣٠٦).

يزدد في علمه بكينونة الخلق خردلة واحدة»[١].

ما نسبه المولف إلى المعتزلة قال به غلاة القدرية الأوائل فقد روى مسلم في صحيحه عن يحيى بن يعمر قال: انطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجينَ أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمنيه وأحدنا عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر[٢].

وقد كفر السلف من ينكر علم الله تعالى القديم من القدرية.

قال الشافعي: ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا[٣].

سئل الإمام أحمد: عمن جحد العلم قال يستتاب فإن تاب وإلا

---

(١) الرد علي الجهمية (١١٢) ط/ دار السلفية.
(٢) صحيح مسلم في كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان ح (٨).
(٣) شرح الطحاوية (٣٠٢).

ضربت عنقه(١).

وقال الإمام أحمد: القدري الذي يقول: إن الله لم يعلم الشيء حتى يكون، هذا كافر(٢).

وغلاة القدرية الأوائل انقرض مذهبهم والمتأخرون منهم يثبتون علم الله سبحانه بالأشياء قبل وقوعها.

قال القاضي عبدالجبار المعتزلي: «وهو عالم، لأن في الشاهد العلم المحكم لا يصح إلا من عالم، كالكتابة والبناء والصياغة، وما خلقه الله ـ تعالى ـ أبلغ في الإحكام من قبل ذلك... وقال: وهو عالم لذاته لا بتعلم، ولا بأن جعله غيره عالماً وهو لم يزل ولا يزال بكل معلوم، كما أنه كان موجوداً لذاته لا يحتاج إلى فاعل كان موجوداً فيما لم يزل ولا يزال»(٣).

قال القرطبي: «قد انقرض هذا المذهب ولا نعرف أحداً ينسب إليه من المتأخرين، والقدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهباً باطلاً أخف من الأول»(٤).

---

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ١٤٤).
(٢) المصدر نفسه (١/ ١٤٢).
(٣) المختصر في أصول الدين (٢١٠) ضمن رسائل العدل والتوحيد.
(٤) فتح الباري (١/ ١١٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد، صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق»[١].

* * *

---

(١) الإيمان (٣٦٩).

يسأل: عن الباري جل جلاله هل كان ناظراً إلى أشخاص المخلوقات قبل كونها أم[١] علمها قبل كونها؟

فإن قال[٢]: علمها قبل كونها، فهو سني.

وإن قال: نظر[٣] إليها قبل كونها، فهو سالمي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾[٤].

وقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝٦٧﴾[٥].

وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾[٦].

وإذا ثبت أن المعدوم ليس بشيء لا يجوز أن يقال: إنه نظر إليها، لأن النظر لا يقع إلا على الشيء، ولأن هذا يؤدي إلى القول بقدم العَالم، ومن قال بقدم العالم، فهو كافر لا شك في كفره[٧].

* * *

---

(١) الصواب لغة: «أو».
(٢) في م: «وإن قال».
(٣) في م: «كان ناظراً».
(٤) سورة الإنسان، آية: ١.
(٥) سورة مريم، آية: ٦٧.
(٦) سورة مريم، آية: ٩.
(٧) من قوله: «دليلنا إلى قوله: لا شك في كفره» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن علم الله سابق لخلق الموجودات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٩٧﴾[1]، فعلم الله منهم عدم الإيمان قبل مجيء الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٢٣ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ۝٢٤﴾[2]، فأخبر الله باتباعهم وإغراقهم قبل أن يكون.

وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[3] فأخبر باختلافهم قبل أن يختلفوا.

فكل هذه النصوص تدل على أن الله سبق علمه على وجود الموجودات.

قال ابن حزم: «لما أخبر الله عز وجل بأن أهل النار لو ردُّوا لعادوا لما نهوا عنه، وأخبر الله عز وجل بأنه يعلم متى تقوم الساعة. . . وسائر ما في القرآن من الأخبار الصادقة عما لم يكن بعد، علمنا بذلك أن علمه تعالى بالأشياء كلها يتقدم على وجودها. . .»[4].

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٩٦، ٩٧.
(٢) سورة الدخان، آية: ٢٣، ٢٤.
(٣) سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.
(٤) الفصل (٢/ ١٣٠).

قال الإمام الدارمي ـ رحمه الله ـ: «لقد علمت الملائكة ـ بما علمهم الله ـ ما هو كائن من بني آدم من الفساد وسفك الدماء قبل أن يخلقوا فكيف خالقهم الذي علمهم ذلك فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾.

فقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾[1]»[2].

وما نسبه المؤلف إلى السالمية وافقه على نسبة هذا القول لهم القاضي أبو يعلى فقال: «والباري ـ سبحانه ـ فيما لم يزل لم يكن رائياً للعالم وجوداً له عدماً في ذاته، بل كان رائياً لذاته وسائر صفاته الذاتية فقط، خلافاً لابن سالم البصري في قوله: إن الباري فيما لم يزل كان رائياً للعالم وجودا له عدماً في ذاته، والدلالة على فساد قولهم قوله تعالى في قصة زكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾[4].

فأخبر أنه يرى أعمالهم بعد فعلها، ولأن العالم لا يخلو فيما لم يزل من أن يكون موجوداً أو معدوماً، فإن كان معدوماً والباري يراه موجوداً له، أدى إلى أن يكون الباري عز وجل يرى المرئي على خلاف ما هو عليه، وهذه صورة الجاهل، والله يتعالى عن ذلك، فإن كان

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٠.
(٢) الرد على الجهمية (١٣٥ ـ ١٣٦) دار السلفية.
(٣) سورة مريم، آية: ٩.
(٤) سورة التوبة، اية: ١٠٥.

العالم موجوداً فيما لم يزل، أدى إلى قدم العالم لأن كل شيء موجود فيما لم يزل وجب أن يكون قديماً، وقد دلت الأدلة على حدث العالم، وإذا كان كذلك بطل كون العالم مرئياً للباري وجوداً له عدماً في ذاته»[١].

* * *

(١) المعتمد (٢١٧).

يسأل: عن سلوك الجنِ في بني آدم(١)؟

فإن قال(٢): يسلكون(٣)، فهو سني.

وإن قال(٤): لا يسلكون(٥)، فهو معتزلي(٦).

لقول النبي ﷺ: «**إن الشيطان يجري من أحدكم كمجرى الدم، فضيقوا مسالكه بالجوع والعطش**»(٧)(٨).

* * *

(١) في م: «في بدن ابن آدم».
(٢) في م: «فإن أقرَّ به».
(٣) «يسلكون» ليست في م.
(٤) في م: «وإن أنكره».
(٥) «لا يسلكون» ليست في م.
(٦) كتب في الهامش: «عن ابن عمر إن الشيطان يجري من بني الإنسان مجرى الدم والروح» تفسير هشام وروي أن امرأة أتت بابن لها إلى النبي ﷺ وبه جنة فأخذ النبي ﷺ بمنخره، ثم قال: أخرج فإني محمد رسول الله» شرح السنة.
(٧) من قول: «لقول النبي ﷺ إلى قوله: بالجوع والعطش» ليست في م.
(٨) أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه (٢٠٣٨) ومسلم في كتاب السلام (٢١٧٤) والترمذي في كتاب الرضاع (١١٧٣) وأبوداود في كتاب الصوم (٢٤٧٠) وأحمد (٢٦٣٢٢) وابن ماجه في كتاب الأيام (١٧٧٩) من حديث صفية بن حيي رضي الله عنها دون زيادة (فضيقوا مسالكه بالجوع والعطش).

. . . .

دراسة المسألة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «دخول الجن في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[1].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»[2].

وقال عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن أقواماً: يقولون: إن الجن لا يدخل في بدن المصروع فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه.

حتى قال ـ رحمه الله ـ: وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع غيره، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك»[3].

قال القاضي أبو يعلى: «وقد يتوصل من الشيطان وسواس، والوسواس يحتمل أن يفعل كلاماً خفياً يدركه القلب، ويمكن أن يكون هو الذي يقع عند الفكر، ويكون منه مس وسلوك، ودخول في أجزاء

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.
(٢) تقدم تخريجه ص٣٨٨.
(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٧٦).

الإنسان ويتخطفه خلافاً للبعض في إنكارهم سلوك الشياطين في أجسام الإنس، وزعموا أنه لا يجوز وجود روحين في جسد، والدلالة عليه قوله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[2].

وقال النبي ﷺ: «**إن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم**»[3].

ولأنه لا يمتنع أن يدخل الشيطان في أجسامنا سواء كانت رقيقة أو كثيفة كالطعام والشراب»[4].

وقد جاءت الأخبار الصحيحة الصريحة في إثبات دخول الجن في الإنسان فعن عثمان بن أبي العاص قال: «**لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي، حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ فلم يرع رسول الله ﷺ إلا وأنا بين يديه فقال: ابن أبي العاص قلت: نعم يارسول الله، فقال: ما جاء بك؟ قلت: يارسول الله عرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي، قال: ذاك الشيطان، ادنه، قال: فدنوت منه، فجلست على صدور قدمي، قال: أفغرفاك ففغرت فاي، قال: فضرب صدري بيده، وتفل في فمي، وقال: أخرج عدو الله من صدره، ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: الحق بعملك، فقال عثمان: فلعمري ما**

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٢) سورة الناس، آية: ٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف باب زيارة المرأة زوجها (٢٠٣٨).

(٤) المعتمد (١٧٤).

أحسبه خالطني بعد»[١].

ومن الأدلة: حديث يعلى بن مرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: لقد رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثاً، ما رآها أحد قبلي، ولا يراها أحد بعدي، خرجت معه في سفر حتى إذا كنا في بعض الطريق، مررنا بامرأة جالسة، معها صبي لها، فقالت: يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء، وأصابنا منه بلاء، يؤخذ في اليوم ما أدري كم مرة؟

قال: ناولنيه، فرفعته إليه، فجعلته بينه وبين واسطة الرحل، ثم فغره فاه، فنفث فيه ثلاثاً، وقال: بسم الله، أنا عبدالله، أخسأ عدو الله، ثم نأولها إياه، فقال: القينا في الرجعة في هذا المكان، فأخبرينا ما فعل.

قال: فذهبنا، ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث، فقال ﷺ: ما فعل صبيك؟ فقالت: والذي بعثك بالحق، ما حسسنا منه شيئاً حتى الساعة، فاجترز هذه الغنم، قال: انزل فخذ منها واحدة ورد البقية[٢].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٥٤٨) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٥٣١) (١٥٣٢) وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٠٩٧) (١٧٠٩٨) (١٧١١٥) ١٧١١٣) وابن أبي شيبة (١١/ ٤٨٨) والحاكم وصححه (٢/ ٦١٧، ٦١٨) وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٥٨).

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ١٤٠) «فهذه طرق جيدة متعددة، تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحرين أن يعلى بن مرة حدث بهذه القصة في الجملة».

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة قال به طائفة منهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع»[(١)].

وقال الفخر الرازي: «قال: الجبائي: الناس يقولون: المصروع إنما حدثت به تلك الحالة؛ لأن الشيطان يمسه ويصرعه، وهذا باطل، لأن الشيطان ضعيف لا يقدر على صرع الناس وقتلهم»[(٢)].

وقال السيوطي: «أنكر طائفة من المعتزلة دخول الجن في بدن المصروع»[(٣)].

وقال الشبلي: «أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي محمد بن زكريا الطبيب وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع»[(٤)].

وقال الألوسي: «وقال المعتزلة والقفال من الشافعية: أن كون الصرع والجنون من الشيطان باطل لأنه لا يقدر على ذلك»[(٥)].

إلا أن بعض المعتزلة يقول بدخول الجن في بدن الإنسان فقد نقل الشبلي كلاماً طويلاً للقاضي عبدالجبار وفيه «أن عمرو بن عبيد قال:

---

(١) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ص٦ ت منير آغا، م الرياض الحديثة ـ الرياض ـ السعودية.

(٢) التفسير الكبير (٧/ ٩٨) ط ٢ الطبعة البهية ـ القاهرة ـ الناشر دار الكتب العلمية.

(٣) لقط المرجان في أحكام الجان (١٣٤) دار الكتب العلمية.

(٤) آكام المرجان في أحكام الجان ١٠٦ط محمد علي صبيح ١٣٧٦هـ.

(٥) روح المعاني (٣/ ٤٩) دار إحياء التراث بيروت لبنان.

إن المنكر لدخول الجن في أبدان الإنس دهري أو يجيء منه دهري..
قال القاضي عبدالجبار: وإنما قال ذلك لأنها قد صارت من الشهرة والظهور كشهرة الأخبار في الصلاة والصيام والحج والزكاة، ومن أنكر هذه الأخبار التي ذكرناها كان راداً، والرادُّ على الرسول ﷺ ما لا سبيل إلى علمه إلا من جهته كافر..»[١].

❊ ❊ ❊

---

(١) آكام المرجان (١٠٩).

يسأل عن من اعتقد الإيمان بقلبه ولم يقرَّ بلسانه، هل يصيرُ مؤمناً أم[١] لا؟

فإن قال: لا يصير مؤمناً، فهو سني.

وإن قال: يصير مؤمناً، فهو مرجىء وأشعري[٢].

دليلنا: قوله ﷺ: «**الإيمان قول وعمل ونية وموافقةُ السنةِ منوطُ بعضها ببعض، لا يقبل الله واحد[٣] دون أخرى**»[٤][٥].

* * *

---

(١) الصواب لغة: «أو».

(٢) في م: «يسأل عن الكافر إذا اعتقد الإسلام ولم يتلفظ بلسانه؟ هل يكون ذلك مؤمناً أم لا؟ فإن قال: لا يكون مؤمناً، فهو سني، وإن قال: يكون مؤمناً، فهو أشعري».

(٣) هكذا في الأصل والصواب (واحدة).

(٤) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ج (٦٥) من حديث علي وقال أبو الصلت لو قرىء هذا الإسناد على مجنون لبرأ. وفيه علي بن موسى بن جعفر أبو الحسن الرضا قال ابن حبان: يروي عن أبيه العجائب كأنه كان يهم يخطىء. انظر التهذيب (١٧٣٢٩).
وقال السيوطي في اللآلي المصنوعة (١/ ٣٥: موضوع فيه أبو الصلت عبدالسلام ابن صالح متهم لا يجوز الاحتجاج به».

(٥) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: دون أخرى» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ماقرر المؤلف عن أهل السنة: صواب، فمن شرط الإيمان النطق باللسان وعلى هذا تدل النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾[٢]، وقال ﷺ: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»[٣].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: إن وفد عبدالقيس لما قدموا على رسول الله ﷺ أمرهم بالإيمان بالله عز وجل قال: أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان،

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٣٦.
(٢) سورة الأحقاف، آية: ١٣.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: «لما خلقت بيدي» (٧٤١٠) ومسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلاً (١٩٣).

وأن تعطوا الخُمُس من المغنم»[١].

وفي حديث جبريل الطويل.. قال يا محمد! أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال: صدقت، قال: عجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره..»[٢].

وعلى هذا أجمع السلف رحمهم الله.

قال عبدالرازق الصنعاني: «سمعت من أدركنا من شيوخنا وأصحابنا.. يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[٣].

قال البخاري: «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان: قول وعمل ويزيد وينقص»[٤].

قال الآجري: «الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان وعمل بالجوارح،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب قوله: (منيبين إليه واتقوه) (٥٢٣) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب، الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله (٢٣).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل (٥٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإسلام والإيمان ح (٨).
(٣) شرح صحيح مسلم (١/١٤٦).
(٤) شرح أصول الاعتقاد (١/١٧٣-١٧٤) اللالكائي.

ثم اعلموا: أنه لا تجزىء المعرفة بالقلب والتصديق، إلا أن يكون معهما الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزىء معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمناً، دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين..»[(١)].

أما ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة فقد قدمنا أن الإيمان عند الأشاعرة هو التصديق بالقلب، ولا يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان.. وما نسبه المؤلف هو الظاهر من قولهم.

قال الآمدي: «فعلى هذا مهما كان مصدقاً بالجنان على الوجه الذي ذكرنا وإن أخل بشيء من الأركان فهو مؤمن حقاً، وانتفاء الكفر عنه واجب، وإن صح تسميته فاسقاً»[(٢)].

قال الجويني: «فحقيقة الإيمان عندنا التصديق قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾[(٣)] وما أنت بمصدق لنا، والمؤمن على التحقيق من انطوى عقداً على المعرفة بصدق من أخبر عن صانع العالم وصفاته وأنبيائه، فإن اعترف بلسانه ما عرف بجنانه فهو مؤمن ظاهراً وباطناً، وإن لم يعترف بلسانه معانداً لم ينفعه علم قلبه، وكان في حكم الله من الكافرين كفر جحود وعناد»[(٤)].

---

(١) الشريعة (١١٩).

(٢) العقيدة النظامية (٦٢) مطبعة الأنوار (١٣٦٧) هـ ت الكوثري.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٧.

(٤) غاية المرام(٣١٩).

يسأل: عن الاغتسالِ من الجنابة؟

فإن قال: هو فرضٌ، فهو مسلم[١].

وإن قال: غيره، فهو كافر[٢].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾[٣].

وقوله ﷺ[٤]: «**بلوا الشعر، وأنقوا البشرَ، فإن تحت كُلِّ شعرةٍ جنابةٌ**»[٥].

والجنبُ يَحرُم عليه مسَ المصحفِ، وحملَه، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝﴾[٦].

ويَحرم على الجنبِ سبعةَ أشياءَ فدل على أن الغسلَ واجبُ عليه[٧].

---

(١) في م: «فإن قال به فهو سني».

(٢) في م: «وإن أنكره، فهو خارجي».

(٣) سورة المائدة، آية: ٦.

(٤) اختصر المؤلف الصلاة على النبي وأثبتهاكاملة.

(٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة باب تحت كل شعرة جنابة (٥٩٧) والترمذي في كتاب الطهارة (١٠٨) وأبوداود في كتاب الطهارة (٢٤٨) من حديث أبي هريرة وفيه الحارث بن وجبه قال أحمد: لا أعرفه وقال ابن معين ليس بشيء، وقال أبوداود: حديثه منكر وهو ضعيف، وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي أيوب الأنصاري (٥٩٨) بسند حسن.

(٦) سورة الواقعة، آية: ٧٩.

(٧) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: واجب عليه» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

أجمع العلماء على أن الغسل من الجنابة فرض وعلى هذا تدل الأدلة من الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ﴾[١].

وقال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ﴾[٢].

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت قال رسول الله ﷺ: «**إذا جلس بين شعبها الأربع، ومس الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل**»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الطهارة من الجنابة فرض، ليس لأحد أن يصلي جنباً ولا محدثاً حتى يتطهر، ومن صلى بغير طهارة شرعية مستحلاً لذلك فهو كافر، إن كان قادراً على الاغتسال بالماء اغتسل، وإن كان عادماً للماء، ويخاف الضرر باستعماله بمرض أو خوف برد تيمم وصلى»[٤].

وقد حكى إجماع المسلمين على أن غسل الجنابة فرض ابن هبيرة

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الغسل باب إذا التقى الختانان (٢٩١) أخرجه مسلم في كتاب الحيض باب نسخ الماء من الماء (٣٤٨).

(٤) الفتاوى (٢١/ ٢٩٥).

في الإفصاح[١].

والغسل بضم الغين هو الاغتسال، وهو استعمال الماء في جميع البدن على وجه مخصوص وبالفتح الماء الذي يغتسل به[٢].

ويوجب الغسل ستة أشياء:

١ ـ خروج المني دفقاً بلذة.

٢ ـ تغييب حشفة أصلية في فرج أصلي قبلاً كان أو دبر.

٣ ـ إسلام الكافر.

٤ ـ الموت.

٥ ـ الحيض.

٦ ـ النفاس[٣].

وقد ذكر المؤلف أن الجنب يحرم عليه سبعة أشياء والذي في كتب الفقهاء أنه يحرم عليه خمسة أشياء وهي الصلاة، والطواف، ومس المصحف، وقراءة القرآن، واللبث في المسجد[٤].

والواجب في الغسل: أن يعم بالماء جميع بدنه، وداخل فمه

---

(١) انظر الإفصاح (١/ ٨٣).

(٢) انظر المصباح المنير (١٧٠ص) ومختار الصحاح (ص٢٦٠).

(٣) انظر الروض المربع (١/ ٢٧٠ـ ٢٧٧) والتلقين (١٢/ ٥١) لعبد الوهاب بن نصر المالكي وتحفة الملوك (١/ ٣١) لمحمد أبي بكر الرازي والتذكرة (١/ ٤٧) لابن الملقن.

(٤) انظر الروض المربع (١/ ٧٤) وكشف المخدرات (١/ ٣٣) والتلقين (١/ ٤٧) لابن الملقن.

وأنفه[١] والأكمل أن يتوضأ، ثم يغتسل كما كان ﷺ يفعل، فعن ميمونة بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ أنها قالت: «**وضعت لرسول الله ﷺ وضوء الجنابة، فأكفأ بيمينه على يساره مرتين أو ثلاثاً، ثم غسل فرجه، ثم ضرب يده بالأرض أو الحائط مرتين أو ثلاثاً ثم تمضمض واستنشق، وغسل وجهه وذراعيه ثم أفاض على رأسه الماء، ثم غسل سائر جسده، ثم تنحى فغسل رجليه قالت: فأتيته بخرقة فلم يردها، فجعل ينفض الماء بيديه**»[٢] وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة، غسل يديه، ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم يغتسل ثم يخلل بيديه شعره، حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته، أفاض الماء عليه ثلاث مرات، ثم غسل سائر جسده**»[٣].

* * *

(١) انظر دليل الطالب (٢٠) لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي المطبعة الفصلية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ مكة المكرمة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الغسل باب تخليل الشعر (٢٧٤) ومسلم الطهارة باب صفة غسل الجنابة (٣١٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الغسل باب تخليل الشعر (٢٧٣) ومسلم الطهارة باب صفة غسل الجنابة (٣١٦).

يسأل: عن حروف المعجم هل هي مخلوقة أم[1] لا؟

فإن قال: غيرُ مخلوقة، فهو سني.

وإن قال: مخلوقةٌ، فهو جهمي.

وإن وقف فيها، فهو أشعري[2].

حروف المعجم: أ، ب، ت، ث، إلى آخره ثلاثون حرفاً[3].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾[4].

وقوله: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾[5].

وقوله: وحواميم السبع[6].

وقوله: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾[7].

---

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) في م: «يسأل عن حروف المعجم في كلام الآدميين، هل هي مخلوقة أو موقوف فيها فن قال: غير مخلوقة، فهو سني، وإن قال: مخلوقة أو موقوف فيها فهو أشعري».

(٣) اختلف في عددها منهم من قال تسعة وعشرون، ومنهم من جعلها باعتبار آخر تزيد على السبعين والذي عليه الجمهور أنها ثمانية وعشرون حرفاً.
انظر: مقدمة لسان العرب (١/ ١٣) ط/ دار صادر بيروت، وتهذيب اللغة (١/ ٤٩) الأزهري ط/ الدار المصرية.

(٤) سورة ص، آية: ١.

(٥) سورة القلم، آية: ١.

(٦) آية: (١) من سورة: غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف.

(٧) سورة مريم، آية: ١.

و ﴿طه ۝﴾[١]، و﴿طسٓ﴾[٢]، و﴿يسٓ ۝﴾[٣]، و﴿الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝﴾[٤]، والدلائل على هذا أكثر من أن تحصى[٥].

* * *

(١) سورة طه، آية: ١.
(٢) سورة النمل، آية: ١.
(٣) سورة يس، آية: ١.
(٤) سورة لقمان، الآيتان: ١، ٢.
(٥) من قوله: «دليلنا إلى قوله: أكثر من أن تحصى» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

تنازع المتسبون إلى السنة في هذه المسألة على قولين فقالت طائفة منهم كابن حامد، والقاضي أبي يعلى، وابن عقيل، وأبي نصر السجزي، إلى أن حروف المعجم مخلوقة والحروف حرفان: هذا قديم، وهذا مخلوق.

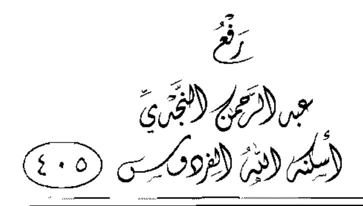
وقالت طائفة منهم: كالقاضي يعقوب البرزيني والشريف أبي الفضائل الزيدي الحراني وقول القاضي أبي الحسين وحكاه عن أبيه في آخر قوليه وابن الزاغوني وهو قول المصنف: الحرف حرف واحد، وحروف المعجم كلها غير مخلوقة حيث تصرفت؛ لأنها من كلام الله، وحقيقة الحرف واحدة لا تختلف[1].

فالطائفة الأولى: تعلقت بقول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: كل شيء من المخلوقين على لسان المخلوقين فهو مخلوق.

وبقوله: لو كان كذلك لما تمت صلاة بالقرآن كما لا تتم بغيره من كلام الناس[2].

وبقوله: لأحمد بن الحسن الترمذي: ألست مخلوقاً؟ قال: بلى، قال أليس كل شيء منك مخلوقاً؟ قال: بلى، قال: فكلامك منك وهو

(١) انظر الفتاوى (١٢/ ٨٥ـ ٨٦، ٤٤١ ـ ٤٤٢).
(٢) انظر الفتاوى (١٢/ ٤٤٢).



مخلوق[١].

والطائفة الثانية: تعلقت بقول الإمام أحمد لما قيل له: إن سريا السقطي قال: لما خلق الله الأحرف، سجدت له إلا الألف، فقالت: لا أسجد حتى أومر فقال أحمد: هذ كفر[٢].

والطائفة الأولى: لا تنازع الطائفة الثانية في أن الحروف من كلام الله غير مخلوقة وتنكر على من يقول: إن الحروف مخلوقة، فإنه إذا قال ذلك دخل فيه حروف كلام الله ـ تعالى ـ من القرآن وغيره وهم يخصون الكلام في الحروف الموجودة في كلام الله[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان أن حقيقة الخلاف بين الطائفتين لفظياً: «وبالجملة فمن نظر إلى أن حقيقة الحرف التي لا تختلف موجودة في كلامُ الله وكلام الله غير مخلوق، قال: إنها [غير][٤] مخلوقة إشارة إلى نفس حقيقة الحرف، لا إلى عين جزء اللفظ الذي ينطق به الكفار والمشركون، فإن ذلك الحرف الذي هو صوت لمقدر أو تقدير صوت قائم بالكافر والمشرك لا يقول عاقل: إنه غير مخلوق، مع أنه ليس مضافاً إلى الله بوجه من الوجوه، وإنما يضاف إلى الله ما شاركه في اسمه مما كان متعلقاً بالمعنى المضاف

---

(١) انظر الفتاوى (١٢/ ٤٤٢).
(٢) انظر الفتاوى (١٢/ ٨٥).
(٣) انظر الفتاوى (١٢/ ٤٤٢).
(٤) سقطت هناك كلمة [غير] من المطبوع من الفتاوى وأضفتها لأن المعنى لا يستقيم إلا بها.

إلى الله.

وهذا بخلاف التي في كلام الله، فإن تلك كلام الله كيف ما تصرفت، ونحن لما يسر الله كلامه بألسنتنا أمكننا أن نتكلم بكلامه، لكن بأدواتنا وأصواتنا وليس تكلمنا به وسمعه منا كتكلم الله به وسمعه منه، كما أن الله ليس كمثله شيء فكذلك سائر ما يضاف إليه، لكن لما أنطقنا الله بأدواتنا وحركتنا وأصواتنا صار بين بعض لفظنا به ولفظنا بغيره نوع من الشبه، فإذا تكلمنا بكلام آخر فهو يشبه من بعض الوجوه لفظنا، وصوتنا بالقرآن لا يشبه تكلم الله به وقراءته إياه فإذا كان وجود هذه الحروف في كلام الآدميين ليس بمنزلة تكلم الله بالقرآن، وإنما يشبه من بعض الوجوه تكلمنا به من جهة ما يضاف إلينا لا من جهة ما يضاف إلى الله، امتنع حينئذ أن يقال: عين الحرف الذي هو جاء لفظه من الاسم الذي ينطق به الناس هو عين الحرف الذي هو جزء لفظ من لفظ من كلام الله ـ تعالى ـ.

وإنما يشبهه ويقاربه، فهو باعتبار النوع، وليس هو باعتبار العين والشخص، بخلاف حروف كلام الله القرآن، فإنها كلام الله حيث تصرفت، فمن قال: إن الحروف حرفان أراد به أنهما عينان وشخصان وهذا حق، ومن قال: الحرف حرف واحد أراد به أن الحقيقة النوعية واحد في الوضعين وهذا حق.

ومن قال: إن حروف الهجاء من كلام الآدميين غير مخلوقة فقد صدق باعتبار الحقيقة النوعية.

ومن قال: إنها مخلوقة باعتبار العين فقد صدق.

ونظير هذا كثير يوجد في كلام أهل العلم وأهل السنة من النفي والإثبات، ويكون النزاع في معنيين متنوعين نزاعاً لفظياً اعتبارياً[١].

ما نسبه المؤلف إلى الجهمية لم أجد لهم تصريحاً بذلك ولا شك أنهم بمثل هذا! قائلون فإن من أشهر ما خالف فيه الجهمية القول بخلق القرآن وعنهم تلقاه المعتزلة.

قال الأشعري: وكان جهم يقول بخلق القرآن[٢].

أما ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة من القول بالتوقف فيه نظر، فهم يصرحون بأن الحروف مخلوقة.

قال الغزالي: «فنقول كلام الله ـ تعالى ـ مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب، مقروء بالألسنة، وأما الكاغد، والحبر، والكتابة، والحروف، والأصوات كلها حادثة، لأنها أجسام، وأعراض في أجسام، وكل ذلك حادث»[٣].

قال الجويني: «والكتابة: أحرف منظومة، وأشكال مرفوعة وهي حوادث والمفهوم منها كلام الله ـ تعالى ـ»[٤].

قال الباقلاني: «دليل آخر على حدث الحرف، وهو أن الأمة

---

(١) الفتاوى (١٢/ ٤٥١ـ ٤٥٢).
(٢) المقالات (١/ ٣٣٨).
(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (١٢٤) ط كلية الإلهيات أنقره.
(٤) لمع الأدلة (١٠٦) عالم الكتب.

مجمعة على أن من قرأ كلام الله ـ تعالى ـ في صلاته لم تبطل صلاته، ولا خلاف أن من قرأ حروف التهجي في صلاته بطلت صلاته، فعلم بذلك أنها ليست بكلام الله ـ تعالى ـ»[١].

قال الأيجي: «. . . إذا عرفت هذا فاعلم أن ما يقوله المعتزلة وهو خلق الأصوات والحروف وكونها حادثة قائمة، فنحن نقول به ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك»[٢].

والمؤلف في مختصر المسائل نسب إلى الأشاعرة القول بالتوقف، والقول بخلق الحروف إلى الأشاعرة، كما أنه في التبصرة نسب إليهم القول بخلق الحروف[٣].

* * *

(١) الإنصاف (١٠١) ط/ عالم الكتب.
(٢) شرح المواقف (٢٩٤) ط/ عالم الكتب.
(٣) انظر التبصرة (١٧٦).

يُسأل: عن أوامر الله ومناهيه، هل له صيغة أم[١] لا؟

والصيغةُ: السماعُ، كقول العرب: أصغ إليّ أي استمع.

فإن قال: له صيغة، فهو سني.

وإن قال: لا، فهو أشعري، وجهمي[٢].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٣].

وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾[٤]، الآية. ومثل هذا في القرآن كثير[٥].

* * *

---

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) في م: «يسأل عن الأمر هل له صيغة أم لا صيغة له؟
فإن قال: له صيغة، فهو سني، والصيغة من الأمر الذي تحاسه أذنيك، كقوله: أقيموا الصلاة، فعند الأشعري لا صيغة له، أي ليس له أمر يسمعه، وإنما أمره قائم في نفسه لم يسمعه، وإنما أمره قائم في نفسه لم يسمعه أحد من الخلق، فإن قال: لا صيغة له، فهو أشعرى.

(٣) جزء من آية: (٤٣) و(١١٠) سورة البقرة وآية (٧٧) و(٥٦) النور و(٢٠) المزمل، وفي الأصل كتب (أقيموا) وما أثبتها هو الصواب.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٥) من قوله: «دليلنا إلى قوله: في القرآن كثير» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن أوامر الله ونواهيه لها صيغة يعلم به الأمر والنهي قال الإمام الموفق ابن قدامة: «وللأمر صيغة مبنية تدل بمجردها على كونها أمر إذا تعرت عن القرائن وهي: افعل للحاضر، وليفعل للغائب، هذا قول الجمهور، وزعمت فرقة من المبتدعة أنه لا صيغة للأمر بناء على خيالهم أن الكلام معنى قائم بالنفس فخالفوا الكتاب والسنة وأهل اللغة والعرف.

أما الكتاب: فإن الله ـ تعالى ـ قال: لزكريا: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾[1]، فلم يسم إشارته إليهم كلاماً.

وقال لمريم: ﴿فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[2] فالحجة فيه مثل الحجة في الأول.

وأما السنة: فإن النبي ﷺ قال: «**إن الله عفا لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به**»[3].

وقال لمعاذ ـ رضي الله عنه ـ: «**أمسك عليك لسانك**» قال: وإنا

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ١٠، ١١.

(٢) سورة مريم، آية: ٢٦.

(٣) أخرجه البخاري في الطلاق باب الطلاق في الإغلاق (٥٢٦٩) ومسلم في كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس (١٢٧).

لمؤاخذون بما نقول؟ قال: ثكلتك أمك، وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[(١)].

وقال: «إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين»[(٢)] ولم يرد بذلك ما في النفس.

وأما أهل اللسان: فإنهم اتفقوا على أن الكلام اسم وفعل وحرف.

واتفق الفقهاء بأجمعهم على أن من حلف لا يتكلم فحدث نفسه بشيء دون أن ينطق بلسانه لم يحنث ولو نطق حنث.

وأهل العرف كلهم يسمون الناطق متكلماً، ومن عداه ساكتاً أو أخرس، ومن خالف كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ وإجماع الناس كلهم على اختلاف طبقاتهم فلا يعتد بخلافه»[(٣)].

قال مجد الدين ابن تيمية: «إذا وردت صيغة «أفعل» من الأعلى إلى من هو دونه متجردة عن القرائن فهي أمر، وقالت المعتزلة: لا يكون أمراً إلا بإرادته الفعل، وقالت الأشعرية: ليست للأمر صيغة، وصيغة «أفعل» لا تدل عليه إلا بقرينة، وإنما الأمر معنى قائم بالنفس»[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٦١٦) وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه في كتاب الفتن (٣٩٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب التسميع والتأمين (٤١٠).

(٣) روضة الناظر مع شرحها نزهة الخاطر لابن بدران الحنبلي (٢/٦٢ـ ٦٥) ط/ دار الكتب العلمية.

(٤) المسودة (٤) ط/ المدني القاهرة.

والقول في الأمر هو القول في النهي وأن كلا منهما له صيغة يعرف بها.

قال ابن قدامة: «اعلم أن ما ذكرناه من الأوامر تتضح به أحكام النواهي إذ أن لكل مسألة من الأوامر وزان من النواهي على العكس، فلا حاجة إلى التكرار إلا في اليسير»[١].

قال ابن بدران في بيان هذا: «قوله: «لكل مسألة من الأوامر وزان من النواهي». أي حكم موازنة على العكس، مثاله في أحدهما: أن الأمر اقتضاء فعل، والنهي اقتضاء كف عن فعل، والأمر ظاهر في الوجوب واحتمال الندب، والنهي ظاهر في التحريم مع احتمال الكراهة، وصيغة الأمر افعل، وصيغة النهي لا تفعل»[٢].

قال أبو حامد الإسفراييني: «ذهب أئمة الفقهاء إلى أن الأمر له صيغة تدل بمجردها على كونه أمراً وإذا عريت عن القرائن كان أمراً، ولا يحتاج في كونه أمراً إلى قرينة، هذا مذهب الشافعي ـ رحمه الله ـ ومالك وأبي حنيفة والأوزاعي وجماعة من أهل العلم»[٣].

ما نسبه المؤلف إلى الجهمية لم أقف على من نسبه إليهم غيره.

أما ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة فصواب.

---

(١) روضة الناظر (٢/١١١).

(٢) المصدر نفسه (٢/١١١).

(٣) البرهان في أصول الفقه (١/١٥٧) دار الوفاء للنشر والتوزيع ط ١٤١٢هـ ت عبدالعظيم الديب.

قال السجزي: «وعند الأشعري: أن الأمر لا صيغة له، إذا قال الله ـ سبحانه ـ: افعلوا كذا لا يفهم منه وجوب ولا ندب ولا غير ذلك، ولا يفيد بمجرده شيئاً حتى يقترن به دليل على المراد به»[١].

وقال الجويني: «فالمنقول عن الشيخ أبي الحسن ـ رضي الله عنه ـ ومتبعيه من الواقفية: أن العرب ما صاغت للأمر الحق القائم بالنفس عبارة فردة، وقول القائل: (افعل) متردد بين الأمر والنهي. . .»[٢].

وقال السبكي: «وقد نقل عن الشيخ أبي الحسن، أنه لا صيغة للأمر تخص به، وأن قول القائل: «أفعل» متردد بين الأمر والنهي، وإن فرض حمله على غير النهي، فهو متردد بين جميع محتملاته، ثم اختلف أصحابه في تنزيل مذهبه فقال قائلون: اللفظ صالح لجميع المحامل صلاح اللفظ المشترك للمعاني التي هيئت اللفظة لها، وقال آخرون: ليس المعنى بتوقف أبي الحسن في المسألة، إلا أنا لا ندري على أي وضع جرى قول القائل: «افعل» في اللسان فهو مشكوك فيه على هذا الرأي، ثم نقل عن أبي الحسن ناقلون: أن يستمر على القول بالوقف مع فرض القرائن»[٣].

وليس كل الأشاعرة على القول بهذا فقد قال بخلافه أبو إسحاق الشيرازي.

---

(١) رسالة السجزي (١٩٦).

(٢) درء التعارض (٢/١٠٦) لابن تيمية.

(٣) الإبهاج شرح المنهاج (٢/١٦) ط/ دار لكتب العلمية بيروت ١٤٠٤هـ.

فقال: «للأمر صيغة موضوعة في اللغة وهو قول الرجل لمن دونه «افعل» وقالت الأشعرية: ليس للأمر صيغة، وقوله: «افعل» لا يدل على الأمر إلا بقرينة»[١].

وقال الآمدي: «هل للأمر النفساني صورة تدل عليه؟ نقل عن الأشعري نفيها وعن الغير إثباتها، والحق الإثبات فإن صيغة «افعل» تدل على الأمر لكنها غير خاصة به..»[٢].

* * *

---

(١) التبصرة في أصول الفقه (٢٢) دار الفكر ١٤٠٠هـ ت محمد حسن هيتو.
(٢) منتهى السول في علم الأصول (٢/ ٤) مطبعة محمد علي صبيح غير مؤرخة.

يُسأل: عن العقل هل هو مخلوق أم[١] غيرُ مخلوق[٢]؟

فإن قال مخلوق، فهو سني.

وإن قال: غيرُ مخلوق، فهو معتزلي كافر[٣].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[٤]، وأيضاً ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لما خلق الله تعالى العقل، قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحسن منك لك الثواب وعليك العقاب**»[٥].

ومن قال: غير مخلوق، فقد جعل لله شريكاً، وجعل الثاني اثنين، ورد وحدانية الله تعالى، وفردانيتَه، لأن العقلَ عطيةٌ من الله وإلهاماً[٦] للعبد[٧].

---

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) في م: «أم لا».

(٣) «كافر» ليست في م.

(٤) سورة الزمر، آية: ٦٢.

(٥) أخرجه ابن عدي كما في الموضوعات لابن الجوزي (١/ ١٧٤) وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كذب، موضوع عند أهل العلم بالحديث ليس هو في شيء من كتب الإسلام المعتمدة. الفتاوى (١٨/ ٣٣٦).
وقال ابن القيم: في المنار المنيف (٦٦) أحاديث العقل كلها مكذوبة كقوله لما خلق الله العقل...».

(٦) الصواب لغة (إلهام) بالرفع.

(٧) من قوله: دليلنا إلى قوله وإلهاماً للعبد» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف قد دلت عليه الأدلة وأجمع عليه سلف الأمة أن كل ما سوى الخالق فهو مخلوق مربوب قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضاً بالعاقل، وعلى هذا دل القرآن في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾[2].

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾[3].

وقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾[4]، ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً، وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم، ولهذا قال أهل النار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾[5].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٢.
(٢) سورة البقرة، آية: ٧٣.
(٣) سورة الحج، آية: ٤٦.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٨.
(٥) سورة الملك، آية: ١٠.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[١][٢].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة لم أجد في كتبهم إلا ما يشعر بخلافه.

قال القاضي عبدالجبار: «إن قيل قد بينتم أن القرب والبعد والحركة والسكون حوادث وأن الجسم محدث، فما الدليل على أن سائرها في الأجسام من الأعراض محدث؟ قيل له: لأن الجسم إذا ثبت حدوثه فالألوان والطعوم والروائح لا توجد إلا في الأجسام، فيجب أيضاً أن تكون محدثة، ولأنا نعلم أن بعضها يبطل ويعدم بعضاً، فهي كالحركات والسكنات في هذا الباب»[٣].

وقد نسب شيخ الإسلام ابن تيمية القول بأن العقل غير مخلوق، وأنه هو الرب، وهو العقل الفعال، الذي صدرت منه الخلائق نسبه إلى فلاسفة اليونان فقال: «والعقل في لغة فلاسفة اليونان جوهر قائم بنفسه... وهم يزعمون أن أول ما صدر عن رب العالمين جوهر قائم بنفسه، وأنه رب جميع العالم، وأن العقل العاشر هو رب كل ما تحت فلك القمر ومنه تنزلت الكتب على الأنبياء»[٤].

قال شيخ الإسلام: «وأبو حامد يفرق يبن عالم الخلق وعالم الأمر

---

(١) سورة الحج، آية: ٤٦.

(٢) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٧).

(٣) المختصر في أصول الدين (٢٦٠) ضمن رسائل العدل والتوحيد.

(٤) الرد على المنطقين (٢٧٦) ط/ معارف لاهور.

فيجعل الأجسام عالم الخلق والنفوس والعقول عالم الأمر، وهذا أيضاً ليس من دين الإسلام، بل كل ما سوى الله مخلوق عند المسلمين، والله تعالى خالق كل شيء.

وإذا ادعوا أن العقول التي أثبتوها هي الملائكة في كلام الأنبياء فقد ثبت بالنص والإجماع أن الله خلق الملائكة[١].

* * *

(١) الرد على المنطقيين (١٩٧).

يسأل: عن العقل هل يُحلّل ويحرِّم ويُبيح ويحظر ويُحسِّن ويُقبّح؟

فإن قال: العقل لا يحسِّن شيئاً ولا يقبحه ولا يحلّل ولا يحرّم ولا مدخلُ له في ذلك ألبتة، بل الشرعُ يحسنه ويقبحه ويحلّله ويحرّمه ويأمره وينهاه لا غير، فهو سني.

وإن قال: يحسّن ويقبح ويعمل، فهو معتزلي طاغ[١].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٢] ولو كان كما يزعمون لعنهم[٣] ما نزل القرآن، وما جاءت الرسل، وما نزل الوحي.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾[٤][٥].

* * *

(١) من قوله: «فإن قال: العقل.. إلى قوله: فهو معتزلي طاغي» ليست في م. والذي في م: «فإن قال: له مدخل في ذلك، فهو معتزلي. وإن قال: لا مدخل له في ذلك، فهو سنيّ».

(٢) سورة الإسراءة، آية: ٣٦.

(٣) لعل هنا سقط لفظ الجلالة (لعنهم الله).

(٤) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٥) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله.. نبعث رسولاً» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما نسبه المؤلف إلى أهل السنة عامة السلف على خلافه[١].

بل يفصلون في ذلك ويقولون: إن إطلاق التحسين والتقبيح على كل فعل من جهة العقل وحده دون الشرع أو نفي دور العقل في تحسين الأفعال أو تقبيحها غير صحيح.

قال شيخ الإسلام: «والفقهاء وجمهور المسلمين يقولون: الله حرم المحرمات فحرمت، وأوجب الواجبات فوجبت، فمعنا شيئان: إيجاب وتحريم، وذلك كلام الله وخطابه، والثاني وجوبٌ وحرمة، وذلك صفة للفعل، والله تعالى عليم حكيم، علم بما تتضمنه الأحكام من المصالح، فأمر ونهى لعلمه بما في الأمر والنهي، والمأمور والمحظور من مصالح العباد ومفاسدهم، وهو أثبت حكم الفعل، وأما صفته فقد تكون ثابتة بدون خطاب.

وقد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع:

أحدها: أن يكون مشتملاً على مصلحة أو مفسدة، ولو لم يرد الشرع بذلك، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم، فهذا النوع هو حسن وقبح، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن، لكن لا يلزم من

---

(١) انظر الفتاوى (١١/ ٦٧٧).

حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقباً في الآخر، إذا لم يرد شرع بذلك وهذا مما غلط فيه القائلون بالتحسين والتقبيح العقلي، فإنهم قالوا: إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيح ولو لم يبعث رسول وهذا خلاف النص قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾[1]، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[2].

النوع الثاني: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع.

النوع الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أو يعصيه؟ ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ففداه بالذبح، وكذلك حديث أبرص وأقرع وأعمى، لما بعث الله إليهم من سألهم الصدقة، فلما أجاب الأعمى، قال الملك: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم، فرضي عنك وسخط على صاحبيك[3].

فالحكمة منشؤها من نفس الأمر، لا من نفس المأمور به، وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة، وزعمت أن الحسن والقبح لا

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١٥.
(٢) سورة النساء، آية: ١٦٥.
(٣) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث أبرص وأقرع وأعمى (٣٤٦٤) ومسلم في كتاب الزهد باب (٢٩٦٤).

يكون إلا لما هو متصف بذلك، بدون أمر الشارع، والأشعرية ادعوا: أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشارع ولا بالشرع.

وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة وهو الصواب»(١).

وعلى هذا فالعقل قد يدرك حسن الأشياء وقبحها قبل ورود الشرع في بعض الشرائع، وفي بعض الشرائع إنما يكتسبه بخطاب الشارع، وفي بعضها يكون المراد فعل المأمور به لا نفس الأمر فلا يتوجه الحسن والقبح له، أما الأدلة التي تدل على أن العقل يدرك الحسن والقبح قبل ورود الشرع وأنه لا يترتب على ذلك ثواب ولا عقاب حتى يرد الشرع:

ماجاء عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: «يارسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»(٢).

ما أخبر الله عنه من قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول كقوله لموسى: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾(٣).

وكذلك أمر الله الناس أن يتوبوا ويستغفروه مما فعلوه، فلو كان

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٣٤ـ ٤٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب: علامات النبوة (٣٦٠٦) ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٨٤٧).

(٣) سورة النازعات، آية: ١٩.

كالمباح المستوي الطرفين والمعفو عنه، وكفعل الصبيان والمجانين ما أمر الله بالاستغفار والتوبة، فعلم أنه كان من السيئات القبيحة، لكن الله لا يعاقب إلا بعد إقامة الحجة فقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[(١)].

وقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[(٢)]. فدل على أنها كانت ذنوباً قبل إنذاره إياهم.

وكذلك قال لوط لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾[(٣)]. فدل على أنها كانت فاحشة عندهم قبل أن ينهاهم[(٤)].

أمّا ما نسبه المؤلف إلى أهل السنة فقد قال به الأشاعرة، قال شيخ الإسلام: «وقيل لا قبح ولا حسن ولا شر قبل الخطاب، وإنما القبيح ما قيل فيه «لا تفعل»، والحسن ما قيل فيه «افعل»، أو ما أذن في فعله كما تقوله الأشعرية»[(٥)].

قال الجويني: «العقل لا يدل على حسن شيء ولا قبحه في حكم التكليف، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب

---

(١) هود، آية: ٣.
(٢) سورة نوح، الآيات: ١ـ ٤.
(٣) سورة الأعراف، آية: ٨٠.
(٤) انظر الفتاوى (١١/ ٦٧٨/ ٦٨٢).
(٥) المصدر نفسه (١١/ ٦٧٧).

السمع»[١].

وقال المكلاتي: «اعلموا ـ وفقكم الله ـ، وأن العقل عند الأشعرية لا يدل على حسن شيء، ولا على قبحه في حكم التكليف، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب السمع، وأن أفعال العباد ليست على صفات نفسية حسناً ولا قبحاً، بحيث لو أقدم عليها مقدم، أو أحجم عنها محجم لاستوجب على الله ثواباً أو عقاباً، وهو المختار عندنا»[٢].

وقال الأيجي: «القبيح ما نهي عنه شرعاً والحسن بخلافه، ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها، وليس ذلك عائداً إلى أمر حقيقي في الفعل يكشف عنه الشرع، بل الشرع هو المثبت له والمبين، ولو عكس القضية فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعاً، وانقلب الأمر»[٣].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة صواب، قال القاضي عبدالجبار: «إن العلم بأصول المقبحات، والواجبات، والمحسنات، ضروري وهو من جملة كمال العقل، ولو لم يكن ذلك معلوماً بالعقل، لصار غير معلوم أبداً، لأن النظر والاستدلال لا يتأتى إلا ممن هو كامل العقل، ولا يكون كذلك إلا وهو عالم ضرورة بهذه الأشياء ليتوجه عليه

---

(١) الإرشاد (٢٥٨).
(٢) لباب العقول (٣٠٢) دار الأنصار القاهرة.
(٣) المواقف في علم الكلام (٣٢٣).

التكليف»[١].

وقال: «كل عاقل يعلم بكمال عقله قبح كثير من الآلام كالظلم الصريح وغيره، وحسن كثير منها كذم مستحق للذم، وما يجرى مجراه»[٢].

* * *

(١) المحيط بالتكليف (٢٣٤).
(٢) شرح الأصول الخمسة (٤٨٤).

يسأل[١]: عن صفاتِ الذاتِ هي معاني زائدةٍ أم هي نفسُ الذاتِ؟

فإن قال: هي معاني زائدةٌ على صفاتِ الذات، فهو سني.

وإن أنكر ذلك، فهو معتزلي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[٢].

فوجه الدليل أنه أضاف الوجهَ إلى ذاته، والشيءُ لا يضاف إلى نفسه.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٣]، وعند المعتزلي ليس لله قدرة، وعند الأشعري لله قدرة واحدة، فدل على أن المرادَ به يدُ صفةٍ، وأيضاً قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾[٤]، وقوله: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾[٥]، وقوله: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[٦].

وغير ذلك بما وصف نفسه، فهي معانٍ زائدةٌ على الذات، نؤمن بها، ونُمرها كما جاءت[٧].

---

(١) هذه المسألة ليست في «م».
(٢) سورة الرحمن، آية: ٢٧.
(٣) سورة المائدة، آية: ٦٤.
(٤) سورة المجادلة، آية: ١.
(٥) سورة الحج، آية: ٧٥.
(٦) سورة النساء، آية: ١٦٦.
(٧) من قوله: ... دليلنا إلى قوله: ... نمرها كما جاءت» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة أهل السنة في هذه المسألة:

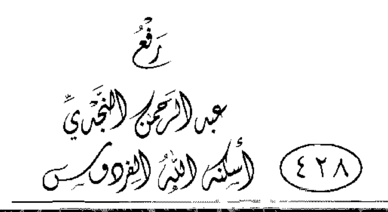
«وإذا قيل: هل صفاته زائدة على الذات أم لا؟ قيل: إن أريد بالذات المجردة التي يقر بها نفاة الصفات، فالصفات زائدة عليها، وإن أريد بالذات الذات الموجودة في الخارج فتلك لا تكون موجودة إلا بصفاتها اللازمة ، والصفات ليست زائدة على الذات المتصفة بالصفات، وإن كانت زائدة على الذات التي يقدَّر تجردها عن الصفات»[(١)].

وقال: «وإذا قال: من قال من أهل الإثبات للصفات: أنا أثبت صفات الله زائدة على ذاته: فحقيقة ذلك أن نثبتها زائدة على ما أثبتها النفاة من الذات فإن النفاة اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن الصفات، فقال أهل الإثبات: نحن نقول بإثبات صفات زائدة على ما أثبته هؤلاء.

وأما الذات نفسها الموجودة فتلك لا يتصور أن تتحقق بلا صفة أصلاً، بل هذا بمنزلة من قال: أثبت إنساناً لا حيواناً ولا ناطقاً ولا قائماً بنفسه، ولا بغيره ولا له قدرة ولا حياة ولا حركة ولا سكون أو نحو ذلك، أو قال: أثبت نخلة ليس لها ساق ولا جذع ولا ليف ولا

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/٩٧).



غير ذلك، فإن هذا يثبت مالا حقيقة له في الخارج ولا يعقل»[١].

وقال: «وهذا يشبه نزاع الناس في أن الصفات هل هي زائدة على الذات أم لا؟

فمن أراد بالذات «الذات المجردة» فالصفات زائدة عليها، ومن أراد بالذات «الذات الموصوفة» فليست الصفات مباينة للذات الموصوفة بصفاتها اللازمة لها»[٢].

قال شارح الطحاوية: «.. وكذلك مسألة الصفة: هل هي زائدة على الذات أم لا؟

لفظها مجمل، وكذلك لفظ الغير فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقته له.

ولهذا كان أئمة السنة ـ رحمهم الله تعالى ـ لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره ولا أنه ليس غيره، لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو، وإذا كان لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل: فإن أريد به أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، فهذا غير صحيح، وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتاً وصفة، كلاً

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٦).
(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٣٨).

وحده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال...»[١].

قال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: ... ولهذا كان الصواب على قول أهل السنة أن لا يقال في الصفات إنها زائدة على اسم الله، بل من قال ذلك فقد غلط عليهم، وإذا قيل: هل هي زائدة على الذات أم لا؟ كان الجواب أن الذات الموجودة في نفس الأمر مستلزمة للصفات فلا يمكن وجود الذات مجردة عن الصفات بل ولا يوجد شيء من الذوات مجرداً عن جميع الصفات بل لفظ الذات تأنيث (ذو) ولفظ (ذو) مستلزم للإضافة وهذا اللفظ مولّد وأصله أن يقال: ذات علم وذات قدرة وذات سمع كما قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ﴾[٢]، ويقال: فلانة ذات مال وجمال، ثم لما علموا أن نفس الرب ذات علم وقدرة وسمع وبصر ردوا على من نفى صفاتها ـ وعرفوا لفظ الذات ـ وصار التعريف يقوم مقام الإضافة بحيث إذا قيل: لفظ الذات فهو ذات كذا، فالذات لا يكون إلا ذات علم وقدرة ونحوه من الصفات لفظاً ومعنى.

وإنما يريد محققو أهل السنة بقولهم الصفات زائدة على الذات أنها زائدة على ما أثبته نفاة الصفات من الذات، فإنهم أثبتوا ذاتاً مجردة لا صفات لها، فأثبت أهل السنة الصفات زائدة على ما أثبته هؤلاء،

---

(١) شرح الطحاوية (١٢٩ـ ١٣٠) لابن أبي العز الحنفي طـ المكتب الإسلامي.
(٢) سورة الأنفال، آية: ١.

فهي زائدة في العلم والاعتقاد والخبر، لا زيادة على نفس الله ـ جل جلاله ـ بل نفسه المقدسة متصفة بهذه الصفات، لا يمكن أن تفارقها، ولا توجد الصفات بدون الذات، ولا الذات بدون الصفات»[١].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة صواب.

قال ابن المرتضي: فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً لا لمعانٍ..»[٢].

قال أبو الحسن الخياط: «إن الله ـ تعالى ـ لو كان عالماً بعلم، فإما أن يكون ذلك العلم قديماً أو يكون محدثاً، ولا يمكن أن يكون قديماً، لأن هذا يوجب وجود اثنين قديمين، وهو تعدد، وهو قول فاسد، ولا يمكن أن يكون علماً محدثاً لأنه لو كان كذلك، يكون قد أحدثه إما في نفسه أو في غيره أو لا في محل، فإن كان أحدثه الله في نفسه، أصبح محلاً للحوادث، وما كان محلاً للحوادث فهو حادث، وهذا محال، وإذا أحدثه في غيره كان ذلك الغير عالماً بما حله منه دونه، كما أن من حله اللون فهو المتلون به دون غيره، ولا يعقل أن يكون أحدثه لا في محل، لأن العلم عرض لا يقوم إلا في جسم، فلا يبقى إلا حال واحد، وهو أنه عالم بذاته»[٣].

---

(١) حاشية لوامع الأنوار (١/ ٤٤).

(٢) المنية والأمل (١٣) جمع ابن المترصي دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٥هـ ت عصام الدين محمد علي.

(٣) الانتصار (٨٣) دار الكتب المصرية ١٣٤٤هـ.

قال القاضي عبدالجبار: «فإن قيل: الواحد منا إذا كان عالماً قادراً كما يجب أن يكون حياً يجب أن يكون جسماً، فقولوا مثله في القديم تعالى: قلنا: هذا الذي ذكرتم إنما وجب في الواحد منا لعلة، تلك العلة مفقودة في القديم تعالى، وهي أن أحدنا عالم بعلم، وقادر بقدرة، والعلم والقدرة يحتاجان إلى محل مخصوص، والمحل المخصوص لا بد أن يكون جسماً، وليس كذلك القديم تعالى، لأنه تعالى قادر لذاته، فلا يجب إذا كان عالماً قادراً أن يكون جسماً، وإن وجب كونه حياً»[١].

وقال: «فإن قال: أتقولون إنه عز وجل عالم بعلم وقادر بقدرة، على ما يحكى عن الكلابية وهشام بن الحكم في العلم المحدث؟ قيل له: لا، بل نقول، عالم، قادر، حي، سميع بصير، قديم لذاته، لا يحتاج إلى أمر سوى ذاته يصح لأجله أن يستحق هذه الصفات، ولو كان لا يعلم إلا بعلم لكان محتاجاً في كونه عالماً إلى ذلك كالواحد منا..»[٢].

قول المؤلف «وعند المعتزلي ليس لله قدرة».

هذا يبطل به المؤلف تأويل من تأول اليد بالقدرة، فلو كان كذلك لكان له قدرتان وعند المعتزلة الله قادر بلا قدرة.

قال أبو رشيد النيسابوري: «وإذا وجب أن يكون قادراً وجب أن

---

(١) شرح الأصول الخمسة (١٦٢).

(٢) المختصر في أصول الدين (٢١٢) رسائل العدل والتوحيد.

يكون قادراً لا بقدرة، لأن كونه قادراً بقدرة يقدح في كونه قادراً أصلاً، فيكون كونه قادراً لما هو عليه»[١].

قال القاضي عبدالجبار: «. . . القديم لو كان قادراً بقدرة محدثة، والمحدث لا بد له من محدث، لكان محدثها لا يخلو، إما أن يكون نفس القديم تعالى، أو غيره من القادرين بالقدرة، ولا يجوز أن يكون غيرٌ من القادرين بالقدرة، لأن القادر بالقدرة لا يصح منه إيجاد القدرة، على أن وجود القادرين بالقدرة، يترتب على قدرة القديم تعالى، فلو ترتب قدرة القديم تعالى على قدرتنا لوقف كل من الأمرين على صاحبه، فلا يحصلان ولا واحد منهما، ولو كان محدثها نفس القديم تعالى، لوجب أن يكون قادراً قبل وجود هذه القدرة حتى يصح منه إيجادها، ولا تصح قدرته إلا بعد هذه القدرة، فيترتب كل واحد منهما على الآخر»[٢].

وقد تأول المعتزلة هذه الآية: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٣] بالنعمة.

قال أبو القاسم الرسي: «تأويل ذلك عند أهل العلم: بل نعمتان مبسوطتان»[٤].

---

(١) التوحيد (٤٩٤) وزارة الثقافة المصرية ت/ محمد أبوريدة، ١٩٦٩م.
(٢) شرح الأصول الخمسة (١٨٦ـ ١٨٧).
(٣) سورة المائدة، آية: ٦٤.
(٤) العدل والتوحيد ونفي التشبيه عن الله الوحيد الحميد (١٣٥) ضمن رسائل العدل والتوحيد.

وتأولوا قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[١] بالقوة.

قال القاضي عبدالجبار: «والجواب عنه أن اليد ههنا بمعنى القوة، وذلك ظاهر في اللغة، يقال مالي على هذا الأمر يد، أي قوة»[٢].

قال ابن القيم: «إنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٣].

وكقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[٤]، وقد يجمع النعم كقوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٥]، وأما أن يقول: خلقتك بقدرتين أو بنعمتين فهذا لم يقع في كلامه ولا كلام رسوله»[٦].

ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة من تأويل اليد بالقدرة صواب.

قال الأيجي: في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٧].

«وقال الأكثر أنهما مجاز عن القدرة فإنه شائع، وخلقته بيدي أي بقدرة كاملة..»[٨].

---

(١) سورة ص، آية: ٧٥.
(٢) شرح الأصول الخمسة (٢٢٨).
(٣) سورة البقرة، آية: ١٦٥.
(٤) سورة النخل، آية: ١٨.
(٥) سورة لقمان، آية: ٢٠.
(٦) مختصر الصواعق (٣٢٤) للموصلي ط/ دار الكتب العلمية.
(٧) سورة ص، آية: ٧٥.
(٨) المواقف (٢٩٨) ط/ عالم الكتب.

قال الجويني: «... والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة»[١].

وما ألزمهم المؤلف فهو لازم لهم وفي تأويلهم هذا مخالفة لأئمتهم المتقدمين كالباقلاني الذي أثبت صفة اليدين ورد على من تأولها بالقدرة على نحو ما ذكر المؤلف قال الباقلاني: «.. يقال لهم: هذا باطل لأن قوله «بيدي» يقتضي يدين هما صفة له، فلو كان المراد بهما القدرة، لوجب أن يكون له قدرتان، وأنتم تزعمون أن للباري ـ سبحانه ـ قدرة واحدة، فكيف يجوز أن تثبتوا له قدرتين! وقد أجمع المسلمون من مثبتي الصفات والنافين لها، على أنه لا يجوز أن يكون له تعالى قدرتان، فبطل ما قلتم»[٢].

* * *

(١) الإرشاد (١٥٥) ط/ الخانجي.
(٢) التمهيد ٢٥٩٠) ط/ مكارثي.

يسأل عن حد المتكلم؟

فإن قال: حدُ المتكلم من فعلَ الكلامَ، أي من خلق الكلام، فهو معتزلي.

وإن قال: من قام[١] الكلامُ بذاته، فهو أشعري، فإن عندهم كلامَ الباري قائم بذاته في نفسه، وكذلك قالوا: حدُ المتكلمِ من قامَ الكلامُ بذاته[٢].

وإن قال من وجدت منه ـ الحروف والأصوات ـ، فهو سني.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾[٣].

وقوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[٥].

ومعلوم أن بالكلام خلقَ الخلقَ، وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾[٦]، فكيف يكون كلاماً بلا حرف ولا صوت ولا سماع، ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾[٧]، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا

---

(١) في م: «أقام».
(٢) من قوله: «فإن عندهم إلى قوله: قام الكلام بذاته» ليست في م.
(٣) سورة البقرة، آية: ٧٥.
(٤) سورة التوبة، آية: ٦.
(٥) سورة النساء، آية: ١٦٤.
(٦) سورة النحل، آية: ٤٠.
(٧) سورة محمد، آية: ٢٣.

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾(١).

إذ شبهوا الله بالجمادات والأوثان والأصنام المصنعات وقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾(٢)، الآية(٣).

* * *

(١) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.
(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٨.
(٣) من قوله: «دليلنا إلى قوله: الآية» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف من حد المتكلم موافق لقول السلف:

قال الإمام أبو نصر السِّجزي: «اعلموا ـ أرشدنا الله وإياكم ـ أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي والصالحي والأشعري، وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم معهم، بل أخس حالاً منهم في الباطن في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق، وإن اختلفت به اللغات.

وعبر عن هذا المعنى الأوائل الذين تكلموا في العقليات، وقالوا: الكلام حروف متسقة وأصوات مقطعة.

وقالت العرب: الكلام: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، فالاسم مثل: زيد، وعمر، وحامد والفعل: مثل: جاء، وذهب، وقام، وقعد، والحرف الذي يجيء لمعنى مثل: هل، وبل وما شاكل ذلك.

فالإجماع منعقد بين العقلاء على الكلام حرفاً وصوتاً»[1].

وقال: «. . . ولا خلاف بين العقلاء في أن الطفل الرضيع أول ما يولد غير متكلم، وأن الأخرس والساكت ليسا بمتكلمين، وكذلك النائم في الغالب.

---

(١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص٨١.

وقد دل القرآن على أن القرآن هو النطق وذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[1]، والإنصات عند العرب ترك النطق.

فعلم بذلك أن السكوت والكلام لا يجتمعان في الوقت الواحد، في محل واحد.

ولا خلاف بين صدور علماء المسلمين في أن من قال في نفسه: عبدي حر من غير أن ينطق بذلك، لم يعتق عبده، ولو قال: عبدي حر نطقاً ثم قال: لم أنو بما قلت عتقه، حكم بعتق العبد ولم يلتفت إلى نيته.

فلما وجدنا أحكام الشريعة المتعلقة بالكلام منوطة بالنطق الذي هو حرف وصوت دون ما في النفس، علمنا أن حقيقة الكلام هي الحرف والصوت»[2].

قال أبو القاسم الأصبهاني: «أجمع المسلمون على أن القرآن كلام الله، وإذا صح أنه كلام الله صح أنه صفة لله ـ تعالى ـ، وأنه موصوف به، وهذه الصفة لازمة لذاته.

تقول العرب: «زيد متكلم» فالكلام صفة له لا نعرف إلا أن حقيقة هذه الصفة الكلام، وإذا كان كذلك، كان القرآن كلام الله، وكانت هذه

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.
(٢) رسالة السجزي (١٤٧).

الصفة لازمة له أزلية، والدليل على أن الكلام لا يفارق المتكلم أنه لو كان يفارقه لم يكن للمتكلم إلا كلمة واحدة، فإذا تكلم بها لم يبق له كلام، فلما كان المتكلم قادراً على كلمات كثيرة، كلمة بعد كلمة، دل على أن تلك الكلمات فروع لكلامه الذي هو صفة له ملازمة»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعامة ما يوجد في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة بل وسائر الأمم عربهم وعجمهم من لفظ الكلام والقول، وهذا كلام فلان، أو كلام فلان، فإنه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً لشموله لها، ليس حقيقة في اللفظ فقط كما يقوله قوم، ولا في المعنى فقط، كما يقوله قوم، ولا مشترك بينهما كما يقوله قوم، ولا مشترك في كلام الآدميين وحقيقة في المعنى في كلام الله كما يقوله قوم»(٢).

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة صواب.

قال القاضي عبدالجبار: «. . . وقد دل بعد هذه الجملة على أن المتكلم هو فاعل الكلام. . والذي يدل على صحة ذلك، هو أن أهل اللغة لما اعتقدوا تعلق الكلام بفاعله سموه متكلماً، ومتى لم يعتقدوا ذلك فيه لم يسموه به، وعلى هذا فإنهم أضافوا كلام المصروع إلى الجني، لما رأوا أن ذلك الكلام لا يتعلق به تعلق الفعل بفاعله فلوا جاز أن يقال في المتكلم: إنه ليس هو فاعل الكلام، لجاز مثله في

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٩٣).
(٢) مجموع الفتاوي ١٢٠/ ٤٥٦ـ ٤٥٧).

الشاتم، والضارب، والكاسر، وغير ذلك، فالطريقة في الجميع واحدة، وإن كان البعض أظهر من البعض، وقد عرف خلافه»[(١)].

ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة صواب، قال الغزالي: «.. ولكنا نقول الإنسان يسمى متكلماً باعتبارين أحدهما بالصوت والحرف، والآخر بكلام النفس الذي ليس بصوت وحرف، وذلك كمال وهو في حق الله ـ تعالى ـ غير محال...»[(٢)].

قال المكلاتي: «ذهب أهل الحق إلى أن المتكلم من قام به الكلام»[(٣)].

قال الجويني: «الكلام الحقيقي، شاهداً، حديث النفس»[(٤)].

قال الآمدي: «قد بينا فيما سلف، أن الكلام قضية واحدة، ومعلوم واحد قائم بالنفس وإن اختلاف العبارات والتعبيرات عنه، إنما هو بسبب اختلاف المتعلقات والنسب والإضافات، كما حققناه، فما يقع به التضاد أو الاختلاف أو التعدد فليس إلا في المتعلقات والتعلقات لا في نفس المتعلق»[(٥)].

قال الجويني في الإرشاد: «المتكلم عند أهل الحق من قام به

---

(١) شرح الأصول الخمسة (٥٣٥ـ ٥٣٦).
(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (١١٦).
(٣) لباب العقول (٢٦٦).
(٤) لمع الأدلة (١٠٣) عالم الكتب بيروت.
(٥) غاية المرام (١١٥ـ ١١٦).

الكلام..»[١].

قال الباقلاني: «ويجب أن يعلم أن الكلام الحقيقي هو المعنى الموجود في النفس..»[٢].

* * *

(١) الإرشاد (١٠٩).
(٢) الإنصاف (١٠٦).

يسأل: عن الخليقة إذا كان عدلاً[١] ثم فسق في الثاني[٢]، هل يُوجبُ خَلعه من الإمامة أم[٣] لا؟

فإن قال: يُوجب خلَعه، فهو معتزلي.

وإن قال: لا يوجب، فهو سني.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٤].

وقوله ﷺ: «**أطع من تولى عليك وإن كان عبداً حبشياً**»[٥][٦].

* * *

(١) في م «واعتمدت له الخلافة».

(٢) هكذا في الأصل وفي م: ولعل الصواب (الباقي).

(٣) الصواب لغة: «أو».

(٤) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٥) أخرجه مسلم بنحوه في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية تحريهما في المعصية ح (١٨٣٧).
وابن ماجه في كتاب الجهاد (٢٨٦٠) (١١٧١٦) (١٢٣٤١) من حديث أنس بن مالك ومسلم في كتاب الإمارة (١٨٣٨) والترمذي في كتاب الجهاد (١٧٠٦) والنسائي في كتاب البيعة (٤١٩٢).
وابن ماجه في كتاب الجهاد (٢٨٦١) وأحمد (١٦٢١٠) (١٦٢١٣) (٢٦٧٢٣) (٢٦٧١٥) من حديث أم الحصين بن إسحاق الأخمسية، ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء (١٨٣٧) وأحمد (٢٠٩١٨) (٢٠٩٩٠) من حديث أبي در.

(٦) من قوله: «دلينا إلى قوله: عبداً حبشياً» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة قال الإمام أحمد: «الجهاد ماض قائم مع الإمام براً أو فاجراً، ولا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل»(١).

وقال الإمام أحمد: «من خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق»(٢).

قال الإمام ابن بطة: «وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنساك والعباد والزهاد منذ أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا أن صلاة الجمعة والعيدين ومنى وعرفات والغزو والحج والهدي مع كل أمير برّ وفاجر.. والسمع والطاعة لمن ولوه وإن كان عبداً حبشياً إلا في معصية الله ـ عز وجل ـ فليس لمخلوق فيها طاعة»(٣) وقال: «.. ولا تخرج بالسيف على الأئمة وإن ظلموا..»(٤).

---

(١) السنة ضمن شذرات البلاتين (٤٦).
(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٢٤٤).
(٣) الإبانة الصغرى (٦٧ـ ٦٨) ت هنري لوست ١٩٥٨م.
(٤) الإبانة الصغرى (٦٧).

قال الإمام الآجري: «باب في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين، والصبر عليهم وإن جاروا، وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة»[(١)].

قال الإمام الصابوني: «ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم، براً كان أو فاجراً، ويرون جهاد الكفار معهم، وإن كانوا جورة فجرة.

ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف»[(٢)].

قال الإمام الطحاوي: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولاندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ـ عز وجل ـ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»[(٣)].

قال الإمام الموفق ابن قدامة: «ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، برهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله»[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة؛ لأمر الله بطاعتهم، فمن أطاع الله

---

(١) الشريعة (١/١٥٨) ط/ قرطبة.
(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٩٤).
(٣) شرح الطحاوية (٤٢٨).
(٤) لمعة الاعتقاد (١٩٨) ط/ دار الأثير.

ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعوه عصاهم، فماله في الآخر من خلاق»[١].

وقال: «ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ»[٢].

قال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»[٣].

وقال ﷺ: «على المرأ السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»[٤].

وقال ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، فقلنا: يارسول الله أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: لا، ماأقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وآل فرآه يأتي شيئاً من

---

(١) قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ وولاة الأمور، ص٦.

(٢) منهاج السنة (٣/ ٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ح (٧١٤٢) ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ح (١٨٣٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ح (٧١٤٢)، ومسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ح (١٨٣٩).

معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يداً من طاعة»[١].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة صواب.

قال القاضي عبدالجبار: «فأما الأحداث التي يخرج بها من كونه إماماً فظهور الفسق، سواء بلغ حد الكفر أو لم يبلغ؛ لأن ذلك يقدح في عدالته»[٢].

وقال: «... لا فرق بين الفسق بالتأويل وبين الفسق بأفعال الجوارح في هذا الباب عند مشايخنا.

وهذا مما لا خلاف فيه؛ لأنهم أجمعوا أنه يهتك بالفجور وغيره، وكذا أنه لا يبقى على إمامته»[٣].

قال الأشعري في المقالات: «واختلف الناس في السيف، فقالت المعتزلة والزيدية والخوارج وكثير من المرجئة ذلك واجب إذا أمكننا أن نزيل بالسيف أهل البغي ونقيم الحق»[٤].

قال البلخي: «وأجمعوا أن على المسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجبان بأي جهة استطاعو هما، بالسيف فما دونه»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم ح (١٨٥٥).
(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٢٠/ ١٧٠).
(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٢٠/ ١٧٠).
(٤) المقالات (٢/ ١٤٠).
(٥) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (٦٤) لابن القاسم البلخي ـ والقاضي عبدالجبار والحاكم الجشمي، الدار التونسية للنشر ١٣٩٣ هـ ت فؤاد سيد.

يسأل: عن الأمر المطلقِ[١]، هل هو على الوجوب أم[٢] لا؟

فإن قال: على[٣] الوجوب، فهو سني.

وأن قال: لا[٤]، فهو أشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٥].

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[٦]، ومثلُ هذا في القرآن كثير، وفي أخبار رسول الله ﷺ أكثر من يحصى[٧].

* * *

(١) في م: «من الله تعالى».

(٢) الصواب: «أو».

(٣) في م: «هو على».

(٤) في م: «على الوقف».

(٥) جزء من آية رقم (٤٣) و(٨٣)، و(١١٠) سورة البقرة و(٧٧) و(١٠٣) سورة النساء و(٥٦) سورة النور و(٢٠) المزمل، وقد كتب في الأصل (أقيموا) بدون الواو، والصواب ما أثبته.

(٦) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٧) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: أكثر من أن يحصى» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الأمر المطلق يدل على الوجوب:

قال الخطيب البغدادي: «فإذا تجردت صيغة الأمر اقتضت الوجوب، والدليل عليه قول الله سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[1].

وقول النبي ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»[2]، فدل على أنه لو أمر لوجب وشق[3].

قال ابن النجار الحنبلي: «الأمر في حالة كونه مجرداً عن قرينةٍ حقيقة في الوجوب عند جمهور العلماء من أرباب المذاهب الأربعة»[4].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي «والحق أن الأمر للوجوب إلا بدليل صارف عنه لقيام الأدلة كقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾[5].

فالتحذير من الفتنة والعذاب الأليم في مخالفة الأمر يدل على أنه

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب السواك يوم الجمعة (٨٨٧) ومسلم في كتاب الطهارة باب السواك (٢٥٢).
(٣) الفقيه والمتفقه (٦٧ـ ٦٨) ط/ الإفتاء ١٣٨٩هـ ت إسماعيل الأنصاري.
(٤) شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٩) ط جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ.
(٥) سورة النور، آية: ٦٣.

للوجوب، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١].

فإنه جعل أمر الله ورسوله مانعاً من الاختيار وذلك دليل الوجوب، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾[٢]، فهو ذم على ترك امتثال الأمر بالركوع، ودليل الوجوب، وقوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[٣]، فقرَّعه على مخالفة الأمر، وهو دليل الوجوب، وقوله: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾[٤] فهو دليل على أن مخالفة الأمر معصية، وذلك دليل الوجوب»[٥].

قال مجد الدين أبو البركات ابن تيمية: «الأصل في الأمر الوجوب، نص عليه في مواضع، وبه قال عامة المالكية وجمهور الفقهاء والشافعي وغيره»[٦].

ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة فقد اختلفت أقوال العلماء في نسبة هذا المذهب للأشعري.

فقال أبو إسحاق الشيرازي: «وأما مذهب الأشعرية فإن أباالحسن الأشعري ـ أملى على أصحاب أبي إسحاق المرْوَزي ببغداد أن الأمر

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.
(٢) سورة المرسلات، آية: ٤٨.
(٣) سورة الأعراف، آية: ١٢.
(٤) سورة طه، آية: ٩٣.
(٥) مذكرة في أصول الفقه (٢٢٩ـ ٢٣٠) ط/ مكتبة ابن تمية لقاهرة ١٤٠٩هـ.
(٦) المسودة (٥) مطبعة المدني.

يقتضي الوجوب، والقاضي أبوبكر الباقلاني قال: يتوقف فيه وقال: لا يحمل على ندب ولا وجوب إلا بدليل»[١].

قال الآمدي في بيان مقتضى الأمر المطلق: «قال الشافعي في قول وجماعة من الفقهاء والمتكلمين كأبي الحسن البصري والجبائي في أحد قوليه إنه للوجوب ومجاز فيما عداه، وقال أبو هاشم وجماعة من المتكلمين وجماعة من الفقهاء: إنه للندب.

وقال الشيعة: إنه مشترك بينهما، وتوقف الأشعري ومن تابعه في ذلك وهو الحق»[٢].

قال الجويني: «المشهور من مذهب الجمهور أن الصيغة التي فيها الكلام للإيجاب إذا تجردت عن القرائن، وهذا مذهب الشافعي ـ رحمه الله ـ، والمتكلمون من أصحابنا مجمعون على إتباع أبي الحسن في الوقف..»[٣].

فأنت ترى أن المنسوب للأشعري القول بالوجوب والقول بالتوقف، والمؤلف نسب المنع للأشاعرة ولكن لم يبين قولهم.

أما الأشاعرة فقد تنوعت آراؤهم في هذه المسألة، فمنهم من قال بقول الجمهور كالشيرازي فقد قال: «صيغة الأمر بمجردها تقتضي الإيجاب في قول أكثر أصحابنا وهو قول

---

(١) شرح اللمع (١/ ٢٠٦) ط/ دار الغرب الإسلامي.
(٢) منتهى السول في علم الأصول (٢/ ٥) ط محمد علي صبيح.
(٣) البرهان (١/ ١٥٩) ط/ دار الوفاء.

الفقهاء»[١].

وقال الرازي: «والحق عندنا أن لفظة «افعل» حقيقة في الترجيح المانع من النقيض وهو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين»[٢].

ومنهم من قال بالتوقف تبعاً لشيخه أبي الحسن الأشعري في هذه المسألة كالآمدي كما تقدم والغزالي.

قال الغزالي: «وقد ذهب ذاهبون إلى وضعه للوجوب وقال قوم: بل للندب، وقال قوم يتوقف فيه، ثم منهم من قال: هو مشترك، كلفظ العين، ومنهم من قال: لا ندري أيضاً أنه مشترك، أو وضع لأحدهما واستعمل في الثاني مجازاً والمختار أنه يتوقف فيه»[٣].

* * *

(١) شرح اللمع (١/ ٢٠٦).
(٢) المحصول (١/ ٦٦) ط جامعة الإمام.
(٣) المستصفى (١/ ٤٢٣).

يسأل: عن الحرام هل هو رزق من الله للجهال أم[١] يأكلون من غير ما قُدِّر لهم[٢]؟

فإن قال به، فهو سني.

وإن قال غيره، فهو معتزلي.

دليلنا: قوله ﷺ: «**فرغ الله من أربع: من الخَلْقِ، والخُلُق والرزق، والأجل**»[٣]، وقال ـ عليه السلام ـ: «**كل ميسر لما خلق له رزق رزقه الله غيرَ أنه رزق مسخوط عليه يأكله ومغضوب**»[٤][٥]. .[٦]. . . .[٧]

---

(١) الصواب: «أو».

(٢) في م: «يسأل عن الحرام هل هو رزق من الله تعالى أم لا؟
فإن قال: هو من الله تعالى، فهو سني، وإن قال: ليس هو رزق من الله عز وجل فهو معتزلي».

(٣) لم أجده بهذا اللفظ وأخرجه بمعناه ابن حبان في صحيحه ح (٦١٥٠) بلفظ «فرغ الله إلى كل عبد من خمس من رزقه وأجله وعمله وأثره ومضجعه» وأبوداود الطيالسي (٩٨٤) والقضاعي في مسند الشهاب (٦٠٢) والإمام أحمد في المسند (٢١٢١٥) كلهم من حديث أبي الدرداء.

(٤) أخرج الجزء الأول من الحديث: «كل ميسر لما خلق له» البخاري في كتاب التوحيد باب قوله: ولقد يسرنا الذكر (٧٥٥١)، ومسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي (٢٦٤٩) وأبوداود في كتاب السنة (٤٧٠٩)، وأحمد في المسند (١٩٨٤٧) وابن حبان في صحيحه (٣٣٣)، والنسائي في الكبري (١١٦٨٠) والطبراني في المعجم الكبير (٤٢٣٥) كلهم من حديث عمران بن حصين، أما باقي لفظ الحديث فلم أجده.

(٥) من قوله: «دليلنا... إلى قوله... ومغضوب» ليست في م.

(٦) ما بعد كلمة «مغضوب» ساقط من المخطوط. وقد وجدت الساقط بعد أكثر من مسألة، فأضفته إلى هذه المسألة إتماماً للكلام.
وقد وجدت الساقط بعد أكثر من مسألة فأضفته إلى هذه المسألة إتماماً للكلام.

(٧) هذه المسألة تابعة لمسألة هل الحرام من رزق الله؟

عليه وأكله ممقوت محرم وقال ﷺ: «إن الله حرم لحما غُذِي بالحرام على الجنة»[١] «ولعن شاربَ الخمر وحاملَه ومحموله وعاصره ومعتصره»[٢] «ولعن آكل الربا وموكله»[٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾[٤] لأن له إرادة بغير أمر وأمرٌ[٥] بغير إرادة.

* * *

(١) أخرجه عبد بن حميد في المنتخب (٣) وأبو يعلى في المسند (٨٣) (٨٤) من حديث أبي بكر الصديق.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البيوع (١٢٩٥)، وابن ماجه في كتاب الأشربة (٣٣٨١) من حديث أنس بن مالك بسند حسن، وأبو داود في كتاب الأشربة (٣٦٧٤)، وابن ماجه في كتاب الأشربة (٣٣٨٠)، وأحمد (٤٧٧٢) (٥٣٦٧) (٥٦٨٣) من حديث ابن عمر بسند صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب: موكل الربا (٢٠٨٦) ومسلم في كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا (١٥٩٧) وأبوداود في كتاب الترجل (٣٣٣٣) والترمذي في كتاب البيوع (١٢٠٦) والنسائي في كتاب الطلاق (٣٤١٦) وابن ماجه في كتاب التجارات (٢٢٧٧) والدارمي (٢٥٣٥) وأحمد (٢٧٣٥) كلهم من حديث عبدالله بن مسعود.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٨.

(٥) هكذا في المخطوط، والصواب لغة «وأمراً».

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف يوافق معتقد أهل السنة والجماعة سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عن الخمر والحرام: هل هو رزق الله للجهال؟ أم يأكلون ما قدر لهم؟

فأجاب: إن لفظ «الرزق» يراد به ما أباحه الله ـ تعالى ـ للعبد وملكه إياه، ويراد به ما يتغذى به العبد.

فالأول: كقوله: ﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾[١]، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾[٢].

فهذا الرزق هو الحلال، والمملوك لا يدخل فيه الخمر والحرام.

والثاني: كقوله: ﴿۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[٣].

والله ـ تعالى ـ يرزق البهائم، ولا توصف بأنها تملك، ولا بأنه أباح الله ذلك لها إباحة شرعية، فإنه لا تكليف على البهائم ـ وكذلك الأطفال والمجانين ـ لكن ليس بمملوك لها وليس بمحرم عليها، وإنما الحرام بعض الذي يتغذى به العبد، وهو من الرزق الذي علم الله أنه يتغذى به، وقدر ذلك بخلاف ما أباحه وملكه، كما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**يجمع خلق أحدكم في بطن أمه**

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٤.
(٢) سورة البقرة، آية: ٣.
(٣) سورة هود، آية: ٦.

أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال: اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح قال: فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[١].

والرزق الحرام مما قدره الله، وكتبته الملائكة هو داخل تحت مشيئة الله وخلقه، وهو مع ذلك قد حرّمه ونهى عنه، فلفاعله من غضبه وذمه وعقوبته ما هو أهله[٢].

وقال شيخ الإسلام: «وأما الرزق الذي ضمنه الله لعباده، فهو قد ضمن لمن يتقيه أن يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وأما من ليس من المتقين فضمن له ما يناسبه، بأن يمنحه ما يعيش به في الدنيا، ثم يعاقبه في الآخرة، كما قال عن الخليل: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾[٣].

قال الله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة (٣٢٠٨) ومسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق الأدمي (٢٦٤٣).

(٢) الفتاوى (٨/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦).

(٣) سورة البقرة، آية: ١٢٦.

ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾[(١)].

والله إنما أباح الرزق لمن يستعين به على طاعته، لم يبحه لمن يستعين به معصيته بل هؤلاء وإن أكلوا ما ضمنه لهم من الرزق فإنه يعاقبهم كما قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ﴾[(٣)].

فإنما أباح الأنعام لمن يحرم عليه الصيد في الإحرام.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾[(٤)]، فكما أن كل حيوان يأكل ما قدر له من الرزق، فإنه يعاقب على أخذ ما لم يبح له، سواء كان محرم الجنس، أو كان مستعيناً به على معصية الله، ولهذا كانت أموال الكفار غير مغصوبة، بل مباحة للمؤمنين، وتسمى فيئاً إذا عادت إلى المؤمنين، لأن الأموال إنما يستحقها من يطيع الله لا من يعصيه بها، فالمؤمنون يأخذونها بحكم الاستحقاق، والكفار يعتدون في إنفاقها كما أنهم يعتدون في أعمالهم، فإذا عادت إلى المؤمنين فقد فاءت إليهم كما يفيء المال إلى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٢٦.
(٢) سورة البقرة، آية: ١٢٦.
(٣) سورة المائدة، آية: ١.
(٤) سورة المائدة، آية: ٩٣.

مستحقه»[١].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة صواب، فهم يقولون: الحرام ليس من رزق الله.

قال القاضي عبدالجبار: «وبعد، فإن الحرام مما يقع به اغتذاء، ثم لا يجوز أن يكون رزقاً، فإن قيل: من أين أن الحرام لا يجوز أن يكون رزقاً؟ قلنا: لأن الله ـ تعالى ـ منعنا من إنفاقه واكتسابه، فلو كان رزقاً لم يجز ذلك.

وبعد، فإن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾[٢].

وأيضاً، فإنه تعالى مدحنا بإنفاق ما رزقناه، حيث قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[٣] ومعلوم أنه لا يجوز أن يمدح على الإنفاق من الحرام، فصح لنا ما ذكرناه، فهذه طريقة القول فيه»[٤].

قال القاضي أبو يعلى: «والله يرزق الحلال والحرام، خلافاً للمعتزلة في قولهم إن الله سبحانه لا يرزق الحرام والدلالة عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[٥]، وأضاف الرزق إليه، والرزق ما كان غذاء لأبدانهم وقواماً لأجسامهم على ما بينَّا، وهذا

---

(١) الفتاوى (٨/ ٥٤٣ـ ٥٤٤).
(٢) سورة يونس، آية: ٥٩.
(٣) سورة البقرة، آية: ٣.
(٤) شرح الأصول الخمسة (٧٨٧ـ ٧٨٨).
(٥) سورة الذاريات، آية: ٥٨.

يحصل بالحرام، كما يحصل بالحلال، فإن الأجسام تغذى بالحرام ولأن الأمة مطبقة على أن الإنسان لا يأكل إلا رزقه، ولا يأخذ إلا ما قسم له؛ ولأن الأمة مطبقة في الرغبة إلى الله ـ تعالى ـ ألا يرزقهم الحرام وأن يرزقهم الحلال»[١].

* * *

(١) المعتمد (١٥٠).

. . .[١] . . . وقوله: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝﴾[٢].

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[٣]، الآية[٤].

* * *

---

(١) أول هذه المسألة ساقط من أصل المخطوطة وهو متصل بالسقط في المسألة السابقة إلا أن الكلام في هذه المسألة على الاستواء على العرش.
يوضح هذا أن في م: «يسأل عن الباري جل جلاله هل هو العرش أم لا؟
فإن قال: هو على العرش، فهو سني. وإن قال: لا، فهو أشعري أو معتزلي» وقد تقدم بحث هذه المسألة، ص١٨٥.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

(٣) سورة يونس، آية: ٣.

(٤) هذه الأدلة ليست في م.

يسأل عن النزول؟

فإن قال: ينزل كل ليلة، فهو سني.

وإن أنكر، فهو أشعري[(١)].

دليلنا: قوله ـ عليه السلام ـ: «**ينزل الله كلَّ ليلة إلى سماءِ الدنيا**»[(٢)]، وينزل «نصفَ شعبانَ»[(٣)]، و«ليالي الجمعة»[(٤)]، و«ينادي هل من تائب فأتوب عليه؟هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه

---

(١) في م: «يسأل عن قول النبي ﷺ: «إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا من سائل فأعطيه سؤله؟ ألا من مستغفر فأغفر له؟ ألا من تائب فأتوب عليه؟ فإن آمن به وأمره كما جاء، فهو سني. وإن قال: ينزل قدرته، فهو أشعري». .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل (٦٣٢١) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء. . (٧٥٨) والترمذي في كتاب الدعوات (٣٤٩٨) وأبو داود في كتاب السنة (٤٧٣٣) وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٦٦) وأحمد (٧٥٣٨) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه أحمد من حديث من عبدالله بن عمرو بن العاص (٦٦٠٤) وفيه ابن لهيعة، قال ابن حجر: «صدوق خلط بعد احتراق كتبه»، قال ابن مهدي: «ما أعتد بشيء سمعته منه».

قال أحمد بن حنبل: ما كتب عنه قديماً فسماعه صحيح. انظر التهذيب (١٥٣٢).

وابن ماجه (١٣٨٨) من حديث علي بن أبي طالب وفيه أبو بكر بن عبدالله ابن أبي سبرة ت ١٦٢هـ ضعيف انظر التهذيب (٢١٠٥٨).

والترمذي في كتاب الصوم (٧٣٩) من حديث عائشة وفيه الحجاج بن أرطاة ضعيف وقد عنعن انظر التهذيب (١٣٠٤٧).

(٤) نزول الرب يوم الجمعة روي فيه حديث أخرجه الجوزقاني (ح٧٥ ص٨٠) عن ابن عباس مرفوعاً.

قال الجوزقاني: كذب موضوع باطل وأورده السيوطي في اللآلي المصنوعة (١/٢٧).

سؤله؟»[١].

وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[٢]، جوزنا في ذلك اليوم فكذلك هاهنا[٣][٤].

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل (٤٧٣٣).
وانظر تخريجه مفصلاً رقم «٢» في الحاشية.

(٢) سورة الفجر، آية: ٢٢.

(٣) يريد المؤلف أنه إذا كان الرب يجيء يوم القيامة للفصل فكذلك فهو ينزل إلى السماء الدنيا كما يليق بجلاله لا يماثل نزول المخلوق (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

(٤) من قول: «دليلنا.. إلى قوله... فكذلك هنا» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «نزول الرب ـ تبارك وتعالى ـ إلى سماء الدنيا في كل ليلة استفاضت به السنة عن النبي ﷺ واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول والنبي ﷺ قال ذلك علانية، بلّغه الأمة تبليغاً عاماً لمْ يخص به أحداً دون أحد، وكانت الصحابة والتابعون تذكره وتأثره وتبلغه وترويه في المجالس الخاصة والعامة، وهو في جميع كتب أهل الإسلام كصحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك، ومسند الإمام أحمد وسنن أبي داود والنسائي وأمثال ذلك من كتب المسلمين»[(١)].

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني: «ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب ـ سبحانه وتعالى ـ كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله»[(٢)].

وقال الحافظ تقي الدين عبدالغني المقدسي: «تواترت الأخبار وصحت الآثار بأن الله ـ عز وجل ـ ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فيجب

---

(١) انظر شرح حديث النزول (٥) ط المكتب الإسلامي.
(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٩١).

الإيمان به والتسليم له وترك الاعتراض عليه، وإمراره من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تنزيه ينفي حقيقة النزول»[(١)].

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له**»[(٢)].

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي: «فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب ـ تبارك وتعالى ـ في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد ولايمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله ﷺ برَدٍّ وتشمروا لدفعها فقالوا: كيف نزوله هذا؟ قلنا: لم نكلف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلاً أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول، والإيمان بقول رسول الله ﷺ في نزوله واجب، ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل وهم يسألون، لأنه القادر على ما يشاء أن يفعله كيف يشاء، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا

---

(١) عقيدة الحافظ تقي الدين المقدسي (٥٠) ت البصيري.

(٢) البخاري في كتاب الدعوات باب: الدعاء نصف الليل ٦٣٢١٠) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ح (٧٥٨).

ما أقدره الله تعالى عليه: كيف يصنع؟ وكيف يقدر؟»[١].

ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة صواب وقد اختلفت أقوالهم في تأويل معنى النزول في الحديث.

قال ابن فورك في تأويل هذا الحديث: «يحتمل أن يقال: إن معناه أن يظهر رحمته لهم وإجابته لدعائهم، وأنه من له أن لا يجيب ولا يرحم..

ويحتمل أيضاً: أن يكون معناه نزول ملائكته بأمره، فيضاف إليها النزول على معنى ما وقع بأمره...»[٢].

قال الجويني: «والوجه حمل النزول، وإن كان مضافاً إلى الله تعالى، على نزول ملائكته المقربين، وذلك سائغ غير بعيد.

ومما يتجه في تأويل الحديث أن يحمل النزول على إسباغ الله نعماءه على عباده مع تماديهم في العدوان وإصرارهم على العصيان..»[٣].

قال الآمدي: «وأما خبر النزول فإنه يحتمل أن يكون المراد النزول بمعنى اللطف والرحمة، وترك ما يليق بعلو الرتبة وعظم الشأن، والاستغناء الكامل المطلق»[٤].

---

(١) الرد على الجهمية (٩٤) دار ابن الأثير.
(٢) مشكل الحديث (٤٧٢) عالم الكتب.
(٣) الإرشاد (١٦٢) الخانجي.
(٤) غاية المرام (١٤٢).

قال الرازي: «النوع الثاني من الكلام في هذا الحديث بناؤه على التأويل على سبيل التفصيل وهو أن يحمل هذا النزول على نزول رحمته إلى الأرض في ذلك الوقت.

أو أن جمعاً من أشراف الملائكة ينزلون في ذلك الوقت بأمر الله...»[١].

* * *

(١) أساس التقديس (١٤٥ـ ١٤٦).

يسأل[١]: «عن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن[٢]»[٣].

فإن قال: به، فهو سني.

وإن أنكره، فهو أشعري ومعتزلي.

دليلنا: قوله ﷺ: «يا مقلبَ القلوبِ ثبت قلبي على دينك ورضاك»[٤].

وقوله ـ عليه السلام ـ: «القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما يشاء، إن شاء أقامها وإن شاء أزاغها»[٥][٦].

---

(١) هذه المسألة ليست في «م».

(٢) كتب في الهامش: «قال مالك بن دينار: وجدت في بعض الكتب: إن الله تعالى قال: أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليهم رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليهم نقمة، لا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم» تفسير هشام.

(٣) أخرجه مسلم ك القدر باب: تصريف القلوب (٢٦٥٤) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب القدر ح (٢١٤٠) وقال حديث حسن وأحمد في المسند من حديث أنس بن مالك (١١٦٩٧) و(١٣٢٨٤) ومن حديث أم سلمة (٢٦١٣٩) أما زيادة ورضاك فلم أجدها بنصها وفي مسند أحمد «وطاعتك» بدل ورضاك) ح (٢٥٦٠٢) من مسند عائشة.

(٥) أخرجه مسلم بنحوه في كتاب القدر باب تصريف الله القلوب (٢٦٥٤) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص والترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٢٢) (٢٤٠٨٣) (٢٦٠٣٦) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٦) من قوله: «دليلنا.. إلى قوله: .. أزاغها» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة، فهم يقرون بهذا الحديث ويثبتون لله صفة الأصابع كما جاء النص بها.

فعن النوّاس بن سمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه»(١).

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «أن حبراً من اليهود قام إليه فقال: أبلغك أن الله يحمل يوم القيامة السموات على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، والخلائق على أصبع ثم يهزهن ويقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ تعجباً لما قال الحبر وتصديقاً له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾»(٢)(٣).

قال القاضي أبو يعلى: قال الإمام أحمد في رواية أبي طالب: «قلب العبد بين أصبعين، وخلق آدم بيده، وكلما جاء الحديث مثل هذا قلنا به»(٤).

قال الإمام ابن بطة: «ثم الإيمان والقبول والتصديق بكل ما روته

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص ٤٢٤.
(٢) سورة الزمر، آية: ٦٧.
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ ح (٧٤٥١).
(٤) طبقات الحنابلة (١/ ٢٩).

العلماء ونقله الثقات: أهل الآثار عن رسول الله ﷺ ويلقاها بالقبول لا ترد بالمعاريض ولا يقال لم وكيف؟، ولا تحمل على المعقول، ولا تضرب لها المقاييس، ولا يعمل التفاسير إلا ما فسره رسول الله ﷺ أو رجل من علماء الأمة ممن قوله شفاء وحجة، مثل أحاديث الصفات والرؤية، ومثل ما روي **«أن الله ـ عز وجل ـ يضع السماوات علي أصبع والأرضين على أصبع، وأن الله عز وجل يضع قدمه في النار فتقول قط قط، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»**[1].

ما قرره المؤلف عن الأشاعرة صواب فهم لا يثبتون الحديث على ظاهره، بل يتأولونه.

قال الغزالي: «كقوله ﷺ **«قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن»**، فإنه عند الجاهل يخيل عضوين مركبين من اللحم والعظم والعصب مشتملين على الأنامل والأظفار، نابتين من الكف، وعند العالم يدل على المعنى المستعار له دون الموضع له وهو ما كان الأصبع له، وكان سر الأصبع وروحه وحقيقته، وهو القدرة على التقليب كما يشاء»[2].

قال الرازي في تأويل هذا النص: «والتأويل الصحيح فيه: أن الشيء الذي يأخذه الإنسان بأصبعه يكون مقدور قدرته، ومحل تصرفه على وجه السهولة من غير ممانعة أصلاً، ولما كانت الإصبع سبباً لهذه المكنة والقدرة، جعل لفظ الإصبع كناية عن تلك القدرة

---

(١) الإبانة الصغرى (٥٦).

(٢) الاقتصاد (٣٥) ط الكليات أنقرة.

الكاملة»[١].

قال الإمام الدارمي في نقض هذه الشبهة: «في أي لغات العرب وجدت أن أصبعيه قدرتيه؟ فأنبئنا بها، فإنا قد وجدناها خارجة عن جميع اللغات إنما هي قدرة واحدة قد كفت الأشياء كلها وملأتها واستطاقتها»[٢].

قال ابن فورك: «وقال بعض أهل العلم: الأصبعين ههنا بمعنى النعمتين»[٣].

قال ابن قتيبة في الرد على هذا: «فإن قال لنا: ما الأصبع عندك ههنا؟

قلنا: هو مثل قوله في الحديث الآخر: يحمل الأرض على أصبع وكذا على أصبعين ولا يجوز أن تكون الأصبع ههنا نعمة وكقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[٤].

ولا يجوز ذلك، ولا نقول أصبع كأصابعنا، ولا يد كأيدينا، ولا قبضة كقبضتنا، لأن كل شيء منه عز وجل لا يشبه شيئاً منا»[٥].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة جار على أصولهم ولكن لم أقف لهم على تأويل لهذا الحديث.

---

(١) أساس التقديس (١٧٨).

(٢) نقض الدارمي على بشر (٥٩) ط/ أنصار السنة.

(٣) مشكل الحديث (٢٣٨).

(٤) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٥) تأويل مختلف الحديث (٢٠٩ـ ٢١٠) الكليات الأزهرية ١٣٨٦هـ صححه محمد زهري النجار.

يسأل[١]: عن السموات والأرض هل هما في قبضته يوم القيامة أم[٢] لا؟

فإن قال: به، فهو سني.

وإن أنكره فهو أشعري، وكافر بالله[٣].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[٤]، وقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[٥][٦]، الآية[٧].

* * *

---

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) الصواب لغة «أو».

(٣) انظر التعليق ص٩٦.

(٤) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

(٦) كتب في الأصل (كطي السجل للكتاب)، وقراءة حفص التي اعتمدها المؤلف في الآيات (الكتب) بضم الكاف والتاء من غير ألف على الجمع وقرأ خلف والباقون بكسر الكاف وفتح التاء، وألف بعدها على الإفراد، وهذه القراءة توافق ماكتبه المؤلف (الكتاب). انظر: البدور الزاهرة (٢١١) لعبد الفتاح القاضي، وإتحاف فضلاء البشر لابن البناء (٣١٢).

(٧) من قوله: «دليلنا إلى قوله: الآية» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة.

فهم يؤمنون بأن من صفاته الفعلية، القبض وأنه يقبض الأرض بإحدى يديه ويطوي السماء بيمينه، وكلتا يديه يمين، وأن من صفاته الذاتية القبضة.

قال الإمام ابن خزيمة:

«باب تمجيد الرب ـ عز وجل ـ نفسه: عند قبضته الأرض بإحدى يديه، وطيه السماء بالأخرى، وهما يمينان لربنا، لا شمال له تعالى[١] ربنا عن صفات المخلوقين»[٢].

وقال الإمام ابن القيم: «إن اقتران لفظ الطي والقبض والإمساك باليد يصير المجموع حقيقة هذا في الفعل، وهذا في الصفة»[٣].

وقد جاء كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بإثبات هذه الصفة لله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[٤].

---

(١) لعل مراد ابن خزيمة أن اليمن وصف لليدين جميعاً، وإلا فقد جاءت الروايات الصريحة بتسمية الشمال كما في رواية مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه، ك صفة القيامة ح (٢٧٨٨).

(٢) التوحيد (١/١٧٠) ط/ الرشد.

(٣) مختصر الصواعق (٢/٣٢٣) ط/ الكتب العلمية.

(٤) سورة الزمر، آية: ٦٧.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآيات يوماً على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ الآية.

ورسول الله ﷺ يقول: هكذا بأصابعه يحركها يمجد الرب نفسه أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أن الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به»[1].

كما جاء وصف اليد بالبسط كذلك فيما رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس**»[2].

وما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة صواب فهم يتأولون القبضة.

قال الرازي: «يقال: إن الأرض في قبضته، إلا أن هذا الكلام كما يذكر ويراد به احتواء الأنامل على الشيء، فقد يذكر ويراد به كون الشيء في قدرته وتصرفه وملكه، يقال: هذه البلدة في قبضة السلطان، والمراد ما ذكرناه»[3].

قال ابن فورك: «وقبضه لهما يحتمل أن يكون بمعنى إفنائهما

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ح (٥٥٧٦) (٥٣٩١) وهو في مسلم بنحوه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٨) وإسناد أحمد صحيح.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب (٢٧٥٩).
(٣) أساس التقديس (١٦٩) الكليات الأزهرية.

كقول القائل: قبض الله روح فلان إليه إذا فناه...

وقيل: يفنيهما بيمينه أي بقسمه التي أقسم بها ثم يعيدها»[١].

قال ابن جماعة: «وأما قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فمعناه أن قوته وقدرته عليها وعلى إذهابها كقوة أحدكم وقدرته وتمكنه على ما في قبضته»[٢].

قال الإمام الدارمي في إبطال هذا التأويل: فكيف أدعيت أن الأرض قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه: أنهما صارتا يوم القيامة في ملكه، كأنهما كانتا قبل يوم القيامة في ملك غيره خارجتين عن ملكه، فكان مغلوباً عليها في دعواك حتى صارتا يوم القيامة في ملكه مطويات، ولا تكونان في يده منشورات وما أراك إلا ستدري أن قوله: ﴿مطويات﴾ ناقض لتأويلك»[٣].

* * *

---

(١) مشكل لحديث (٢٤٣ ـ ٢٤٤) عالم الكتب.
(٢) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (١٢٨ـ ١٢٩) دار السلام ط ١٤١٠هـ وهبي سليمان غاوجي، القاهرة.
(٣) الرد علي بشر (٦٠) مطبعة أنصار السنة.

يسأل[١] عن قوله ـ عليه السلام ـ: «يضع قدمه في جهنم فتنزوي»[٢]؟

فإن آمن به وأمرّه كما جاء، فهو سني.

وإن أنكره، فهو معتزلي، وأشعري.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾[٣].

وقوله ﷺ: «إن الله يضع قدمه في جهنم فتنزوي، فتقول قط قط[٤] أي حسبِ حسب»[٥][٦].

* * *

---

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (٤٨٤٩) (٤٨٥٠) ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون (٢٨٤٦) والترمذي في كتاب صفة الجنة (٢٥٥٧) وأحمد (٧٦٦١) (١٠٢١٠) (٢٧٢٢٤) (٨٥٩٩) من حديث أبي هريرة. ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون (٢٨٤٨) وأحمد (١١٩٧٢) (١٣٥٥٦) من حديث أنس بن مالك.

(٣) سورة ق، آية: ٣٠.

(٤) كتب أعلاها: «مخففة».

(٥) سبق تخريجه في الحاشية رقم ٢.

(٦) من قوله: . . . «دليلنا. إلى قوله. . . حسب» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة فيؤمنون بأن لله قدماً ورِجلاً كما جاء النص بذلك مع اعتقاد أنه ليس كمثله شيء سبحانه.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «اختصمت الجنة والنار إلى ربهما، فقالت الجنة: أي رب: مالها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت النار: أي رب، إنما يدخلها الجبارون والمتكبرون، فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وأنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها.

فأما الجنة: فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، وأنه ينشيء لها نشئاً، وأما النار فيلقون فيها، وتقول: هل من مزيد؟ ويلقون فيها، وتقول: هل من مزيد؟

حتى يضع الجبار فيها قدمه هناك تمتلىء ويدنو بعضها إلى بعض وتقول: قط قط»[(١)].

وجاء في رواية لمسلم «فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله ـ تبارك

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ح (٧٤٤٩) وفي كتاب التفسير باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ ح (٧٣٨٤) ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ح (٢٨٤٦).

وتعالى ـ رجله تقول قط قط فهناك تمتلىء»[١].

قال الإمام البغوي في هذا الحديث: «فهذه ونظائرها صفات الله ـ تعالى ـ، ورد بها السمع يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق وعلى هذا مضى سلف هذه الأمة»[٢].

قال القاضي أبو يعلى: «اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، وأن المراد به قدم هو صفة لله تعالى وكذلك الرجل».

وقد نص أحمد على ذلك في رواية المروذي وقد سأله عن الأحاديث «يضع قدمه» وغيرها قال نمرها كما جاءت.

وقال ابن منصور قلت لأبي عبدالله «اشتكت النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها» فقال أحمد: صحيح[٣].

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة هو ما تقتضيه أصولهم كما تقدم من قولهم إلا أني لم أقف على تأويل لهم لهذا الحديث، وقد وافق المؤلف على هذه النسبة ـ القاضي أبويعلى[٤].

وما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة صواب وقد تنوعت أقوالهم في

---

(١) أخرجها مسلم في كاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون ح (٢٨٤٦).
(٢) انظر شرح السنة (١/ ١٧٠).
(٣) إبطال التأويل (١/ ١٩٥ـ ١٩٦) ط١، ١٤١٠م الذهبي الكويت ت محمد الحمود.
(٤) انظر المعتمد (٥٤).

تأويل هذا النص.

قال الآمدي: «وقوله ـ عليه السلام ـ **يضع الجبار قدمه في النار**، فقد قيل: يحتمل أن يراد به بعض الأمم المستوجبين النار، وتكون إضافته القدم إلى الجبار ـ إضافة تمليك وقد قيل: يحتمل أن يكون المراد به قدم بعض الجبارين المستحقين للعذاب الأليم بأن يكون قد ألهم الله النار الاستزادة إلى حين استقرار قدمه فيها»[(١)].

قال ابن فورك: «إن معنى القدم هاهنا، هم الكفار الذي سبق في علم الله ـ تعالى ـ أنهم من أهل النار، وحمل معنى القدم على أنه هو المتقدم..»[(٢)].

قال الجويني: «وقد حمل بعض أهل التأويل القدم على وجه آخر، فقال: لعل القدمَ اسم لبعض الأمم الذين استوجبوا النار في علم الله، وبهم يتم ملء جهنم، وهذا ممكن غير بعيد وقد حمله بعض الناس على مالك خازن النار»[(٣)].

وقال الرازي: «لما أورد حديث: يضع الجبار قدمه» قال: «واعلم أن هذه الأحاديث لا يمكن إجراؤها على ظاهرها..»[(٤)].

وقال ابن جماعة: «اعلم أن إجراء هذا الحديث ونحوه على ظاهره

---

(١) غاية المرام (١٤١).
(٢) مشكل الحديث (١٢٦).
(٣) الشامل (٥٦٤) المعارف ـ الاسكندرية.
(٤) أساس التقديس (١٨٥).

محال على الله؛ لأدلة عقلية ونقلية تقتضي رده وضعفه، أو تأويله لا محالة»[١].

قال القاضي أبو يعلى في إبطال تأويلات الأشاعرة: «هذا غلط لوجهين: **أحدهما** أن قوله: «يضع قدمه» هاء كناية، وهاء الكناية ترجع إلى المذكور في الخبر «الله» ـ سبحانه ـ وفي لفظ آخر «الجبار» وفي لفظ آخر «رب العزة» فوجب أن يرجع إليه، فأما التقدم من الكفار فلم يتقدم ذكرهم، فلا يجب رجوع الهاء إليهم.

والثاني: أن هذا يسقط فائدة التخصيص بالنار، لأن المتقدم بفعل الخير يضعه في الجنة، فلو كان المراد بالقدم المتقدم لم يكن لتخصيصه بالنار فائدة فوجب حمله على ظاهره ليفيد»[٢].

وبالجملة فرواية «فيضع الله ـ تبارك وتعالى ـ رجله» تبطل كل ما توهموه من تأويلات.

* * *

(١) إيضاح الدليل (١٦٠).
(٢) إبطال التأويلات (١/ ١٩٦).

يسأل[١] عن قوله ﷺ: «رأيت ربي في أحسنِ صورةٍ»[٢]؟

فإن قال: به، فهو سني.

وإن أنكره، فهو دهري سالمي[٣].

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ﴾[٤]، إلى قوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾[٥]، إلى قوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾[٦].

* * *

---

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٦٠٤) والترمذي (٣٢٣٥) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٠١) من حديث معاذ بن جبل، وأخرجه الدارمي (٢/ ١٢٦) وابن أبي عاصم في السنة (٣٨٨ـ ٤٦٧) والحاكم (١/ ٥٢٠ـ ٥٢١) من حديث عبدالرحمن بن عائش، وأخرجه أحمد (٣٧٧٤) والترمذي (٣٢٣٣) من حديث ابن عباس، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٧٠) والبغوي في شرح السنة (٤/ ٣٨ـ ٣٩) من حديث ثوبان، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٨٩ـ ٤٦٦) والطبراني في الكبير (٨/ ٣٤٩) من حديث أبي أمامة، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٦٥) من حديث جابر بن سمرة، وأخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٢٩٦) من حديث أبي رافع. وصحح الحديث الإمام أحمد كما في التهذيب (٦/ ٢٠٥) والحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي (١/ ٥٢٠ـ ٥٢١) وحسنه ابن الجوزي في العلل (١/ ٢١).

(٣) كتب في الهامش: «منسوب إلى أبي سالم».

(٤) سورة النجم، الآيات: ١ـ ٥.

(٥) سورة النجم، آية: ١١.

(٦) سورة النجم، آية: ١٧.

. . . .

دراسة المسألة:

الحديث الذي أشار إليه المؤلف جاء عن عدد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أن قالوا: «احتبس رسول الله ﷺ ذات غداة في صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس، فخرج رسول الله ﷺ ـ سريعاً، فثوب بالصلاة، وصلى وتجوز في صلاته، فلما سلّم قال: «كما أنتم على مصافكم، ثم أقبل إلينا فقال: إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة: إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتى استثقلت، فإذا أنا بربي ـ عز وجل ـ في أحسن صورة، فقال: يا محمد! فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري ربّ، قال: يا محمد! فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري ربّ، فرأيته كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري، وتجلّى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد! فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات والدرجات، قال! وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجمعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء على الكريهات، فقال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام والصلاة والناس نيام، قال: سل، قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحبّ المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حُبك وحبّ من يُحبك وحبّ عمل يقربني إلى حبك، وقال رسول الله ﷺ: إنها حق، فادرسوها

وتعلموها»[١].

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون ويحجب عنه الكافرون، واتفقوا على أنه لا يُرى في الدنيا عياناً، واختلفوا في النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة الإسراء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل من ادعى أنه رأى ربه بعينيه قبل الموت، فدعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحداً من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت، وثبت في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ: أنه لما ذكر الدجال قال: «**واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت**»[٢][٣].

أما رؤية الله في المنام فهذه قد تقع لآحاد الناس وهذا الحديث من رؤيا المنام قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق»[٤].

---

(١) تقدم تخريجه ص٤٧٨.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن باب ذكر ابن صياد (٢٩٣١).
(٣) الفتاوى (٣/ ٣٨٩).
(٤) الفتاوى (٣/ ٣٩٠).

واختلف أهل السنة في رؤية النبي محمد ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج.

فقالت طائفة من الصحابة والتابعين منهم عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ إنه رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج وإلى هذه يميل المصنف وهو قول القاضي أبي يعلى وابن خزيمة[١].

واختلفت الرواية عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ فروي عنه أنه قال: بإثبات رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج، وروي عنه نفي الرؤية في تلك الليلة، وروي عنه إطلاق الرؤية من غير تفسير بعين أو قلب[٢].

والذي تدل عليه الأدلة أن النبي ﷺ لم ير ربه عياناً ليلة الإسراء فقدجاء عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[٣].

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: لما سألها مسروق هل رأى محمد ربه؟ فقالت: «لقد قفَّ شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب»[٤].

---

(١) انظر المعتمد (٨٤) والتوحيد (١/ ٤٧٧) لابن خزيمة.

(٢) انظر المعتمد (٨٤) لأبي يعلى.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب في قول عليه الصلاة والسلام إن الله لا ينام ح (١٧٩).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٧٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: «رأى محمد ربه بفؤاده مرتين»[(١)].

وعائشة أنكرت الرؤية، فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، وتارة يقول: رأى محمد ربه وتارة يقول: رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينيه، وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول رآه بفؤاده. . . .

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: «**سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: نور، أنى أراه**»[(٢)(٣)].

أما قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ فهذه رؤية جبريل ـ عليه السلام ـ قال مسروق لعائشة: ألم يقل الله ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾[(٤)]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عن هذا، فقلت: يارسول الله هل رأيت ربك؟

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب معنى قول الله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ ح (١٧٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب في قوله عليه السلام نور أنى أراه ح (١٧٨).

(٣) الفتاوى (٦/ ٥٠٩ـ ٥١٠).

(٤) سورة النجم، آية: ١٣.

فقال: إنما رأيت جبريل منهبطاً[١].

وأراد المؤلف بقوله (دهري سالمي) التشنيع على السالمية، ولا ينبغي التشنيع بمثل هذه الألفاظ، وبخاصة في المسائل الخلافية.

أما ما نسبه إلى السالمية فلم أقف على من وافقه على هذه النسبة لهم.

* * *

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب معنى قول الله ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ح (١٧٧).

يسأل[١] عن قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»[٢]؟

فإن قال: به، فهو سني.

وإن أنكره، فهو أشعري حشيشي. . . .[٣].

* * *

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب: النهي عن ضرب الوجه (٢٦١٢)، وأحمد في المسند (٧٣٧٢) (٧٤١٤) (٩٦٠٢) (٩٩٦٣) (١٠٧٤٣) وابن حبان (٥٦٠٥) والحميدي في مسنده (١١٢١) وعبد بن حميد في المنتخب (٩٠٠) من حديث أبي هريرة.

(٣) هنا بعد كلمة «حشيشي» سقط في أصل المخطوطة ولا أعلم قدر ما سقط.

. . . .

دراسة المسألة:

جاء هذا الحديث من وجوه متعددة فيها الصحيح والضعيف وسوف نقتصر على ما صح من الحديث.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته**»[١].

وعنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله ـ عز وجل ـ خلق آدم على صورته**»[٢].

وعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقبحوا الوجه فإن الله ـ عز وجل ـ خلق آدم على صورته**»[٣].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب: النهي عن ضرب الوجه (٢٦١٢).

(٢) أخرجه أحمد (٧٣٧٢) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٣٠) والدارقطني في الصفات (٤٦٠).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٨ـ ٢٢٩) وعبدالله في السنة (١/ ٤٩٨) والدارقطني (٤٥، ٤٨) في الصفات.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٣٠)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٨٦) والدار قطني في الصفات رقم (٤٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩١) رقم (٦٣٩) والبخاري في الأدب المفرد رقم ١٧٢٠).

وأهل السنة والجماعة على الإقرار بهذا الحديث وإمراره كما جاء وعلى أن الضمير في قوله (صورته) يعود على الرحمن سبحانه، ويؤيد هذا رواية ابن عمر التي صححها الإمام أحمد وإسحاق بن راهوية وفيها «إن ابن آدم خلق على صورة الرحمن».

قال حرب الكرماني في كتاب السنة: «سمعت إسحاق بن راهوية يقول: صح أن الله خلق آدم على صورة الرحمن.

وقال إسحاق الكوسج: «سمعت أحمد يقول: هو حديث صحيح»[١].

سئل الإمام أحمد عن الحديث الذي روي عن النبي ﷺ: «أن الله خلق آدم على صورته» على صورة آدم؟ فقال أحمد بن حنبل: فأين الذي يروي عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل.

ثم قال أحمد: وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلق[٢].

وقال رجل للإمام أحمد: إن فلاناً يقول في حديث رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» فقال على صورة الرجل: فقال الإمام أحمد: «كذب هذا، هذا قول الجهمية وأي فائدة في هذا»[٣].

قال القاضي أبو يعلى: «ويطلق القول في صورة آدم على صورته

---

(١) انظر فتح الباري (٥/ ١٨٣) السلفية.
(٢) إبطال التأويلات (١/ ٨٨).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٨٨).

سبحانه لا على طريق التشبيه في الجسم والنوع والشكل والطول لأن ذلك مستحيل في صفاته، وإنما أطلقنا حمل إحدى الصورتين على الأخرى تسمية لورود الشرع بذلك على طريق التعظيم لآدم»[(١)].

قال الإمام ابن قتيبة: «والذي عندي والله أعلم أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الألْفُ لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منها بكيف»[(٢)].

قال الإمام عبدالعزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ: «والحق في هذه المسألة هو أن الضمير في الحديث الصحيح في خلق آدم على صورته يعود إلى الله ـ عز وجل ـ، وهو موافق لما جاء في حديث ابن عمر «أن الله خلق آدم على صورة الرحمن» وقد صححه الإمام أحمد وإسحاق بن راهوية والآجري، وشيخ الإسلام ابن تيمية وآخرون من الأئمة رحمة الله عليهم»[(٣)].

ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة صواب، فلم يقولوا بظاهر الحديث، وتنوعت أقوالهم في تأويله.

قال ابن فورك «وأما قوله ـ عليه السلام ـ «خلق آدم على صورته»

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٨٢)

(٢) تأويل مختلف الحديث (٢٢١) الكليات الأزهرية ١٣٨٦هـ.

(٣) خطاب لسماحته في تقريظ كتاب الشيخ حمود التويجري ـ رحمهما الله تعالى ـ «عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن» ٣٠/ ٣/ ١٤٠٨هـ.

فقد تأوله المتأولون من أهل العلم على وجوه كثيرة، سنذكرها.. ثم أورد هذه التأويلات.

ثم قال: واعلم أن بعض أصحابنا المتكلمين في تأويل هذا الخبر حاد عن وجه الصواب، وسلك طريق الخطأ والمحال فيه، وهو ابن قتيبة توهماً أنه مستمسك بظاهره غير تارك له، فقال: «إن لله ـ عز وجل ـ صورة لا كالصور كما أنه شيء لا كالأشياء» فأثبت لله ـ تعالى ـ صورة قديمة، زعم أنها لا كالصور، وأن الله خلق آدم على تلك الصورة، وهذا جهل من قائله، وتوغل في تشبيه الله ـ تعالى ـ بخلقه»[1].

قال الرازي: «الضمير عائد إلى آدم ـ عليه السلام ـ وهذا أولى الوجوه الثلاثة لأن عود الضمير إلى أقرب المذكورات واجب، وفي هذا الحديث: أقرب الأشياء المذكورة هو آدم ـ عليه السلام ـ»[2].

قال ابن جماعة: «واختلف العلماء فيمن يعود الضمير في صورته إليه فقيل إلى المضروب والمشتوم وهو الأقرب.

وقيل: أشار بذلك إلى أن آدم على صورة بنيه..

وقيل الضمير عائد إلى آدم..»[3].

قال القاضي أبو يعلى في إبطال هذه التأويلات: «فإن قيل الهاء عائد على المضروب.

---

(١) مشكل الحديث وبيانه (٤٨ـ ٧).
(٢) أساس التقديس (١١٣).
(٣) إيضاح الدليل ١٥٤٠).

قيل: هذا غلط لوجهين: أحدهما أن هذا يسقط فائدة التخصيص بآدم؛ لأن آدم وغيره من الأنبياء والبشر مخلوقون على صورة المضروب، بمعنى أن له وجهاً، وما أسقط فائدة التخصيص سقط في نفسه.

والثاني أن في اللفظ «خلق آدم على صورة الرحمن»[(١)].

وقال الإمام ابن قتيبة: «فقال قوم من أصحاب الكلام: أراد خلق آدم على صورة آدم لم يزد على ذلك، ولو كان المراد هذا ما كان في الكلام فائدة.

ومن يشك في أن الله ـ تعالى ـ خلق الإنسان على صورته، والسباع على صورها والأنعام على صورها.

وقال قوم: إن الله خلق آدم على صورة عنده.

وهذا لا يجوز لأن الله ـ عز وجل ـ لا يخلق شيئاً من خلقه على مثال.

وقال قوم في الحديث: لاتقبحوا الوجه، فإن الله ـ تعالى ـ خلق آدم على صورته.

يريد أنه ـ عز وجل ـ خلق آدم على صورة الوجه.

وهذا أيضاً بمنزلة التأويل الأول، لا فائدة فيه»[(٢)].

وفي الجملة فصحة رواية ابن عمر «خلق آدم على صورة الرحمن» تبطل كل هذه التأويلات.

---

(١) إبطال التأويلات (٨٤ـ ٨٥).

(٢) تأويل مختلف الحديث (٢١٩).

يسأل[١] عن الإيمان أمخلوقُ أم غيرُ مخلوق؟

فمن قال: مخلوق، فهو كافر.

ومن قال: غير مخلوق، فهو مبتدع.

بل يقول: الإيمان على ضربين إيمان الله وإيمان بالله، فأما إيمان الله فهو غير مخلوق؛ لأنه صفة من صفاته.

والدليل على أن له إيماناً قوله: ﴿ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾[٢]، وأما الإيمان بالله فهو ضربان: مخلوق، وغير مخلوق، فأما ما هو مخلوق: فهو أفعال العبد كالصلاة، والصوم وأفعال الحج، وغير ذلك، وأما الذي ليس مخلوق[٣] فقول: لا إله إلا الله، لأن ذلك وحدانيته وصمدانيته وأزليته.

وأما الهداية فهو أيضاً غير مخلوق[٤]، لأن الهدايةَ صفةٌ من صفاته، وهو ـ تعالى ـ بجميع صفاته غير مخلوق، ودليل عليه: قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[٥].

* * *

---

(١) هذه المسألة ليست في م.
(٢) سورة الحشر، آية: ٢٣.
(٣) لعل الصواب لغة [مخلوقاً].
(٤) لعل الصواب لغة [فهي أيضاً غير مخلوقة].
(٥) سورة الشورى، آية: ٥٢.

. . . .

دراسة المسألة :

ما قرره المؤلف في هذه المسألة هو معتقد أهل السنة والجماعة .

ورد عن الإمام أحمد كما نقل ابن حامد أن أبا طالب نقل عن الإمام أحمد أنه يقول في الإيمان: «أن من قال مخلوق فهو جهمي ومن قال: غير مخلوق فقد ابتدع، وأنه يهجر حتى يرجع»[(١)] .

قال الإمام ابن بطة: «حدثنا أبو عمر حمزة بن القاسم الهاشمي، قال: حدثنا: حنبل، قال: سمعت أبا عبدالله وسئل عمّن قال: الإيمان مخلوق، فقال: هذا كلام سوء ردىء، وأي شيء بقي والنبي ﷺ يقول: «**الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله**»[(٢)] **فلا إله إلا الله مخلوق؟**

من قال هذا، فهو قول سوء، يدعو إلى كلام جهم، يُحذر عن صاحب هذا الكلام، ولا يجالس، ولا يكلم حتى يرجع ويتوب، وهذا عندي يدعو إلى كلام جهم، الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله، ولا إله إلا الله مخلوق هو؟

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾[(٣)]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ

---

(١) طبقات الحنابلة (٢/١٧٦).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ح (١٧).
(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾[١].

فهذه صفاته وأسماؤه غير مخلوقة وصف الله بها نفسه.

قال النبي ﷺ: «**الإيمان شهادة أن ألا إله إلا الله**»، فمن قال: «لا إله إلا الله» مخلوق، فقد قال بقول الجهمية، يحذر عن صاحب هذه المقالة، وصفات الله وأسماؤه غير مخلوقة، وهذه من صفات الله ـ تعالى ـ ولم يزل الله عالماً، فمن قال: لا إله إلا الله مخلوق، فقد قال مقالة الجهمية»[٢].

وقال الإمام ابن بطة: «فالقول في هذا ما كان عليه أهل العلم والتسليم لما قالوه، فمن قال: إن الإيمان مخلوق، فهو كافر بالله العظيم، لأن أصل الإيمان وذروة سنامه شهادة أن لا إله إلا الله، ومن قال: إنه غير مخلوق، فهو مبتدع لأن القدرية تقول: إن أفعال العباد وحركاتهم غير مخلوقة، فالأصل المعمول عليه من هذا التسليم لما قاله العلماء، وترك الكلام فيما لم يتكلم فيه الأئمة، فهم القدوة وهم كانوا أولى بالكلام منا، نسأل الله عصمةً من معصيته، وعياذاً من مخالفته»[٣].

قال القاضي أبو يعلى: «واعلم أنه لايجوز إطلاق القول في الإيمان أنه مخلوق أو غير مخلوق، لأن من قال مطلقاً: إنه مخلوق

---

(١) سورة الحشر، آية: ٢٣.
(٢) الإبانة (٢/ ٢٩٩) قسم الرد علي الجهمية.
(٣) الإبانة (٢/ ٣٠٠).

أوهم أن كلام الله وأسماءه وصفاته مخلوقة، ومن قال: إنه غير مخلوق أو هم أن أفعال العباد قديمة غير مخلوقة»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا قال: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل له ما تريد بالإيمان؟ أتريد شيئاً من صفات الله وكلامه كقوله: ﴿لا إله إلا الله﴾ والإيمان الذي دل عليه اسمه المؤمن، فهو غير مخلوق، أو تريد شيئاً من أفعال العباد وصفاتهم، فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة، ولا يقول هذا من يتصور ما يقول، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل»[٢].

* * *

---

(١) المعتمد (١٩١).
(٢) الفتاوى (٧/ ٦٦٤).

يسأل[١] عن البهائم أله[٢] روح أم لا روح فيه[٣] غير أنه[٤] لحم ودم وريح وقوة؟

فمن قال: فيه[٥] روح، فهو سني.

وإن قال: غيره، فهو سالمي حشيشي.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[٦].

وقوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[٧].

وقوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[٨]، إلى آخر الآيات.

ولم لم يكن فيهم[٩] الروح لما وجب عليهم الزكاة، ولما جاز أكلُ لبنهم، ولا لحمِهم، ولا درهِم، ولا نسلِهم، لأنه لو كان كما يزعمون ـ لعنهم الله ـ لكان ميتاً وقد حرَّم الله الميتة ولحم الخنزير تباً لهم وسحقاً.

---

(١) هذه المسألة ليست في م.
(٢) الأصوب أن يقال: «ألها» لأن الضمير يعودعلى البهائم اسم مؤنث جمع بهيمة.
(٣) الأصح «فيها».
(٤) الأصح «أنها».
(٥) الأصح «فيها».
(٦) سورة الأنعام، آية: ٣٨.
(٧) سورة النحل، آية: ٨.
(٨) سورة الأنعام، آية: ١٤٣.
(٩) الأصح «فيها».

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف في هذه المسألة صواب، وبه قال جمهور العقلاء.

ووجود الروح في البدن هي علامة الحياة كما أن مفارقتها للبدن علامة الموت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت»(١).

وقال: «لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان: فيراد بالروح الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه، ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سويداه الساري في العروق، وهو الذي يسميه الأطباء الروح، ويسمى الروح الحيواني، فهذان المعنيان غير الروح التي تفارق بالموت التي هي النفس»(٢).

قال ابن أبي العز الحنفي: «واختلف في الروح: ما هي؟ فقيل: هي جسم، وقيل عرض وقيل: لا ندري ما الروح! أجوهر أم عرض؟ وقيل: ليس الروح شيئاً أكثر من أعتدال الطبائع الأربع، وقيل: هي الدم الصافي الخالص من الكدرة والعفونات، وقيل: هي الحرارة الغريزية، وهي الحياة، وقيل: هو جوهر بسيط منبث في العالم كله من

---

(١) الفتاوى (٩/ ٢٨٩).

(٢) الفتاوى (٩/ ٢٩٢).

الحيوان، على جهة الإعمال له والتدبير، وهي على ما وصفت من الانبساط في العالم، غير منقسمة الذات والبنية، وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير»[1].

أما ما نسبه المؤلف إلى السالمية فلم أجد من وافقه على هذه النسبة.

* * *

(١) شرح الطحاوية (٤٤٣)، والروح (١/٢٤٨).

يسأل[١] عن هذه الدنيا أتفنى وتصير هباءً منثوراً أم تكون فلا تفنى وإنما يحيون فيها ويموتون؟

فإن قال: تفنى، فهو سني.

وإن قال: غيره، فهو سالمي دهري كافر.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾[٢]، وقوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٣]، وقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾[٤]، وقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾[٥]، الآية. وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾[٦] الآية.

وعن ابن عباس قال: «يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوزةٍ شمطاءَ[٧] زرقاءُ، أنيابُها باديةٌ مشوهةٌ خلقها، لا يراها أحدُ إلا كرِهها، فتُشرِفُ على الخلائقِ فيقال لم: أتعرفون هذه القبيحة؟ فيقولون: نعوذُ بالله من معرفتها! فيقال: هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وقاتلتم عليها، ثم يُؤمر فتلقى في النار فتقول: يارب أتباعي وأصحابي فيُلحقوا بها»[٨].

---

(١) هذه المسألة ليست في: «م».
(٢) سورة الكهف، آية: ٨.
(٣) سورة الزمر، آية: ٦٧.
(٤) سورة إبراهيم، آية: ٤٨.
(٥) سورة طه، آية: ١٠٥.
(٦) سورة الكهف، آية: ٤٧.
(٧) كتب في الهامش: «الشمط اختلاط الشيب بالشيب: مجمل».
(٨) أخرج ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا عن ابن عباس رقم (١٢٢) ص٥٢، وابن الأعرابي =

وروى الفضيلُ بنُ عياض أنه قال: «بلغني: يؤتي بالدنيا يوم القيامة وتتبختر في زينتها وبهجتها، فتقول يارب اجعلني لأخير عبادك داراً، فيقول الله تعالى: لا أرضاكِ لهم أنتِ لا شيء فكوني هباءً منثوراً»(١)، والآيات والأخبار أكثر من أن تحصى(٢).

* * *

= في الزهد كما في كنز العمال (٨٥٧٩).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا من قول الفضيل رقم (١٢٥) ص٥٢ـ ٥٣.

(٢) من قوله: . . . «دليلنا. . . إلى قوله أكثر من أن تحصى» ليست في م.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المولف تدل عليه ظواهر النصوص من الكتاب والسنة، فالأرض التي يحشر العباد عليها يوم القيامة، أرض أخرى غير هذه الأرض، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[١].

وقال ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصه النقي»[٢].

العفر: قيل البياض ليس بناصع وقيل: البياض يقرب إلى حمرة قليلاً وقيل: خالص البياض.

والنقي: بفتح النون وكسر القاف، أي الرقيق النقي من الغش والنخال[٣].

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : «تبدل الأرض أرضاً كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة»[٤].

---

(١) سورة إبراهيم آية: ٤٨.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب يقبض الله الأرض (٦٥٢١) ومسلم كتاب صفات المنافقين باب البعث والنشور (٢٧٩٠).
(٣) انظر غريب الحديث (٥/ ١١١) لابن قتيبة، والنهاية (١/ ١٩٥) لابن الأثير، فتح الباري (١١/ ٣٧٥) السلفية.
(٤) قال السيوطي في البدور السافرة ص٤٢ أخرجه عبدالرزاق وعبد بن حميدو ابن أبي حاتم في تفاسيرهم والبيهقي بسند صحيح.

قال رسول الله ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نُزُلاً لأهل الجنة**»[١].

قال القرطبي: «هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسموات تبدل وتزال ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط، لا كما قال كثير من الناس، أن تبدل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها، وتسوية آكامها ونسف جبالها ومد أرضها»[٢].

قال المؤلف: «وإن قال غيره فهو سالمي دهري كافر».

لم يبين المؤلف القول المخالف ما هو، وإجماله هذا تكرر في أكثر من موضع ولم أجد قولاً للسالمية في هذه المسألة.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه مسلم كتاب صفات المنافقين باب نزل أهل الجنة (٢٧٩٢).

(٢) التذكرة (٢١٦) ط/ المجلد العربي.

يسأل[١] عن الروح؟

فإن قال: لا تفنى وإنما تخرج من نفس وتدخل في أخرى، فهو سالمي مجوسي دهري.

وإن قال: لا تدخل في أخرى، فهو سني.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾[٢]، قيل: هو أرواح المؤمنين.

وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾[٣] قيل: أرواحهم، فدل على أنها لا تدخل في أخرى[٤].

* * *

(١) هذه المسألة لست في «م».

(٢) سورة المطففين، آية: ١٨.

(٣) سورة المطففين، آية: ٧.

(٤) كتب في الهامش: «ويعتقد أن الحياة غير الروح لأن الحياة ما صار الإنسان به حياً والروح ما قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ وهو مخلوق وتفارق الجسد إذا نام والحياة لا تفارق إلا إذا مات...».

. . . .

دراسة المسألة:

القول بالتناسخ عقيدة باطلة ظهرت في ديانة المجوس وبعض الديانات الهندية[١].

قال ابن الجوزي: «وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ، وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في أبدان خيِّرة فاستراح، وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق»[٢].

قال الاسفراييني: «أهل التناسخ هم قوم من الفلاسفة قبل الإسلام وكان سقراط من جملتهم، وكان في دولة الإسلام من أهل التناسخ فريقان، فريق من جملة القدرية، وفريق من غلاة الروافض»[٣].

وكان أحمد بن خابط[٤] يقول بالتناسخ.

أما ما نسبه المؤلف إلى السالمية فلم أقف على من وافق المؤلف على هذه النسبة.

قال السفاريني: «التناسخ الباطل الذي يقوله أعداء الرسل من

---

(١) انظر الملل والنحل ص (٥٨١) للشهرستاني ط/ الأزهر، والملل والنحل (٣/ ٣٥٨) للشهرستاني، ت/ أحمد فهمي مكتبة الحسين ١٣٦٨هـ.
(٢) تلبيس إبليس (٧٧) ط/ المنيرية.
(٣) التبصير (١٢٠) ط الخانجي.
(٤) أحمد بن خابط معتزلي من أصحاب النظام يوافق النصاري في اعتقادهم ويقول بالتناسخ انظر: الملل والنحل (٨٨) للشهرستاني.

الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد، ويزعمون أن الأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان إلى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التي كانت تناسبها وتشاكلها، فإذا فارقت هذه الأبدان انتقلت إلى أبدان تلك الحيوانات، فتنعم فيها وتعذب ثم تفارقها، وتحل في أبدان أخرى تناسب أعمالها وأخلاقها وهلم جرا، فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معاد لها عندهم غير ذلك، فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفق عليه الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم وهو كفر بالله وباليوم الآخر»[١].

أما مسألة مستقر الروح بعد خروجها من الجسد، فقد تنوعت الأقوال في ذلك واختلفت، والحق في ذلك التلقي من النصوص الصحيحة.

قال السفاريني: «هذه من المسائل العظام قد تكلم فيها الناس، واختلفوا في ذلك، وهي إنما تتلقى من السمع فقط»[٢].

قال ابن أبي العز الحنفي: «يتلخص من الأدلة: أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت، فمنها: أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهم متفاوتون في منازلهم، ومنها أرواح في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، لا كلهم، بل من

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٥٠).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٤٦).

الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدَين عليه كما في المسند عن عبدالله بن جحش: «**أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله: ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: الجنة، فلمّا ولّى قال: إلا الدَين، سارَّني به جبرائيل آنفاً**»(١).

ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون في الأرض، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السُّنة»(٢).

قال ابن القيم بعد أن أورد تنوع الأرواح في البرزخ: «ومن تأمل السنن والآثار وكان له فضل اعتناء عرف حجة ذلك فلا يظهر أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضاً فإنها كلها حق، صدق يصدق بعضها بعضاً لكن الشأن في فهمها وفهم المقصود منها، ومعرفة النفس وأحكامها، وأن لها شأناً غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً، وتنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم وعذاب، أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير»(٣).

* * *

---

(١) مسند الإمام أحمد رقم (١٦٨٠٣).
(٢) شرح الطحاوية (٤٥٤، ٤٥٥).
(٣) الروح (٢٠٠ـ ٢٠١) ط/ دائرة المعارف العثمانية ـ الهند ـ ١٣٨٣هـ.

يسأل[١] عن يزيدَ بنِ معاويةَ رحمة الله عليهما، هل يكفر من يلعنهما أم[٢] لا؟

فإن قال: يفسق، فهو واقفي[٣] شكاك في الدين ورافضي، ومن قال: بالترحم عليهما وعلى جميع الصحابة، فهو سني.

دليلنا: قوله ﷺ: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[٤] وقال ـ عليه السلام ـ: «**أتاني جبريلُ بورقةٍ خضراءَ من عليين مكتوب فيها فرض الله تعالى حُبَّ معاويةَ بنَ أبي سفيان وابنه يزيدَ فرضاً مني على عبادي**»[٥].

وقال ـ عليه السلام ـ: «**الأمناء ثلاثة أنا وجبريل وأخي معاوية**»[٦].

وعن الحسن البصري عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يتم السنة إلا بالترحم على يزيد ومعاوية، ومثل أصحابي كمثل بيت، ومثل معاوية كمثل باب على البيت، مثل يزيد كحلقة الباب، فمن تعرض للحلقة فقد تعرض للباب، ومن تعرض للباب فقد تعرض**

---

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) الصواب لغة «أو».

(٣) لعل المراد به لفظ ذم، لا فرقة معينة.

(٤) أخرجه الدارقطني في المؤتلف والمختلف (١٧٧٨) وابن حزم في الإحكام (٦/ ٢٥١) وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١٧٦٠) قال ابن عبدالبر: «هذا إسناد لا تقوم به حجة» وقال ابن حزم: «هذه رواية ساقطة».

(٥) لم أجده. وعلامة الوضع ظاهرة عليه.

(٦) حديث موضوع قال النسائي، وابن حبان، والخطيب: إنه باطل والواضع له: علي بن عبدالله بن الفدج البرداني انظر الفوائد المجموعة ص (٤٠٤) ١١٩١٠) للشوكاني.

لما في البيت، ومن تعرض لما في البيت فقد تعرض بي، ومن تعرض بي فقد كفر»[١].

وعن أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ أنه قال يوماً أُدْعُ بمعاوية ابن أبي سفيان فقام بلال المؤذن ودعا بمعاوية، فحمل يزيد معه فقال ﷺ: «ألا أبشرك يا معاوية قال: بلى يارسول الله قال: إن الله ـ تعالى ـ قد أنزل عليّ جبريل ـ عليه السلام ـ وهو يقول: الله عنك راض وعن ابنك يزيد»[٢].

وعن معمر الأصفهاني يقول سمعت سُليمانَ بنَ موسى القاضي يقول: سب رجل يزيد بن معاوية رحمة الله عليهما، فقدم إلى أمير المؤمنين عُمرَ بن عبدالعزيز فذكر له فقال: أين البينة فجلبا البينة فشهدا عليه أنه سب يزيد بْن معاوية فأمر باستتابة، فأبى، فأمر بضرب عنقه، فدل على أنه يكفر بالطعن ولو لم يكفر لم يؤمر بضرب عنقه[٣].

* * *

---

(١) لم أجده. وعلامة الوضع عليه ظاهره.

(٢) لم أجده. وعلامة الوضع عليه ظاهرة.

(٣) لم أجده. . . والذي وجدته: ما روي عن عمر بن عبدالعزيز أنه ما سمع شاتماً لمعاوية إلا ضربه انظر شرح أصول الاعتقاد (٧/ رقم ٢٣٨٦) اللالكائي.

. . . .

دراسة المسألة:

غلا المؤلف[١] في يزيد بن معاوية مع أن يزيد ليس من الصحابة بإجماع المؤرخين قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «فالرافضة لما كانت تسب الصحابة صار العلماء يأمرون بعقوبة من يسب الصحابة، ثم كفّرت الصحابة وقالت عنهم أشياء قد ذكرنا حكمهم فيها في غير هذا الموضع، ولم يكن أحد إذ ذاك يتكلم في يزيد بن معاوية، ولا كان الكلام فيه من الدين، ثم حدثت بعد ذلك أشياء، فصار قوم يظهرون لعنة يزيد بن معاوية، وربما كان غرضهم بذلك التطرق إلى لعنة غيره، فكره أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه، فسمع بذلك قوم ممن كان يتسنن، فاعتقد أن يزيد كان من كبار الصالحين وأئمة الهدى.

وصار الغلاة فيه على طرفي نقيض، هؤلاء يقولون: إنه كافر زنديق، وإنه قتل ابن بنت رسول الله ﷺ، وقتل الأنصار وأبناءهم بالحرة ليأخذ بثأر أهل بيته الذين قتلوا كفاراً، مثل جده لأمه عتبة بن

---

(١) وإن كنت أتوقف في صحة نسبة هذه المسألة لأبي الفرج الشيرازي رحمه الله فربما طالت أيدي أصحاب عدي بن مسافر هذه النسخة فأضيفت ونسبت له، والذي حملني على ذلك ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال (... ثم ذكروا بعد هذا «عقيدته» وقالوا: هذه عقيدة السنة من إملاء الشيخ عدي والعقيدة من كتاب التبصرة للشيخ أبي الفرج المقدسي بألفاظه نقل المسطرة لكن حذفوا منها تسمية المخالفين وأقوالهم وذكروا ما ذكروا من الأدلة وزادوا فيها من ذكر يزيد وغيره أشياء لم يقلها الشيخ أبو الفرج...) الفتاوى (١١/١٠٣).

ربيعة[١] وخاله الوليد[٢] وغيرهما، ويذكرون عنه من الاشتهار بشرب الخمر وإظهار الفواحش أشياء.

وأقوام يعتقدون أنه كان إماماً عادلاً هادياً مهدياً، وأنه كان من الصحابة، وأنه كان من أولياء الله تعالى، وربما اعتقد بعضهم أنه كان من الأنبياء.

وهذا الغلو في يزيد من الطرفين خلافاً، لما أجمع عليه أهل العلم والإيمان.

فإن يزيد بن معاوية ولد في خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ولم يدرك النبي ﷺ، وليس من الصحابة باتفاق العلماء، ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح، بل كان من شبان المسلمين، فليس كافراً ولا زنديقاً، وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضى بعضهم، وكان فيه شجاعة وكرم، ولم يكن مظهراً للفواحش كما يحكي عنه خصومه، وجرت في إمارته أمور عظيمة.

أحدهما: مقتل الحسين ـ رضي الله عنه ـ، وهو لم يأمر بقتل الحسين، ولا أظهر الفرح بقتله ولا نكت بالقضيب على ثناياه ـ رضي الله عنه ـ ولا حمل رأس الحسين ـ رضي الله عنه ـ إلى الشام،

---

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو الوليد، من سادات قريش، قتله عبيده بن الحارث بن عبدالمطلب رضي الله عنه كافراً يوم بدر. انظر المعارف لابن قتيبة (٧٢/ ١٥٤/ ١٥٧).

(٢) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس مات وهو مشرك يوم بدر قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه انظر (المعارف، لابن قتيبة ١٥٦).

لكن أمر بمنع الحسين ـ رضي الله عنه ـ وبرفعه عن الأمر ولو كان بقتاله، فزاد النواب على أمره، وحض الشمر بن ذي الجوشن[١] على قتله لعبيد الله بن زياد[٢] فاعتدى عليه عبيد الله بن زياد، فطلب منهم الحسين ـ رضي الله عنه ـ أن يجيء إلى يزيد، أو يذهب إلى الثغر مرابطاً، أو يعود إلى مكة فمنعوه ـ رضي الله عنه ـ، إلا أن يستأسر لهم، وأمر عمر بن سعد[٣] بقتاله فقتلوه مظلوماً. . .

وكان قتله ـ رضي الله عنه ـ من المصائب العظيمة، فإن قتل الحسين، وقتل عثمان قبله: كانا من أعظم أسباب الفتن في هذه الأمة، وقتلتهما من شرار الخلق عند الله.

ولما قدم أهلهم ـ رضي الله عنهم ـ على يزيد بن معاوية أكرمهم وسيرهم إلى المدينة، ورُوِي عنه أنه لعن ابن زياد على قتله، وقال: كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين، لكنه مع هذا لم يظهر منه إنكار قتله، والانتصار له، والأخذ بثأره كان هو الواجب عليه، فصار أهل الحق يلومونه على تركه للواجب مضافاً إلى أمور

---

(١) اسمه شرحبيل بن قرط الضبابي الكلابي من قتلة الحسين، لما قام المختار الثقفي بتتبع قتلة الحسين خرج إلى الكوفة ففاجأه جمع من رجال المختار فقتلوه سنة ست وستين. انظر ميزان الاعتدال (٢/ ٢٨٠) والبداية والنهاية (٨/ ١٧٥/ ٢٧٠).

(٢) عبيد الله بن زياد أبيه ولد بالبصرة سنة ٢٨هـ وله فتوحات، وله ولاية، قتله ابن الأشتر سنة ٦٧هـ.

(٣) عمر بن سعد بن وقاص الزهري قال الذهبي هو في نفسه غير متهم لكنه باشر قتال الحسين وفعل الأفاعيل قتل عندما تتبع المختار الثقفي قتلة الحسين سنة ٦٦هـ وقيل ٦٥هـ الميزان (٣/ ١٩٨) والبداية (٨/ ١٧٠).

أخرى، وأما خصومه فيزيدون عليه من الفرية أشياء.

وأما الأمر الثاني: فإن أهل المدينة النبوية نقضوا بيعته، وأخرجوا نوابه وأهله، فبعث إليهم جيشاً، وأمره إذا لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلها بالسيف ويبيحها ثلاثاً، فصار عسكره في المدنية النبوية ثلاثاً يقتلون وينهبون، ويفتضون الفروج المحرمة، ثم أرسل جيشاً إلى مكة المشرفة، فحاصروا مكة، وتوفي يزيد وهم محاصرون مكة، وهذا من العدوان والظلم الذي فعل بأمره.

ولهذا كان الذي عليه معتقد أهل السنة وأئمة الأمة أنه لا يسب ولا يحب، قال صالح بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: إن قوماً يقولون: إنهم لا يحبون يزيد قال: يابني! وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟. فقلت: يا أبت! فلماذا لا تلعنه؟ قال: يابني! ومتى رأيت أباك يلعن أحداً؟

وروي عنه قيل له: أتكتب الحديث عن يزيد بن معاوية؟ فقال: لا، ولا كرامة، أو ليس هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل؟

فيزيد عند علماء أئمة المسلمين، ملك من الملوك، لا يحبونه محبة الصالحين وأولياء الله، ولا يسبونه، فإنهم لا يحبون لعنة المسلم المعين، لما روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «أن رجلاً كان يدعى حماراً، وكان يكثر شرب الخمر، وكان كلما أتي به النبي ﷺ ضربه، فقال رجل: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي ﷺ: فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنه فإنه يحب الله**

ورسوله»[١].

ومع هذا فطائفة من أهل السنة يجيزون لعنه، لأنهم يعتقدون أنه فعل من الظلم ما يجوز لعن فاعله، وطائفة أخرى ترى محبته، لأنه مسلم تولى على عهد الصحابة، وبايعه الصحابة ويقولون: لم يصح عنه ما نقل عنه، وكانت له محاسن، أو كان مجتهداً فيما فعله.

والصواب هو ما عليه الأئمة: من أنه لا يخص بمحبة ولا يلعن، ومع هذا فإن كان فاسقاً أو ظالماً فالله يغفر للفاسق والظالم، لا سيما إذا أتى بحسنات عظيمة.

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «**أول جيش يغزو القسطنطينة مغفور له**»[٢].

وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية، وكان معه أبو أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ.

وقد يشتبه يزيد بن معاوية بعمه يزيد بن أبي سفيان فإن يزيد بن أبي سفيان كان من الصحابة وكان من خيار الصحابة، وهو خير آل حرب، وكان أحد أمراء الشام الذين بعثهم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ في فتوح الشام. . .

فالواجب الاقتصاد في ذلك والإعراض عن ذكر يزيد بن معاوية

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة (٦٧٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب: ما قيل في قتال الروم (٢٩٢٤).

وامتحـان المسلميـن بـه، فـإن هـذا مـن البـدع المخـالفـة لأهـل السنـة والجماعة.

فإن بسبب ذلك اعتقد قوم من الجهال أن يزيد بن معاوية من الصحابة وأنه من أكابر الصالحين وأئمة العدل وهو خطأ بين[١].

وأما معاوية ـ رضي الله عنه ـ فهو من الصحابة ممن أسلم عام فتح مكة، قبل موت النبي ﷺ بنحو من ثلاث سنين، وكان أحسن الناس سيرة في ولايته، وهو ممن حسن إسلامه، ولولا محاربته لعليّ ـ رضي الله عنه ـ وتوليه الملك، لم يذكره أحد إلا بخير[٢].

ومن أصول أهل السنة الكف عما شجر بين الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والترضي عنهم، فحبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآرائهم فضيلة، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً فهو مبتدع رافضي[٣].

* * *

---

(١) الوصية الكبرى (١٠٥ـ ١١٠) دار الفاروق.

(٢) انظر منهاج السنة النبوية (٤/ ٤٢٩).

(٣) انظر السنة للإمام أحمد بن حنبل ص٣٨ ضمن مجموع مع كتاب الرد على الجهمية مطبعة الحلبي ـ مصر.

يسأل[١] عن قراءة القرآن وثوابِهِ وهديةِ الأحياءِ للأموات هل يصلُ الثوابُ إليهم أم[٢] لا؟

فإن قال: يصل الثواب إليهم، فهو سني.

وإن قال: لا ينالهم الأجر ولا الفضل ولا الثواب، فهو أشعري، رَادٌّ على قول الله تعالى وعلى أخبار النبي ﷺ.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[٣].

وعن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «**ما الميت في قبره إلا شبه الغريق المبهوت، ينتظر دعوة من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة، فإذا لحقه ذلك أحب إليه من الدنيا وما فيها، وإن الله عز وجل يدخل على أهل القبور من دعاء أهل الدور أمثال الجبال، وإن هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم**»[٤].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تصدق المؤمن عن ميت فيجيء بها ملك من الملائكة في أطباقٍ من نور، فيقف على رأس القبر فينادي ياصاحب القبر الغريب في وحدته! أبشر فإن أهلك قد**

---

(١) هذه المسألة ليست في م.

(٢) الصواب لغة «أو».

(٣) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٤) أخرجه الضياء في المنتقى (١/٢٦٨) وفي السنن (٢٨٦) كما في الضعيفة للألباني ـ رحمه الله ـ (٢/٧٩٩) وقال: منكر جداً وفيه ابن أبي عياش، قال الذهبي: لا أعرفه وخبره منكر جداً وساق حديثه» (الميزان ٣/ ٤٩٦).

أهدوا لك هذه الهدية، فأقبل فيُدخِلها في قبره، فيقول: جزى الله أهلي خيراً، والقبر الذي بجنبه يتحسر ويندم، فيقول: ليس لي أحد يذكرني بخير وثوابٍ وهديةٍ، فهو مغموم محزون، والذي يُتصدق عنه فِرحٌ مسرورٌ بتلك الهدية»[(١)].

ورأى النبي ﷺ رجلاً جالساً على قبر فقال له: «لا تجلس على قبر، فإنه يتأذى بجلوسك عليه»[(٢)].

عن أبي هريرة قال: قال: النبي ﷺ: «من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له»[(٣)] وفي رواية: «أربعون»[(٤)].

وعن ابن جريج[(٥)] عن موسى بن وردان[(٦)] عن أبي هريرة قال: قال

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٩٥ ـ من زوائد المعجمين) وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٣٩) رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو محمد الشامي، قال عنه الأزدي كذاب قال الألباني ـ رحمه الله ـ في الضعيفة (١/ ٤٨٦) موضوع.

(٢) ذكره المجد ابن تيمية في المنتقى (٢/ ١٠٤) وعزاه إلى مسند أحمد وكذا الحافظ في الفتح (٣/ ١٧٩)، وأخرجه الطحاوي في معاني الآثار (١/ ٢٩٦)، من حديث عمرو بن حزم، وفيه ابن لهيعة وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٩٠) إلى الطبراني في الكبير ولم أجده فيه.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز باب من صلى عليه مائة فشفعوا (٩٤٧) من حديث عائشة والنسائي في الجنائز (١٩١١) وأحمد في المسند (١٣٣٩٣) كلهم من حديث عائشة.

(٤) أخرجها مسلم في كتاب الجنائز باب من صلى عليه أربعون فشفعوا (٩٤٨) من حديث ابن عباس.

(٥) هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج القرشي الأموي مولاهم. تلميذ عطاء بن أبي رباح ت ١٥٠هـ انظر تهذيب التهذيب (١٦٦٥).

(٦) موسى وردان القرشي العامري القاص ت ١٢٧هـ التهذيب (١٩٩٠٥).

رسول الله ﷺ لأصحابه: «أهدوا إلى موتاكم، قلنا: ما نهدي إلى موتانا يارسول الله قال: الصدقةَ والقرآن والدعاءَ ثم قال ﷺ: إن أرواح المؤمنين يأتون كلَّ جُمعة إلى سماءِ الدنيا، فيقفون بحذاءِ دورهم وبيوتِهم، فيُنادى كلُ واحدِ بصوت حزين يا أهلي ويا ولدي وياقراباتي! اعطفوا علينا بشيء ـ رحمكم الله ـ اذكرونا ولا تنسونا، وارحموا غربتنا وقلة حيلتنا وما نحن فيه، فإنا قد بقينا في سجن وثيق وغم طويل ووهن شديد، فارحمونا رحمكم الله ولا تبخلوا علينا بدعاء أو صدقة أو تسبيح لعل الله يرحمنا قبل أن تكونوا أمثالنا، واحسرتاه واندامتاه!

وقال أنس: فقلت: بأبي أنت وأمي يارسول الله: هل يصل إليهم؟ فقال: والذي نفس محمد بيده ليصل أسرع من طرفة العين، ويفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدي إليه»(١).

وعن قتادة(٢) عن أبيه قال: قال: رسول الله ﷺ: «خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاثة: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده»(٣).

وعن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «إن الصدقة لتطفي عن

---

(١) لم أجده.

(٢) هو قتادة بن الفضيل بن قتادة الحرشي ت ٢٠٠هـ وأبوه هو الفضيل بن قتادة بن عياش الحرشي. انظر التهذيب (١٨١٦٢).

(٣) أخرجه مسلم بنحوه في كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب (١٦٣١) والترمذي في كتاب الأحكام (١٣٧٦) والنسائي في كتاب الوصايا (٣٦٥١) كلهم من طريق العلاء ابن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة.

أهلها حر القبور»[١].

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليرفع له الدرجة في الجنة فيقول: يارب أنى لي هذا؟ قال: لاستغفار ولدك لك»[٢].

وعن سعيد الجيلي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وعمل بما فيه، ألبس والداه تاجاً يوم القيامة»[٣].

وعن تميم الداري أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مؤمن يقرأ آية الكرسي، ويحمل ثوابها لأهل القبور، لم يبق على وجه الأرض قبراً إلا أدخل الله تعالى فيه [[٤]] ووسعه عليه من البصر، وأعطاه الله تعالى بقرأتها ثوابَ ألفَ شهيدٍ، ورفع له ألف درجة، وكتب له بكل حرف كلمة ألف ألف حجة وعمرة، وخلق الله بكل حرف ملكين يسبحان إلى يوم القيامة، وكان ثوابُهم لهم»[٥].

* * *

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٨٧)، (٢٨٨) وابن عدي في الكامل (٣٩٦) كلهم من طريق يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر به.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة كما في المصنف (٣/ ٣٨٧) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه أبوداود (١٤٥٣) والحاكم في المستدرك (٢٠٨٥) وصححه، وأبويعلى في مسنده (١٤٩٣) من طريق يحيى بن أيوب عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه مرفوعاً.

(٤) كلمة لم أتبين رسمها. ولعلها «معروفاً».

(٥) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٦٦٨٠) (٤/ ٢٨) من حديث علي.

. . . .

دراسة المسألة:

قال **شيخ الإسلام** ابن تيمية: «أئمة الإسلام متفقون على انتفاع الميت بدعاء الخلق له، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، وقد دل عليه الكتاب والسنة والاجماع، فمن خالف ذلك كان من أهل البدع»[١].

وقال: «والأئمة اتفقوا على أن الصدقة تصل إلى الميت، وكذلك العبادات المالية: كالعتق، وإنما تنازعوا في العبادات البدنية: كالصلاة والصيام، والقراءة، ومع هذا ففي الصحيحن عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: **«من مات وعليه صيام صام عنه وليه»**[٢].

وفي الصحيحين عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «أن امرأة قالت: **يارسول الله! إن أمي ماتت، وعليها صيام نذر، قال: أرأيت إن كان على أمك دين فقضيته، أكان يؤدي ذلك عنها؟ قالت: نعم، قال: فصومي عن أمك»**[٣].

فهذه الأحاديث الصحيحة صريحة في أنه يصام عن الميت ما نذر، وأنه شبه ذلك بقضاء الدين.

---

(١) انظر الفتاوى (٢٤/٣٠٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: من مات وعليه صوم (١٩٥٢) ومسلم في كتاب الصيام باب: قضاء الصيام عن الميت (١١٤٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: من مات وعليه صوم (١٩٥٣) ومسلم في كتاب الصيام باب قضاء الصيام عن الميت (١١٤٨).

والأئمة تنازعوا في ذلك، ولم يخالف هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة من بلغته وإنما خالفها من لم تبلغه..»[١].

وقال: «الصدقة عن الميت فإنه ينتفع بها باتفاق المسلمين، وقد وردت بذلك عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة، مثل قول سعد: «**يارسول الله! إن أمي افتلتت نفسها، وأراها لو تكلمت تصدقت، فهل ينفعها أن أتصدق عنها؟ فقال: نعم**»[٢].

وكذلك ينفعه الحج عنه، والأضحية عنه، والعتق عنه، والدعاء والاستغفار له بلا نزاع بين الأئمة.

وأما الصيام عنه وصلاة التطوع عنه، وقراءة القرآن عنه، فهذا فيه قولان للعلماء:

أحدهما: ينتفع به، وهو مذهب أحمد، وأبي حنيفة، وغيرهما، وبعض أصحاب الشافعي وغيرهم.

الثاني: لا تصل إليه، وهو المشهور في مذهب مالك والشافعي.

وأما الاستئجار لنفس القراءة، والإهداء، فلا يصح ذلك»[٣].

وقال: «فإذا أهدى لميت ثواب صيام، أو صلاة، أو قراءة جاز ذلك، وأكثر أصحاب مالك والشافعي، يقولون: إنما يشرع ذلك في

---

(١) الفتاوى (٢٤/ ٣٠٩ـ ٣١٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب: موت الفجأة (١٣٨٨) ومسلم في كتاب الزكاة باب وصول ثواب الصدقة (١٠٠٤).

(٣) الفتاوى (٢٤/ ٣١٤ـ ٣١٥).

العبادات المالية، ومع هذا فلم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعاً، وصاموا، وحجوا، أو قرؤوا القرآن يهدون ثواب ذلك لموتاهم المسلمين، ولا لخصوصهم، بل كان عادتهم كما تقدم، فلا ينبغي للناس أن يعدلوا عن طريق السلف، فإنه أفضل وأكمل. .»[1].

ومما تقدم نعلم أن الصدقة عن الميت وسائر العبادات المالية يصل إلى اليمت ثوابها بالاتفاق، وأما العبادات البدنية ففي ذلك نزاع، والصواب أنه يصل إلى الميت ثوابها.

ومع ذلك فالأولى الاكتفاء بالدعاء لهم، وعدم إهداء ثواب القرب لهم، لأنه لم يكن معهوداً عند السلف.

أما ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة فلم أقف فيما بين يدي من كتبهم على المنع من إهداء ثواب القرب للأموات.. ولم أجد من وافق المؤلف على نسبة هذا المذهب لهم.

وهذه المسألة: مسألة خلافية لا يبدع المخالف فيها فجعلها من مسائل الإمتحان غير مناسب.

* * *

---

(١) الفتاوى (٢٤/ ٣٢٢ـ ٣٢٣).

يسأل: عن صوم شهر رمضان هل يصام برؤية الهلال أم بالحساب والقياس؟

فإن قال: برؤيةٍ والإخبارِ عن الثقات، فهو سني.

وإن قال: بغيره فهو شاعي[١] رافضي كافر بالله وبرسوله.

دليلنا: قوله ﷺ: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**»[٢].

وقوله ﷺ: «**نحن أمة أمية لا نحسب ولا نحتسب ولا نقول بقول المنجمين وأهلِ الحساب، نصوم لرؤيته ونفطر لرؤيته**»[٣].

وروي عن علي كرم الله وجهه[٤]، أنه قال: «صمنا تسعا[٥]

---

(١) هكذا في المخطوطة ولعلها «شيعي» وهذا الذي يقتضيه السياق.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا» (١٩٠٩) ومسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال (١٠٨١)، والترمذي في كتاب الصوم (٦٨٤) والنسائي في كتاب الصيام (٢١١٧) وابن ماجه في الصيام (١٦٥٥) وأحمد (٧٤٦٤) (٧٥٢٧) والدارمي (١٦٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب: قول النبي ﷺ: لا نكتب ولا نحسب (١٩١٣) بلفظ: «إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين».
ومسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال (١٠٨٠) والنسائي في كتاب الصيام (٢١٤٠) وأبوداود في كتاب الصوم (٢٣١٩).
أما لفظ: «لا نحتسب ولا نقول بقول المنجمين وأهل الحساب» فلم أجدها.
ولفظ: «نصوم لرؤيته ونفطر لرؤيته» فثبتت كما في الحديث السابق.

(٤) لا وجه لتخصيص علي ـ رضي الله عنه ـ بـ: «كرم الله وجهه» دون سائر الصحابة، ولم يثبت هذا التخصيص عن السلف الصالح، ولا دليل يدل على التخصيص، فالأولى الاكتفاء بالترضي عنه كسائر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين.

(٥) الصواب لغة: «تسعة».

وعشرين من شهر رمضان، وأكثر ما صمنا ثلاثين تاماً؛ لأن الشهور أكثرها نواقص»[١].

وقوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾.

* * *

---

(١) أخرجه أبوداود في الصيام (٢٣٢٠)، والترمذي في الصيام (٦٨٩) من حديث ابن مسعود وابن ماجه في الصيام (١٦٥٨) من حديث أبي هريرة.

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف عليه عمل أهل السنة من عصور متعاقبة، وعليه تدل الأدلة الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[(١)].

وقال: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[(٢)].

وقال ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم الشهر فعدوا، ثلاثين»[(٣)].

وقال ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام في الثالثة، والشهر هكذا وهكذا وهكذا يعني تمام الثلاثين»[(٤)].

وقال ﷺ: «لاتصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه، فإن أغمي عليكم فاقدروا له»[(٥)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإنا نعلم بالاضطرار من دين الإسلام

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ح(١٠٨١).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ح(١٠٨٠).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ح(١٠٨٠).

أن العمل في رؤية هلال الصوم والحج أو العدة أو الإيلاء أو غير ذلك من الأحكام المعلقة بالهلال بخبر الحاسب، أنه يرى أو لا يرى: لا يجوز.

والنصوص المستفيضة عن النبي ﷺ بذلك كثيرة، وقد أجمع المسلمون بذلك عليه، ولا يعرف فيه خلاف قديم أصلاً، ولا خلاف حديث إلا أن بعض المتأخرين من المتفقهة الحادثين بعد المائة الثالثة زعم: أنه إذا غم الهلال جاز للحاسب أن يعمل في حق نفسه بالحساب، فإن كان الحساب دل على الرؤية صام وإلا فلا.

وهذا القول وإن كان مقيداً بالإغمام، ومختصاً بالحاسب، فهو شاذ مسبوق بالإجماع على خلافه، فأما إتباع ذلك في الصحو، أو تعليق عموم الحكم العام به فما قاله مسلم[1].

وقال القرطبي: «وقد روى ابن نافع عن مالك في الإمام: لا يصوم الهلال، ولا يفطر لرؤيته وإنما يصوم ويفطر على الحساب: أنه لا يقتدى به، ولا يتبع»[2].

قال النووي: «ومن قال بحساب المنازل فقوله مردود بقوله ﷺ: «**إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب، الشهر هكذا وهكذا. الحديث**»[3]، ولأن الناس لو كلفوا بذلك لضاق عليهم، لأنه لا يعرف الحساب إلا

---

(١) انظر الفتاوى ٢٥/١٣٢.

(٢) تفسير القرطبي (١/٦٦٩، ٦٧٠) ط دار الشعب.

(٣) تقدم تخريجه ص٥٢٣.

أفراد الناس»[١].

أما ما نسبه المؤلف للرافضة فلهم في المسألة قولان:

الأول: موافقة المسلمين في الصوم بالرؤية والفطر بالرؤية، غير أنهم قالوا: بأن شهر رمضان لا ينقص عن ثلاثين يوماً، ولم ينقص منذ خلق الله السموات والأرض، والثاني: الصيام بالعدد والحساب[٢].

* * *

(١) المجموع (٦/ ٢٧٠).

(٢) انظر بحار الأنوار محمد بن باقر المجلسي (٩٦/ ٣٠٤ـ ٣٠٧) ط المكتبة الإسلامية طهران ـ غير مؤرخه ـ ط١.

تمت مسائل الامتحان بحمد الله ومَنِّه وصلواته على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأزواجه وسلامه.

وقع الفراغ منه في جمادى الآخرة سنة تسع وستين وستمائة على يد الفقير إلى الله يوسف بن محمد بن يوسف.

قرأ عليّ الفقيه الإمام مجد الدين علي بن أبي بكر بن محمد.

وكتب الفقير إلى الله تعالى يوسف بن محمد بن يوسف[1].

---

(١) آخر المخطوطة م: «تم الكتاب وربنا محمود، وله المكارم والعلى والجود، والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأزواجه وسلامه، وبالله التوفيق، قرأ عليَّ هذه العقيدة الفقيه الإمام مجد الدين علي بن أبي بكر بن محمد قراءة من.. وكنت قرأتها على الإمام العالم عز الدين بن رزق الله بن أبي بكر الرسعني الحنبلي قدس الله روحه، وقد أقرّ بصحتها، وتم له في سادس رمضان من سنة تسع وستين وستمائة، كتب الفقير إلى الله تعالى يوسف بن محمد بن يوسف الهكاري حامداً لله ومصلياً على نبيه وآله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلامه.

هذه مسائل وجدتها في النسخة: م زائدة على الأصل

يسأل: عن الباري جل جلاله هل هو بذاته في الأرض أم[1] بعلمه؟

فإن قال: بعلمه، فهو سني.

وإن قال: بذاته، فهو معتزلي.

* * *

(١) الصواب لغة «أو».

. . . .

دراسة المسألة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى عالٍ على خلقه، وقدرته وعلمه في كل مكان.

قال الإمام مالك بن أنس: «الله في السماء وعلمه في كل مكان»[١].

قيل للإمام أحمد: والله تعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال: نعم، على عرشه لا يخلو شيء من علمه[٢].

قال الإمام أبو نصر السجزي: «وأئمتنا متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، وأن علمه بكل مكان»[٣].

قيل لعبد الله بن المبارك: «كيف نعرف ربنا عز وجل؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه ها هنا في الأرض، فقيل هذا لأحمد بن حنبل، فقال: هكذا هو عندنا»[٤].

قال: الإمام أحمد: «وهو على العرش فوق السماء السابعة».

---

(١) الفتاوى (٥/ ١٨٣).
(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٤٣١) لابن أبي يعلى واجتماع الجيوش الإسلامية (٧٧) لابن القيم.
(٣) الفتاوى (٥/ ١٩٠).
(٤) العلو (١٤٩) ط أضواء السلف.

فإن احتج مبتدع أو مخالف بقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[١].

وبقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٢]، أو بقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[٣].

قيل: إنما يعنى بذلك العلم، لأن الله تبارك وتعالى على العرش فوق السماء السابعة يعلم ذلك كله وهو تعالى بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان[٤].

قال حرب بن إسماعيل الكرماني: قلت لإسحاق بن راهوية قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[٥] كيف تقول فيه؟

قال: حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه[٦].

وقال الإمام ابن عبدالبر: «أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[٧]، هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في

---

(١) سورة ق، آية: ١٦.
(٢) سورة الحديد، آية: ٤.
(٣) سورة المجادلة، آية: ٧.
(٤) السنة للإمام أحمد ص٤٨ ضمن شذرات البلاتين.
(٥) سورة المجادلة، آية: ٧.
(٦) العلو (١٧٨) للذهبي.
(٧) سورة المجادلة، آية: ٧.

ذلك أحد يحتج به»[(١)] وقد قدمنا الأدلة من الكتاب والسنة على صفة العلو لله تعالى.

ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة قد صرح بعضهم بخلافه.

قال القاضي عبدالجبار: «في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[(٢)].

فيجب أن يحمل الكل على أن المراد به: أنه عالم بأحوالهم، وأنهم لا يقدرون على أن يستسروا بما يتناجون دونه..»[(٣)].

وقد قال بعض الجهمية بأنه يحل بذاته في الأرض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وافترق الناس في هذا المقام ـ في العلو والاستواء ـ أربع فرق:

فالجهمية النفاة الذين يقولون: لا هو داخل العالم ولا خارج العالم، ولا فوق ولا تحت، لا يقولون بعلوه ولا بفوقيته، بل الجميع عندهم متأول أو مفوض.

وقسم ثان: يقولون: إنه بذاته في كل مكان، كما يقول ذلك النجارية وكثير من الجهمية عبادهم وصوافيتهم وعوامهم»[(٤)].

---

(١) العلو (٢٤٩) للذهبي، وانظر الفتاوى (٥/ ١٩٣) لابن تيمية.
(٢) سورة المجادلة، آية: ٧.
(٣) متشابه القرآن (٦٤٦) دار التراث.
(٤) الفتاوى (٥/ ١٢٢ـ ١٢٣).

يسأل: عما نقراه؟

فإن قال: هو نفس القرآن، فهو سني.

وإن قال: قراية القرآن، فهو أشعري[١].

* * *

(١) قد تقدم البحث عن هذه المسألة انظر مسألة: المقروء هل هو كلام الله؟ ص١٤٢.

يسأل: عن العبد إذا عذب في قبره هل يألم أم[1] لا؟

فإن قال: يألم، فهو سني.

وإن قال: لا يألم، فهو أشعري.

* * *

(١) الصواب لغة «أو».

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره المؤلف هو معتقد أهل السنة والجماعة وعليه تدل الأدلة من الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾[١].

وقال ﷺ في حديث البراء بن عازب: «**فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه..**»[٢].

وقال ﷺ: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوات الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع**»[٣].

قال: شيخ الإسلام «وعذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه

---

(١) سورة غافر، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٢) أخرجه أحمد (١١٨٦٢) (١٣٠٣٤)، وأبوداود (٤٧٥٣) والبيهقي في عذاب القبر (٢٠) وعبدالرزاق في المصنف (٦٧٣٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٣٨٠ـ ٣٨٢) وابن منده في الإيمان.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت وأخرجه مسلم في كتاب الجنة (٢٨٦٨)، والنسائي في كتاب الجنائز (٢٠٥٨)، وأحمد (١١٥٩٦) (١١٦٨٦) (١١٧١٣) (١٢١٤٣) من حديث أنس بن مالك.

الحال مجتمعين، كما تكون على الروح منفردة عن البدن»[١].

وقال: «مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وإنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها، وقاموا له من قبورهم لرب العالمين»[٢].

أما ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة فلم أقف على صحة هذه النسبة لهم، والموجود في كتبهم التصريح بوقوع عذاب القبر.

قال الأيجي: «إحياء الموتى في قبورهم، ومسألة منكر ونكير لهم، وعذاب القبر للكافر والفاسق كلها حق عندنا»[٣].

وقال المكلاتي: «والذي صار إليه أهل الحق: إثبات عذاب القبر، فإنه من مجوزات العقول، ووقوعه معلوم من جهة السمع»[٤].

وقال الإسفرايني: «ولا ينكر ما استفاض به الأخبار، ونطقت به الآيات من الإحياء في القبر إلا من ينكر عموم قدرة الله تعالى»[٥].

وقال الجويني: «وقد تواترت الأخبار باستعاذة رسول الله ﷺ بربه

---

(١) الفتاوى (٤/ ٢٨٢).
(٢) الفتاوى (٤/ ٢٨٤).
(٣) المواقف (٣٨٢).
(٤) لباب العقول (٣٨٠).
(٥) التبصير في الدين (١٥٩).

من عذاب القبر، ونقل آحاد من الأخبار في ذلك تكلف، ثم لم يزل ذلك مستفيضاً في السلف الصالحين قبل ظهور أهل البدع والأهواء»[١].

* * *

---

(١) الإرشاد (٣٧٥).

يسأل: عن الأمر هل يصح من غير إرادةٍ أم[1] لا؟

فإن قال: يصح، فهو سني.

فإن قال: لا يصح، فهو معتزلي[2].

* * *

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) انظر بحث هذه المسألة في ص ٢٩٠.

يسأل: عمن يسب أبابكرٍ الصديقَ ـ رضي الله عنه ـ وأصحابه هل يكفرون أم[1] لا؟

فإن قال: يكفرون، فهو سني.

وإن قال: أنكر ذلك، فهو أشعري.

* * *

(١) الصواب لغة «أو».

. . . .

دراسة المسألة:

قال شيخ الإسلام «فأما من سب أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بيته وغيرهم فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب ضرباً نكالاً، وتوقف عن قتله وكفره.

فقال في رواية الإصطخري: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يراجع.

فقد نص على وجوب تعزيره، واستتابته حتى يرجع بالجلد، وإن لم ينته حبس حتى يموت أو يرجع.

وقال إسحاق بن راهوية: من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس، وقد قطع طائفة من الفقهاء من الكوفة وغيرهم بقتل من سبّ الصحابة، وكفر الرافضة.

وقال محمد بن يوسف الفريابي: وسئل عمن شتم أبا بكر قال: كافر، قيل: فيصلى عليه؟ قال: لا.

وقال أحمد في الرجل يشتم: قال هذا زندقة.

وقال فمن شتم أبا بكر وعمر وعائشة ما أُراه على الإسلام.

قال القاضي أبو يعلى: أطلق الإمام أحمد القول فيه أنه يكفر بسبه لأحد من الصحابة، وتوقف في رواية عبدالله وأبي طالب عن قتله، وكمال الحد، وإيجاب التعزير يقتضي أنه لم يحكم بكفره[1].

قال شيخ الإسلام: أما من اقترن بسبه دعوى أن علياً إله، أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبرئيل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره.

وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقصت منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية، ومنهم من سبهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك ـ فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولانحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

وأما من لعن وقبح مطلقاً فهذا محل الخلاف فيهم، لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره، لأنه تكذيب لما نصه

---

(١) انظر الصارم المسلول (٥٧٠ـ ٥٧٣) ط المكتب الإسلامي.

القرآن في غير موضع من الرضا عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق وأن هذه الآية التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١] وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

وبالجملة فمن أصناف السابة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره ومنهم من تردد فيه[٢].

ما نسبه المؤلف إلى الأشاعرة من إنكار كفر من سب الصحابة لم أقف على صحة هذه النسبة لهم.

* * *

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) الصارم المسلول (٥٩٠ـ ٥٩١).

يسأل: عن الاسم هل هو المسمَّى أم[1] غيره؟

فإن قال: الاسم للمسمى، أو عَلَمٌ دل على المسمى أو صفةٌ للمسمى، فهو سني.

وإن قال: غيرُ المسمى، فهو معتزلي[2].

* * *

(١) الصواب لغة «أو».

(٢) سبق الكلام على هذه المسألة في ص٣٢٦.

يسأل: عن الجن هل هم موجودون أم[1] لا؟

فإن قال: هم موجودون، فهو سني.

وإن أنكر ذلك، فهو معتزلي، أو رافضي.

* * *

(١) الصواب لغة «أو».

. . . .

دراسة المسألة:

ما قرره **المؤلف** هو معتقد أهل السنة والجماعة بل عامة المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمداً ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين...، وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار..»[(١)].

وقال: «وجماهير الأمم يقرون بالجن ولهم معهم وقائع يطول وصفها، ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم، وأما أكابر القوم فالمأثور عنهم: إما الإقرار بهم وإما أن لا يحكى عنهم في ذلك قول...، وليس لمن أنكر حجة يعتمد عليها تدل على النفي وإنما معه عدم العلم...»[(٢)].

قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾[(٣)].

وقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ

---

(١) الفتاوى (١٩/ ١٠).

(٢) الفتاوى (١٩/ ٣٢).

(٣) سورة الجن، آية: ١.

قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾»[١].

وقال: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾[٢].

وقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة بالدلالة على وجودهم فمنكر وجودهم منكر معلوم بالضرورة، وتذكيب للقرآن وهذا كفر ولا شك في ذلك.

أما ما نسبه المؤلف إلى المعتزلة فقد وافقه بعض أهل العلم على نسبة هذا المذهب لهم.

قال الجويني: «فإن قيل بيِّنوا مذهبكم في الجن والشياطين، قلنا: نحن قائلون بثبوتهم، وقد أنكرهم معظم المعتزلة، ودل إنكارهم إياهم على قلة مبالاتهم، وركاكة ديانتهم، فليس في إثباتهم مستحيل عقلي، وقد نصت النصوص من الكتاب والسنة على إثباتهم»[٣].

وقال ابن حجر الهيتمي: «وإنكار المعتزلة لوجودهم فيه مخالفة للكتاب والسنة والإجماع، بل ألزموا به كفراً؛ لأن فيه تكذيب النصوص القطعية بوجودهم»[٤].

وقال الدمُيري: «فإذا قيل: ما تقول فيما حكي عن بعض المعتزلة أنه ينكر وجود الجن؟ قلنا: عجيب أن يثبت ذلك عمّن يصدق بالقرآن

---

(١) سورة الأحقاف، آية: ٢٩.
(٢) سورة الحجر، آية: ٢٧.
(٣) الإرشاد (٣٢٣).
(٤) الفتاوى الحديثية (١٢٣) ط١٣٩٠هـ البابي الحلبي القاهرة.

وهو ناطق بوجودهم»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك كما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك كما يوجد في طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك»[٢].

قال القاضي أبو يعلى: «وجود الجن ثابت، وهم عقلاء مكلفون لا نراهم وهم يرونا، ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون، خلافاً لبعض القدرية والفلاسفة والملاحدة في إنكارهم ذلك، وزعموا أن لا جنّ»[٣].

وليس كل المعتزلة على إنكار وجود الجن بل منهم من صرّح بوجودهم كالزمشخري في الكشاف[٤].

قال القاضي عبدالجبار: «اعلم أن الدليل على إثبات وجود الجن السمع دون العقل، وذلك أنه لا طريق للعقل إلى إثبات أجسام غائبة»[٥].

---

(١) حياة الحيوان الكبرى (١/٣٠٦) ١٣٧٤هـ ط الاستقامة، الناشر المكتبة التجارية القاهرة.
(٢) الفتاوى (١٩/١٠).
(٣) المعتمد (١٧١ـ ١٧٢).
(٤) انظر الكشاف (٤/١٦٦) ط دار الفكر.
(٥) آكام المرجان ص٣ الشلبي ولم أجده في كتب القاضي عبدالجبار المطبوعة.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وبعد:

ففي نهاية المطاف، أرجو أن أكون قد ساهمت في إحياء هذا الجزء، الذي بقي حبيس القماطر قروناً عديدة، ويمكن أن أجمل أهم نتائج البحث فيما يلي:

١ ـ أهمية إحياء تراث وكتب السلف وحاجة الناس إليها.

٢ ـ المساهمة في خدمة هذا الجزء وتيسير الاستفادة منه، الذي يمثل تدوينا لآراء الفِرَق في حقبة من الزمن.

٣ ـ الاطلاع على مسائلَ عديدةٍ متنوعةٍ ومفيدةٍ.

٤ ـ بحث مسائل دقيقة وغامضة، وبيان آراء الفرق فيها.

٥ ـ هذا الجزء يبين جهود إمام من أئمة الحنابلة في الذب عن السنة والدفاعِ عنها.

٦ ـ الجزء يمثل تصنيفاً في الملل والنحل لعالم من أهل السنة مما يبين أهمية طَرْق هذا المجال من قبل أهل السنة.

وختاماً، فهذا جهد المقل، وهذه بضاعته، فإن أصبت فذلك محض فضلِ الله، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله تعالى الغفران، وحسن الختام، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.